علم النفس الاجتماعي

تأليف

دكتور
نجيب إسكندر ابراهيم
أستاذ العلوم السلوكية - ومدير المعهد القومي للتنمية الادارية

دكتور
سيد عبد العال
مدرس علم النفس
بكلية الآداب - جامعة عين شمس

(١٩٨٠)

الناشر
دار التوفيق للطباعة والنشر
بحرم جامعة عين شمس - القاهرة

إهــــــداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

علم النفس الاجتماعي

تأليف

دكتور

نجيب إسكندر ابراهيم

أستاذ العلوم السلوكية - ومدير المعهد القومي للتنمية الادارية

دكتور

سيد عبد العال

مدرس علم النفس

بكلية الآداب - جامعة عين شمس

الناشر

دار التوفيق للطباعة والنشر

بحرم جامعة عين شمس - القاهرة

تقديــم :

ان الحضارة المعاصرة مدينة بحاضرها ومستقبلها للثورة التكنولوجية الهائلة التى بدأت تشتعل فى الفترة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، والتى ما تزال مشتعلة بلهيب متوهج يخشى منه عليها وعلى البشرية جمعاء ان يدمرها فى نهاية المطاف . ودمار هذا الحضارة يعنى تقويض صرح هائل بناه الانسان عبر قرون طويلة موغلة فى تاريخه البعيد والقريب على السواء .

وعلى اى الاحوال فان هذا التقدم التكنولوجى الذى تميزعلى نتاجه حضارة اليوم ان هو الا حصيلة كم متراكم من الخبرة الانسانية ارسى دعائمها الانسان . والانسان بهذا المعنى اكثر من مجرد تركيب بيولجى ، والا لكان مآله ما هو عليه الان كل صنوف الحيوانات الاخرى ، الدنيا منها والراقية . وعلى هذا الاساس يعد الانسان من اعقد المخلوقات واكثرها رقيا ، فقد صنع الحياة الاجتماعية ليعيش فى ظلها خلال سلسلة متصلة الحلقات من صراعه مع البيئة المحيطة به حتى وصل الى قمة السيطرة عليها . بل لقد تخطى حدود الكرة الارضية التى عمرها من مشرقها لمغربها ، الى آفاق الفضاء الخارجى يعلم ارسى قواعده فى صبر وتأنى ، مستفيدا من خبرة من سبقوه ، مضيفا خبرة جديدة ليأتى من بعده اناس آخرون وقد تزودوا بما تزود وزيادة .

هذا هو الانسان . لغز لايمكن فهمه بسهولة ويسر كما يظن البعض . غير انه استطاع أن يؤسس علوم مختلفة ساعدته على تقدمه ، ومن بين هذه العلوم اقام علم النفس ليساعده على فهم ذاته .

ولعل علم النفس الاجتماعى ، القائم على التجريب والاختبار الواقعى ، كان اقرب علوم النفس الى فهم الانسان من حيث هو عضو فى جماعة . وهو الذى يهتم بدراسة مختلف الجوانب التى تتفاعل فى كل وظيفى واحد يصنع من الانسان البيولوجى انسان اجتماعى . فالانسان منذ مولده ، ماهو الا كتلة بيولوجية ذات تراث وراثى ، يؤهله ليعيش كانسان . غير انه اذا لم يندمج فى جماعة انسانية تقد هذا التراث الوراثى قدرته على جعل الانسان انسانا . انه بعد ان يولد يندمج فى اول جماعة اجتماعية عرفها التاريخ وهى الاسرة ، التى احتضنته لتلقنه اساليب الحياة الانسانية . ويغير الحياة فى هذه الجماعة ، وغيرها من جماعات يستحيل على هذا المكون البيولوجى ان يكتشف ذاته ، وان يحصل على ماهيته ،

وأن يمثل شرعية وجود الانسانى . ان التوحد مع الام ، والاستدماج بهما ، وهو أول نمط من العلاقة يقيمة الكائن الوليد مع موضوعات العالم الاجتماعى الخارجى ، ومايلقاه فى هذه العلاقة من طعام وحب ورعاية هو الذى يجعل الحياة بالنسبة له ذات معنى ودلالة . أنه فى مقابل الحصول على الحب والاستقرار النفسى من الوالدين يكون مستعدا لتقبل كل أوامرهما ونواهيهما . وبغير الاسرة يظل مجرد تركيب بيولوجى فقد المعنى والدلالة . يأكل ويعيش وينبض بالحياة . لكنها حياة كالعدم . ولقد شاءت الطبيعة أن تلقى فى طريق علم النفس بعدد من التجارب التلقائية التى لم يتدخل احد من العلماء فيها ، لصعوبتها وعدم مشروعيتها لتبين لنا كيف أن الاطفال الذين حرموا من البيئة الاجتماعية منذ مولدهم نتيجة لظروف مجهولة ، وقد تربوا فى احضان بعض الذئاب أوغيرهم من الحيوانات سنوات مهدهم وطفولتهم الاولى . لقد بدا هؤلاء الاطفال أقرب مايكون الى الحيوانات الذين تربوا فى وسطهم منهم الى الانسان . ورغم المحاولات الجادة والمستمرة من جانب علماء النفس ، الا أن جهود هم جانبها التوفيق فى اكساب هؤلاء الاطفال الخصائص الانسانية ولعل اهمها اللغة والكلام * .

وهكذا تدل الشواهد كلها على أن الانسان ، ذات ، وشخصية ، لامعنى له فى معزل عن البيئة الاجتماعية والثقافية . وان الحديث فى علم النفس المرضى عن الشخصية غير السوية وفى علوم النفس الاخرى عن " الشخصية " دون الرجوع الى السياق الاجتماعى والمؤثرات الثقافية انما هو ضرب من الخيال لاداعى له . ان الشخصية نتاج حتمى للتفاعل الدائم والمستمر بين الكائن البيولوجى والبيئة الاجتماعية ، وان هذا التفاعل يتمثل فى العلاقات الاجتماعية المتبادلة فى الاسرة ثم الجماعات المختلفة التى ينخرط الانسان فيها ، ثم المجتمع برمته .

وهكذا اذا قلنا ان مقومات السلوك الاجتماعى انما تكمن فى التفاعل المستمر بين الانسان والجماعة ، أى المجتمع . لابد أن نشير الى أن هذا التفاعل متبادل ، بمعنى أن للانسان أثره على الجماعة كما أن الجماعة لها أثرها على الانسان . أن هذه العلاقة التبادلية بين الانسان ومجتمعه هى موضوع علم النفس الاجتماعى .

---

* ارجع الى الفصل الثانى (الوراثة والبيئة) وخاصة طفل افيرون المتوحش وطفلتين الذئاب اما لا وكما لا .

وعلى هذا الاساس ، نقدم للطالب الدارس لعلم النفس الاجتماعي ، والقارئ أياكان تخصصه في متن هذا المؤلف عددا من الموضوعات الهامة كلها يدخل في اطار علم النفس الاجتماعي .

وتنقسم موضوعات هذا المؤلف الى أربعة أبواب رئيسية تحتوى في جملتها على أثنى عشر فصلا . اما الباب الاول ، وهو يعنى بتهيئة الطالب والمطلع لفهم علم النفس الاجتماعي ، موضوعة مدخل لدراسة السلوك الاجتماعي . ويحتوى على فصلان الاول مدخل لعلم النفس الاجتماعي ، والثاني بعنوان الوراثة والبيئة ، وكلاهما يحددا كيفية تأثير مختلف العوامل الوراثية والبيئية على الانسان .

اما الباب الثاني فهو معنون : الشخصية والثقافة ويحتوى على فصلان ، الفصل الثالث يتناول عملية التنشئة الاجتماعية ، والرابع يتناول المعايير الاجتماعية . وكلاهما يحدد المؤثرات الاجتماعية الاولى على الناشئ الانساني من خلال ما تمارسه الاسرة على الفرد في اكسابه معايير السلوك الاجتماعي السليم . ويتناول الباب الثالث وموضوعه سيكولوجية الجماعات والقيادة دراسة المؤثرات الاجتماعية الاخرى غير الاسرة . فيتناول الفصل الخامس تحديد مفهوم الجماعة والفروق بينها وبين التجمعات الاخرى ، على حين يتناول الفصل السادس وصف شامل للجماعة مع تحديد بناءها وتوصيف وظيفتها . هذا ويتناول الفصل السابع القياس النفسي الاجتماعي (السوسيومترى) من خلال عرض النظرية السوسيومترية ودورها في قياس وفهم العلاقات الاجتماعية . اما الفصل الثامن فهو يتناول القيادة ونظرياتها ومعنى القائد ودوره القيادى في الجماعة .

ويأتى الباب الرابع والاخير ليتناول سيكولوجية الاتجاهات باعتبارها نتاج اجتماعي ، فيتناول الفصل التاسع تحديد مفهوم الاتجاهات والفرق بينها وبين المعتقدات والاراء والقيم ليأتى الفصل العاشر محددا للعوامل المؤثرة لتكوينها . ثم يأتى الفصل الحادى عشر ليتناول تكوين الاتجاهات وتعديلها . ويعنى الفصل الثاني عشر والاخير بقياس الاتجاهات شارحا لتكنيك الاختبارات المشيدة كلاسيكيا على يد نخبة من علماء النفس مثل ثرستون وبوجاردس وليكرت وغيرهم ، ثم الاختبارات المشيدة في ثقافتنا المحلية .

ولعل هذا المؤلف يكون قد أضاف الى المكتبة العربية مرجعا جديدا

يؤمه طـــلاب العلم لسد بعض العجز الموجود لدينا فى مصادر علم النفس الاجتماعى .
ولعل الاعتذار عن التدسيرداية أمر واجب ، فالطبعة الحالية تعانى قصورا ــ غيـــر مخل بترتيب الكتاب ــ فى بعض الموضوعات التى نعد القارئ باستكمالها فى الطبعـــة الثانيـــة .

والله نسأل قصـــد السبيل

المؤلفـــان

القاهرة ١٩ فبرايـــر ١٩٨٠

الباب الأول

مدخل لدراسة السلوك الاجتماعي

(الفصـــل الأول)

مدخل لعلم النفس الاجتماعـــــــي

مدخل لعلم النفس الاجتماعـــي

كل مجتمع انسانى له عاداته و تقاليده و مبادئه وقيمه و انماط الســـلوك الشائعة بين فئاته و تجمعات افراده • ونحن كمصريين لنا ، كما لغيرنا مـــن المجتمعات ، عاداتنا وتقاليدنا و مبادئنا وقيمنا وانماط السلوك الـــتى تميزنا عن غيرنا من مجتمعـــات •

ورغم ان هناك تشابها بين بنى البشر جميعا ، على اختلافهم وتنوعهـــم ، اجناسا وشعوبا وقبائل ، من حيث الارث البيولوجى والايكولوجى و السيكولوجى ثـــم الارث السوسيولوجى (الاجتماعى) فأن هناك أيضا من المحددات الاخـــرى ـ غير التى ذكرت ـ والتى تجعل كل شعب من الشعوب يختلف عن الاخرى فـــى بعض الخصائص التى قد لا يشاركه فيها بقية الشعوب • ومن هذا المنطلـــق أصبح العلماء المحدثون يتكلمون منذ فترة ليست بالبعيدة عن الشخصية القوميـــة ـ National Character ـ كالطابع القوى للشخصيـــة الالمانية أو الشخصية اليابانية أو الشخصية المصرية مثلا ••

ونحن عادة ما نتكلم ـ بلغتنا اليوميةوفى احاديثنا ـ عن بطىء استجابـــة الانجليزى , هدوئه بالمعنى الشائع بيننا (برود الانجليز) ، كما نتحـــدث عن انفعالية الايطالى واندفاعيته كذلك نتحدث عن كرم العرب وأصالـــة المصريـــين •

واذا كانت هذه الاختلافاتقائمة بين تلك الثقافات العامة ، فهى أيضـــا موجودة داخل الثقافة العامة الواحدة ، باختلاف الثاقات الفرعية الموجـــودة فيهـــا • فنحن ايضا نتحدث فى مجتمعنا ، وهو ثقافة عامة ، عن كـــرم

الشراقوة (أهل الشرقية) وحرص الدمايطه و انفعالية السواحلة (أهل السواحل) وخشونة الصعايدة و هكذا ... دون أن ندرى أننا نتكلم (بلغة العلم) عن الفروق الثقافية داخل ثقافتنا العامة المصرية. اذن توجد كل جماعة ثقافية داخل مجتمعنا وهى تحمل من الصفات مايميزها عن غيرها من الجماعات الثقافية الاخرى داخل المجتمع . غير أن مثل هذه الصفات لا تجعلها مختلفة اختلافا جوهريا عن الثقافة العامة التى تندرج تحتها ذلك أن هناك قدر اكبر من الصفات والخصائص تشترك فيه مع كل الجماعات الثقافية الاخرى بما يربطها جميعا فى خصائص قومية ، هى ما يعرف بالطابع القومى للشخصية المصرية .

وبالمثل يمكن الامعان فى التخصيص داخل الثقافة الفرعية الواحدة ، حيث نجد أن مجموعة من الافراد يتمايزون عن غيرهم داخل نفس الثقافة الفرعية ببعض الملامح و المميزات الفكرية أو السلوكية التى هى لصيقة بهم دون غيرهم ، والتى تميزهم عن بقية أفراد هذه الثقافة الفرعية . مثال ذلك مجتمع مدينة القاهرة ، اذا اعتبرناه ثقافة فرعية داخل مجتمعنا ، وهو كذلك بالفعل ، نحن نجد داخل احياء مدينة القاهرة تباينات فى الخصائص السلوكية تنعكس فى مواقف حياتية كثيرة بدءا من طريقة تبادل تحية الصباح و التعامل اليومى انتهاءا بالعادات المتبعة فى مناسبات ومواقف معينة . ونحن ضمنا نتحدث عن شجاعة و جرأة أهل " الحسانية " كما نتحدث عن اندفاعية و عدوانية أهل الباطنية أو بولاق (فى فترات زمانية معينة) كما نتحدث عن مرونة ولباقة أهل جاردن ستى أو المعادى أو مصر الجديدة (فى بعض احيائها) .

ولعل شخصية " ابن البلد " الذى يمتاز بالفهلوة و الحداقة وروح المرح الى جانب الشهامة و المروءة و الشجاعة ، التى طغت على أدبنا القصصى

فترة من التاريخ مما انعكس أثره على ما تقدمه الاذاعة و التليفزيون و السينما المصرية من مسلسلات و افلام حتى يومنا هذا وهو الأمر الذى حدى ببعض الباحثين المحدثين أن يكتب عن الشخصية المصرية بأنها فهلوية ويتناسى أو ينسى أن خصائص الشخصية لا تكمن فى خاصية واحدة أو حتى عشرة خصائص . و الى يومنا هذا لا يوجد بحث علمى واحد فى محيط مجتمعنا يحمل الينا باسلوب علمى منهجى خصائص الشخصية المصرية أو الملامح العامة للطابع القومى للشخصية المصرية . ونحن نأمل أن تحمل الطبعة التالية من هذا الكتاب تلك الخصائص و الملامح العامة المميزة للطابع القومى للشخصية المصرية التى يعنى حاليا بدراستها نخبة من العلماء والباحثين فى مجال علم النفس فى مصر و من بينهم معدا هذا الكتاب *.

من أين تجيء اذن مثل تلك الاختلافات و الفروق الثقافية بين الثقافات العامة وفى الثقافة العامة بين الثقافات الفرعية ؟ وقد خلق الله الانسان هو الانسان فى الزمان و المكان . ويصدق فى هذا المعنى قوله تعالى " خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " .

---

* يجرى المركز القومى للبحوث الاجتماعية و الجنائية بحثا عن الطابع القومى للشخصية المصرية منذ عام ١٩٧٦ وحتى الآن . وتتشكل هيئة البحث من السادة : الاستاذ الدكتور نجيب اسكندر ابراهيم مشرفا والاستاذ الدكتور رشدى فام منصور و الدكتور فرج أحمد فرج والدكتور قدرى حفنى و الدكتور سيد عبد العال اعضاء و الاستاذ محسن العرقسان سكرتيرا فنيا للبحث .

ذلك أن الاطفال يولدون وفيما بينهم قدر كبير من التشابه ،ونقاط التشابه اكثر بكثير مما قد يكون بينهم من أوجه اختلاف (في أى زمان وأى مكان)، في التركيب الجسمي وفي الوظائف داخل الثقافة الواحدة ، بل في جميع ثقافات العالم من حيث عدد من الابعاد و المتغيرات نجملها فيما يلي :-

أولا : من حيث الارث البيولوجي :-

لا شك في أن هناك ملامح عامة مميزة للجنس البشرى جميعا ، من حيث التركيب البنائي (الفسيولوجي) للجسم . فجميع افراد الجنس البشرى مزودين بالقدرة على المشي (منتصبي القامة) على قدمان اثنان . وهم مزودون أيضا بجهاز صوتي، يساعده جهاز عصبي يمكنهم من استخدام أعقد الرموز الموجودة على ظهر الارض في التفاهم الا وهى اللغة والكلام . وهما سبيل الاتصال Communication اليومي بين البشر ، كما أنهما الوسيلة الفعالة في ارساء قواعد المجتمع ووضع و تنظيم تراث انساني زاخر بالخبرات المتراكمة منذ فجر الانسانية حتى الآن .

وعلى هذا ، فكل انسان – في اى مكان في العالم – يمر بخبرة الميلاد ، ويعتمد على الاخرين لتضعف ذاته واحتياجه الى فترة طويلة قبل أن يتمكن من الاعتماد على نفسه في تيسير امور حياته . وهو في مرحلة نموه يتعلم كيف يحمى نفسه ضد اخطار البيئة ، وكيف يشبع حاجاته الجنسية وفق نظام اجتماعي ليخلف مكانه ابناء يحتلون مكانهم ويسلمهم الزمام ليموت في النهاية .. . وجميع الافراد في جميع المجتمعات

الانسانيـــة يمرون منذ الميلاد وحتى المو ت بهذه السلسلة المتلاحقـــة الحلقات فى نظام اجتماعـــى .

وقد يتبادر الى الذهن أن هــذه الملامح التى ذكرناها ، ليست وقفــا على الانسان وحده من سائر الكائنات الحية الاخرى ، وصحيح أنـــــه يشترك معها فى بعضها الا أن الانسان يمتاز عن سائر الكائنات الاخـرى فى انه يملك جهازا عصبيا على درجة عالية جدا من الرقى و التعقيـــــد ، وهذا الجهاز العصبى المركزى الدماغى الشوكى Cortex (المـــخ) يساعده على التفكير و الفهم ، الحكم و الاستدلال ، الذاكرة السمعيـــة والبصريـــة ، اللغة و التعلم بالاستبصار insight دون اللجـــو للمحاولة و الخطأ ، استنادا الى تراث الخبرة السابقة .. كما يمكنــه من تأسيس عادات و تقاليــد ... وفضلا عن هذا فالانسان وحده يملـــك القــدرة على ادراك الالوان كما يملك القدرة على الرؤيــة المجســـــمة the thered Dimmenssien ... التى مكنته من صنع تــــرا ث حضارى ثقافى نرى معطياته الماديــة و المعنوية فى هذه الحقبة الاخــيرة من القـــرن العشريـن .*

راجع الجزء الخاص بالوراثـــة فى الفصل الثانى ، للاستـــذادة فى التعرف على ضخامــة واهمية الجانب البيولوجى فى ســـلوك الانســـان .

ثانيا : من حيث الارث الايكولوجـــى :•

أن الانسان ، فى أى زمان ومكان ، يملك القدرة على الحيــاة فى بيئة طبيعية واحدة (مع الاختلافات الموجودة من بيئــة لاخرى) ، ولدينا جميعا نفس القدرة على مواجهة مطالب وعوامل البيئة ، من ناحية ، ومطالب واحتياجاتنا ، ثم تحقيق الموائمة (التكيف) بين هذه وتلك ، ثـــم تعديل ظروف البيئة لتحقيق للانسان التوافق الافضل دائما • وكانـــت من نتيجة ذلك كل ماهو موجود على الارض الان من تقدم، بل تجــــاوز حدود الارض الى الفضاء الخارجى ، وهو مزيد من القدرة على التحكـــم فى اخضاع البيئة لمطالب الانسان •

ثالثا : من حيث الارث السيكولوجى :

ان جميع أطفال العالم ، انما يولدون وفيما بينهم قدر كبيـــــر جدا من التشابه (ما يزيد عن الاقدار الموجودة من اختلافات) مـــن حيث الدوافع الاولية للسلوك ، ومظاهر النمو الجسمى والنفسى ، الــــى مرحلة سن معينة ثم تبدأ الاختلافات مصحوبة باللغة وانماط السلوك الشائعـــة فى كل ثقافة ، والتى تنقل الى الاطفال بعملية التنشئة الاجتماعيـــة • وحتى مع الرشد ، فنجد التشابه قائما ، من حيث الدوافع الاجتماعيـــــة للسلوك ، ومختلف العمليات النفسية الاخرى ، كالانفعال والتصـــور والادراك ، والاحساس ، والتفكير ، والذكاء ، والاتجاهات والقـــيم وما الى غير ذلـــك من مظاهر سيكلوجيـــة يشترك فيها بنو البشرجميعا•*

* راجع الجزء الخاص بالبيئة فى الفصل الثانى للاستفادة فى التعـــرف على اهمية الجانب البيئى فى سلوك الانســـان •

رابعا : من حيث الارث الاجتماعي :

لا يمكن ان يعيش الانسان بنفسه ولنفسه . فالانسان كائن حي اجتماعي ، يحصل من المجتمع على هويته ، ويتحول في اطاره من كائن حي بيولوجي الى كائن حي اجتماعي . فالانسان يعيش في بيئة اجتماعية مستقلة عن ذاته ، وسواء كانت هذه البيئة طبيعية او اجتماعية ، فهو دائما في علاقة تحاور وصراع مع هذه البيئة ، يتكيف لها حينا ويكيفها لنفسه في اغلب الاحيان ، يتأثر بها تارة ويؤثر فيها تارة اخرى ، ينصاع لمعاييرها – التي يصنعها هو ضمن افراد المجتمع – وانماط السلوك فيها حينا ويثور عليها ويعدلها مع مرور الزمن ، عبر الاجيال المتلاحقة وهكذا يتعلم الانسان من المهد الى اللحد . وهو يتعلم اساسا كي يحقق لنفسه (في وسط اجتماعي) الأمن والامان ، العيش الرغيد والرفاهية ، التقدم والازدهار . وهو يملك القدرة على الاستفادة من المعطيات الاجتماعية السابقة عليه ، ويضيف الى رصيد تراثها رصيدا متجددا في كل جيل .

وهكذا .. نجد أن تلك الامكانات التي قد تزود بها الانسان تجعل لديه القدرة الدائمة على التعلم في ظروف يفرضها الواقع المادي والتاريخي في كل مجتمع انساني ، بما يسمح بعد ذلك لان نتناول الاختلافات القائمة عبر الثقافات المختلفة ، التي تميز افراد كل مجتمع انساني بملامح تميزه عن سائر المجتمعات الاخرى . وهذه هي موضوع علم النفس الاجتماعي على وجه التحديد .

الفصل الثانـى

" الانسان "

الكائن البيولوجى

بين الوراثة والبيئة

مقدمة :

نحن لا نستطيع — كبشر — أن نطير فى الهواء كالطيور ولا أن نتنفس تحت الماء كالسمك ، ولا أن نسير ونرقص على أربع كالحيوانات . كذلك الحال بالنسبة للطيور والحيوانات الراقصة أو الاسماك وما الى غير ذلك من الكائنات الحية .

فهناك فروقا أساسية بين جميع أنواع الحيوانات ، بينها وبين بعض من ناحية ، ثم بينها وبين الانسان من الناحية الأخرى . وهذه الفروق تشريحية فى طابعها تعتمد على أجهزة الجسم والجهاز العصبى على وجه التحديد ، وهذه الفروق يحافظ عليها النوع الواحد لتظل مقصورة عليه طيلة بقاءه واستمراره على ظهر الأرض . وسبيل هذه المحافظة هو انتقال الخصائص السائدة بين النوع الواحد بالوراثة .

غير أن الوراثة وان كانت علة الانتقال بالخصائص التركيبية للكائن الحى من جيل الى جليل الا أنها لاتصلح وحدها تفسيرا مناسبا بغير الالتفات الى ما للبيئة من أثر لا يقل أهمية عن أثر الوراثة . والبيئة مفهوم واسع متعدد المراحل ، حيث نجد البيئة الطبيعية ثم البيئة الاجتماعية ، هذا بعد الميلاد . أما قبل الميلاد فان الحديث عن البيئة الرحمية وأثرها على الوصول بالخصائص الوراثية الى بر الأمان أمرا لا يقل أهمية عن البيئة بمعناها السابق .

ونحن عادة ما نستخدم تعبيرات شائعة ذات مغذى مضلل ، فنقول أن هذا الصبى قد ورث خفة دم أبيه ، أو عصبية أمه ، أو خشونة وصلف عمه .. الخ أو ذكاء أبيه أو قصر أمه ولون بشرتها ، وفى هذا القول الشائع شئ من الحقيقه وشئ من الخطأ . ذلك أن الحقائق العلمية تشير الى أن ماينقل بفعل الوراثه هو الخصائص

الجسمية البنائية أما الخصائص السلوكية فهى نتاج لتأثيرات البيئة ، وهى وان كانت تنقل من الوالدين — أحدهما أو كلاهما — الى الابناء انما تنقل بفعل وراثة اجتماعية (وراثة الخصائص المكتسبة) وليست الوراثة بمعناها البيولوجى .

والوراثة لا تعنى مطلقا مجرد الانتقال لخصائص الوالدين الى الابناء بنفس البساطة والسهولة التى تنتقل بها ملكية سيارة أو منزل من الأب الى الابن أو انتقال بعض مجوهرات الأم الى الابنة ... وانما انتقال هذه الخصائص المميزة للوالدين الى الابناء يتم وفق قوانين معقدة ، وظروف أكثر تعقيدا . فمن الثابت علميا أن خصائص الوالدين لا تنتقل الى الابناء كما هى دون حذف أو اضافة ، ذلك أنه قد يكون لدى الوالدين بعض الخصائص التى لا تنتقل الى الابناء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قد يورث الوالدين للابناء خصائص ليست ظاهرة عليهما (وان كانت موجودة فى حالة خمول) .

ومن الحقائق العلمية أننا لا نرث من الوالدين خصائص وصفات كما هى ، أو بمعنى آخر أكثر دقة لا نرث الخصائص والصفات بذاتها ، وانما نرث امكانية بروز هذه الخصائص والصفات . ومثال لذلك أننا لا نرث اللون الازرق للعينان — أو نرث عمى الألوان ، وانما نرث امكانية ظهور اللون الازرق للعينان أو عمى الالوان . وهكذا .. فالمورثات ، وهى ناقلات الوراثة ، عبارة عن جزئيات كبيرة — نسبيا — من المواد البيوكيميائية التى تتفاعل فى خلايا الكائن الحى لتنقل اليه أى صفة من الصفات ، كانت موجودة فى خلايا الوالدين .

وهكذا يخطىء من يعتقد أن السلوك الانسانى نتاج لعوامل الوراثة فقط ... ... كما يخطىء من يظن أنه بغير العوامل الوراثية يمكن أن ينتج السلوك . ذلك أن النمط الوراثى للتركيب البنائى البيولوجى هو الذى يحدد للكائن الحى امكاناته

الذاتية .. (وهذه الامكانات الذاتية منقوله اليه بفعل المورثات) .. كما تحدد له البيئة أى من هذه الامكانات سينمو ويوظف خلال مراحل الحياة .
مثال ذلك أن نمو العضلات لدى الجنين ، انما هو رهن بما ورثه من قوة أو ضعف فى هذه العضلات . فما أن تبدأ هذه العضلات البسيطة التكوين فى الظهور ، حتى توءتى انتفاضات حركية متكافئه فى شدتها مع مقدار القوة — أو الضعف — التى ورثتها . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فأن هذه العضلات — (وغيرها من خصائص) — لاتنمو فى فراغ ، وانما فى بيئة رحمية (بيئة ماقبل الميلاد) ، وقد تساعد هذه البيئة على توصيل الكم الموروث من خصائص وصفات الى النمو السليم المتكامل ، أو هى قد تعطله وتفسد الامكانات المورثة . فالطفل قد يرث عن والديه ذكاء مرتفع أو حتى ذكاء متوسط ، تنقل اليه — الى خلاياه — عن طريق المورثات . غير أن الأم قد تعرضت أثناء الحمل لنوع من الحمى أو الحصبة الالمانى الى غير ذلك من ظروف بيئية محضة ، هنا تتعرض الخصائص الوراثية الى الضرر والافساد فيتحول الذكاء الوقاد المرتفع الى الانخفاض الشديد أو الضعف بفعل تأثير البيئه .

وعلى هذا الأساس ، سوف نناقش فى هذا الفصل بشىء من الاستفاضة معنى الوراثة ومعنى البيئة . وماهى الخصائص التى تنقل بالوراثة وماهى الخصائص التى تنتج بفعل البيئة وتأثيراتها .. ولسوف نصل من ذلك الى مناقشة امكانية الكائن الحى الانسانى على التوافق والتكيف مع متطلبات الحياة بفضل مايرثه من خصائص وفى ظل الامكانات المتاحة فى البيئة المحيطة به .. ولن نخرج من هذا الفصل الا ونكون قد ألقينا ضوءا على ديناميات عملية الوراثة وقوانينها وميكانيزمات البيئة الرحمية والبيئة الاجتماعية وتأثيرهما على الكائن الحى وما ورثه من خصائص .. لنصل فى نهاية الفصل الى رأى المحدثون من علماء النفس ، من خلال ماقدموه من حقائق مدعومه بالكثير من التجارب الطبيعية والمعملية ، على أن التفاعل المستمر بين عوامل الوراثة

وظروف البيئة هو المسؤل عن خلق وتوظيف الامكانات المختلفة لدى الانسان والتى تظهر فى سلوكه وتصرفاته ومن ثم نصل الى المعنى المتفق عليه أن الشخصية هى دالة الوراثة والبيئة معا ، هى نتاج ضرب عوامل الوراثه x عوامل البيئة • وحين نتحدث عن الشخصية ، فأننا نعنى السلوك لأننا لا نستطيع أن نرى الشخصية ، ذلك المفهوم أو المكون الافتراضى، الذى لا يمكن ادراكه أو تلمسه ماديا ، وانما نحن فقط نستدل عليه من خصائص سلوكية يمكن لنا أن نقيسها بما لدينا من وسائل وأدوات القياس المألوفة •

الشخصية والسلوك : بين الوراثه والبيئة

يختلف الناس فيما بينهم اختلافات شاسعة فى الشخصية وبالتالى فى السلوك الذى يقومون به فى مناسبات مختلفة تبدأ بأنماط التحية والسلام والحديث والكلام وتنتهى بأعقد الاساليب السلوكية التى تتضح فى المحاورة والمداورة والصد والخصام والمعاندة والالتحام وما الى غير ذلك من أنماط سلوكية نشاهد بعضها فنعرفه ونرى الكثير منها فنأنف منه ونستهجنه ، ونستقبحه •

ولقد أصبحت حقيقة علمية خالصة أن هناك فروقا فردية قائمة بين الأفراد ، فى الخصائص الجسمية والقدرات الحسية الحركية والقدرات العقلية والنواحى المزاجية والخصائص الانفعالية وما الى غير ذلك من قدرات وخصائص وسمات تميز الأفراد • ويعنى هذا ضرورة البحث عن أصل ومنشأ هذه الفروق والاختلافات •

ومن العوامل الهامة التى يجب البحث عن مدى تأثيرها فى خلق وتكوين شخصية على وتيرة معينة تسلك بأسلوب معين بما يجعل هذه الشخصية " بصمة " ذات طابع

معين تختلف — كما تتفق — مع غيرها من شخصيات ، مجموعتين من العوامل هما (أ) العوامل الوراثية : التى تكون مسؤلة عن امتلاك الشخص لأجهزة تنفسية ومعدية وعصبية وغدية الخ تجعله قادرا — أو غير قادر — على التوافق والتكيف مع البيئة المحيطة ، ثم (ب) العوامل البيئية المختلفة : التى تتفاعل مع العوامل الوراثية لتزيد من كفاءتها أو تقلل من أهميتها ، لتكمل صقل ماورثه أو تحول دونه ، بما ينعكس أثره على الكائن الحى الانسانى فتكسبه القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة .

ولعل هذا يجعلنا نضيف الى قائمة تعريفات الانسان ، أنه حيوان متكيف ، لأنه يستطيع أن يكيف نفسه بدرجة أكبر من غيره من الكائنات الاخرى ، مع ظروف أصعب بامكانات هائلة ورث بعضها واكتسب بعضها الآخر من البيئة .

التكيف مع البيئة

مما لا شك فيه أن علم النفس تأثر تأثيرا عميقا بعلم الحياة ، فيما يتعلق بفكرة التطور . وجدير بالذكر أن الفيلسوف الانجليزى الأصل " هربرت سبنسر ... H . Spencer كان من المفكرين الأوائل الذين وضعوا التصور العلمى للمقارنة بين تأثير العوامل الوراثية والعوامل البيئية على اكساب الكائن الحى القدرة على التوافق مع الظروف المحيطة به للاستمرار فى الحياة .

ولقد نادى سبنسر — ضمن مانادى به من أراء — بضرورة فهم العوامل الوراثية المؤثرة فى نظام الغدد ومختلف أجهزة الجسم جنبا الى جنب مع فهم العوامل البيئية التى يتعرض لها الكائن الحى سعيا الى بلوغ فهم أفضل نحوه .

فمن المؤكد أن الانسان قد تزود بخصائص وراثية تمكنه من التوافق والتكيف مع

متطلبات البيئة دون الحاجة الى عملية تعلم طويلة المدى • ذلك لأن بعض عمليات التكيف هذه لاتحتاج الى أدنى قدر من التعلم بل هى طبيعية وتلقائية • ومن أمثلة ذلك الفعل المنعكس لغمضة العين — Pulperbral Reflex (*) • فلو اقترب شخص ما بأصبعه أو بقلم من احدى عينيك فأن جفنك يغمض (يرمش) تلقائيا وبسرعة غير عادية ليدرأ هذا الخطر الداهم دون تعلم •

وبالمثل هناك الفعل المنعكس لتضيق وتوسيع حدقة العين حسب كمية الضوء الذى نتعرض له • فأذا تعرضت العين لأضاء مبهرة ضاقت حدقة العين ، على حين أنها تتسع اذا قلت كمية الضوء — أو فى الظلام الدامس •

كذلك هناك أفعال يأتيها الانسان دون قصد أو تركيز ، بطريقة ميكانيكية ، بعد أن يكون قد تعلمها ، وعلى هذا فأن تكرارها يصبح من قبيل العادة الحركية الآلية • مثال ذلك المشى (*) والكلام (*) •

الوراثه — البيئة : ومفاهيم خاطئة

هناك الكثير من الأفكار الشائعة عن الوراثة والبيئة ، ربما يكون بعضها صحيحا ، غير أن بعضها الآخر خاطىء من غير شك • ولذا يتعين علينا أن نحدد هنا فى عجالة سريعة ماهو الصحيح وما وجه الخطأ فى مثل هذه الافكار الشائعة عن تأثير الوراثة وفى أى الخصائص وتأثير البيئة وفى أى الخصائص • ولسوف نعرض لهذه الافكار على النحو التالى :

(*) يعرف هذا الفعل المنعكس باسم المنعكس الجفنى •

(*) فمن الحقائق العلمية الثابته أن الانسان لايستطيع تعلم المشى قبل نضج الجهاز العصبى •

(*) كذلك لايستطيع تعلم الكلام الا بعد أن ينمو لديه كل من الجهاز العصبى والاحبال الصوتية •

١ ــ أن تأثير الوراثة يتوقف بعد الميلاد لتبدأ تأثيرات البيئة :

ومثل هذا القول خطأ شائع ، فتأثيرات الوراثه لا تتوقف بعد الميلاد كما أن تأثيرات البيئة تبدأ قبل الميلاد . وذلك لما يلى :

أولا : أن عوامل الوراثة قد تؤثر على الفرد طيلة حياته . فقد يتأخر ظهور تأثير بعض عوامل الوراثة الى مراحل متقدمة من عمر الانسان . ومثالا على ذلك فقد تكون هناك تأثيرات وراثية فى الغدة الجنسية . ومن المعروف أن الغدة الجنسية لا تنشط الا فى سن البلوغ وعلى هذا فتأثير هذه العوامل الوراثية لا تظهر على الانسان الا فى هذه السن . ومثالا آخر لفعل بعض عوامل الوراثة فى الكبر ظهور الصلع أو الاصابة بمرض معين فى سن معينة .

ثانيا : أن عوامل البيئة تنشط منذ بداية الحمل لا بعد الميلاد . فقد تتعرض الخلية الملقحة (الزيجوت) بأعتبار السيتوبلازم بيئة النواة (بما تحتوى عليه من كروموزومات وجينات) لبعض الخلل فى التفاعل الكيميائى فيؤدى الى افساد بعض العوامل المورثة أو تحدث طفرة فى الخصائص الوراثية . هذا من جانب ، ومن جانب ثانى فأن تأثير البيئة الرحمية قد يلعب دورا فى افساد بعض الخصائص الوراثية ، ومن هذه التأثيرات اصابة الأم أثناء الحمل بالحمى أو الحصبة الالمانى ، أو تعاطيها لمواد كحولية أو مخدرة أو تناولها لبعض العقاقير المهدئة أو التى تحتوى على مادة الكورتيزون أو ما الى غير ذلك . ومن ناحية ثالثة فهناك تأثيرات عملية التوليد حيث تتعثر الولادة فيلجأ الطبيب ــ أو القابلة ــ الى استخدام العنف أو بعض الأجهزة لاخراج الوليد ، مما قد يترتب عليه الاضرار بالجمجمة فيؤثر ذلك على الجهاز العصبى وعلى الذكاء وما الى غير ذلك من عوامل . كما قد تتعرض الأم أثناء الحمل لبعض

الانفعالات القوية التي تؤثر على التركيب الكيميائي للدم فيؤثر ذلك على مكونات الوليد الوراثية .

ولقد أمكن اثبات ذلك تجريبيا ، فأجريت تجارب على السمك وعلى الضفادع وعلى ذبابه الفاكهه (الدروسفيلا) حيث تعرضت أنواع منها في مرحلة ماقبل الميلاد لدرجات من الحرارة المرتفعة أو أضيف الى خليتها مادة كيميائية أو وضعت في الثلج لفترة .. الخ فأدى ذلك الى ظهور أجنة مشوهة من السمك (ذى عين واحدة أو عينان في جانب واحد) ومن الدروسفيلا (اضيف اليها بعض الاجنحة) ...أو الضفادع (ظهور رأسين في كائن واحد) الخ هذه التجارب التي تؤكد ماللبيئة الرحمية (قبل الميلاد) من تأثيرات قوية على الخصائص الموروثة (*)

٢ — الخصائص الجسمية مقابل الخصائص السلوكية : ايهما وراثى وأيهما مكتسب

ولعل المصدر الثاني الخطير من مصادر الخطأ الشائع ، عدم التفريق بين ماهو وراثى وبين ماهو مكتسب ، فيقال عادة أن الابن قد ورث عن أبية قوة شخصيته أو خفة دمه وذكاءه ، أو هو قد ورث عن أمه طول قامتها وغلظتها أو اكتئابيتها ... وفي هذا القول خلط واضح بين الوراثي والمكتسب في الخصائص الجسمية والسلوكية ولسوف نعلم أن الوراثه لايمكن أن تتعدى — بطبيعة الميكانيزمات المستخدمة في عملياتها — حدود البناء الجسمي تركيبيا أما الخصائص السلوكية فهي من تأثير البيئة والنجال والمناخ وهكذا من تعبيرات تدل على وراثة من نوع آخر هي وراثة الصفات المكتسبة بالمنشأ والتجاور البيئي والتنشأة الاجتماعية وتأثيرات المجتمع .

(*) تراث علم النفس ملىء بمثل هذه التجارب ، ويمكن أن نحيل القارىء للاستذادة — الى المصادر الواردة في نهاية الفصل .

غير أن كل من الوراثة والبيئة يتفاعلان معا لاخراج خاصية معينة الى حيث الوجود • فموهبة الغناء تحتاج الى جهاز صوتى من نوع ما ، فأبن الموسيقار المطرب قد ورث عن أبيه مثل هذا الجهاز ، وقد تساعده الظروف البيئية المحيطة فى المنزل من جو التأليف والتلحين والغناء ومساعدة الأب والصقل المستمر من جانبه لأبنه قد يؤدى هذا الى اظهار عوامل الوراثة وقد تطمس هذه المعالم الوراثية نتيجة لعدم مساعدة البيئة لمثل هذا الولد أو رفضه لهذا العمل وهكذا • الوراثة وحدها اذن لا تكفى تفسيرا لكل الخصائص الجسمية والسلوكية لدى الانسان •

الوراثـــــه

تهدف الوراثة الى المحافظة على الصفات العامة للنوع والسلالة وتعمل علـــــى نقلها كما هى من جيل الى جيل • والوراثة وهى تنقل خصائـص النوع من جيل لآخــر تعمل على المحافظة على التوسط والاتزان بمعنى أنها تجعل معظم أفراد النـــــوع يحملون الخصائص والصفات القريبة من المتوسط والبعيدة عن الشذوذ • سواء كـــان هذا الشذوذ هو الزيادة أو النقصان • فالاب الطويل ينجب طفلا أطول مــــــن الاطفال العاديين لكنه أقل طولا من أبيه • والاب القصير ينجب طفلا أقصر مـــــن الاطفال العاديين لكنه أطول من أبيه • وبهذا يحافظ الجنس البشرى علــــــى الخصائص العامة له طيلة استمرار الحياة •

ماذا تعني الوراثة اذن ؟ !

يخطىء من يظن أن الاجابة على هذا السؤال أمر هين ، ذلك أن هناك مصادر خلط كثيرة تعترض التفريق أو التمييز بين ماينقل للانسان بالوراثة وماينقل اليه بالاكتساب .

فهل تعني الوراثة مقدار التشابه بين الخصائص التي يمتلكها الكائن الوليد وتلك التي يمتلكها الوالدان (أحدهما أو كلاهما) ؟ ان هذا المعنى قد لايكون دقيقا للغاية . لأن الكائن الوليد قد يتزود ببعض الخصائص التي قد يحملها الوالدان (أحدهما أو كلاهما) ولاتبدو عليهما ، لعوامل سنتحدث عنها باستفاضة فيما بعد ، هم فقط حملة أمانة سلموها لصاحبها ولم يستفادوا منها .. فمن الثابت أن الانسان لايرث خصائصه عن الآباء فقط بل عن الاجداد أيضا ، وقد تصل للكائن الحي الانساني بعض الخصائص عن الجد السابع في ترتيب شجرة العائلة (*) وهذا مايفسر ظهور خاصية لدى أحد الأبناء لزوجان خاليان من هذه الخاصية (**)

فقد يتزوج رجل ذي ذكاء عادي بامرأة على شاكلته ، وقد ينجبان ضمن أولادهما طفل متخلف عقليا . وقد يتزوج رجل أبيض البشرة بامرأة على شاكلته وقد ينجبا ضمن ماينجبان من أطفال ، طفل أسمر البشرة . واذا مابحثنا في شجرة العائلة الأولى وجدنا أحد الأجداد (للأب أو الأم) كان على درجة ما من التخلف العقلي ، واذا مابحثنا في شجرة العائلة الثانيةوجدنا بالمثل أن أحد الأجداد (للأب ــ أو الأم) كان من أصل نوبي .

غير أنه يمكن أن لانجد أحدا ضعيف العقل في شجرة العائلة الأولى أو أسمر البشرة في شجرة العائلة الثانية ، وهنا تظهر تعقيدات قوانين الوراثة ، اذ تكون الخاصية الناشئة سواء كانت الضعف العقلي أو سمرة البشرة ، قد ظهرت (نتيجة لاختلال في بيئة ماقبل الميلاد) كطفرة ــ mutation ــ لها قوانين سنعرض

(*) وقد وصل الحس الشعبي في أمثاله التي يصدرها الى هذا المعنى في الشكل القائل العرق يمد لسابع جدد ، مصداقا لما وصل اليه علم الوراثة .

(**) وحتى في هذه الحالة لانستطيع القول أنهما خاليان من الخاصية تماما لأنهما يحملانها في حالة خمول ، أي صفة متنحية .

لها فيما بعد .

وهكذا يتغير لنا أن الوراثة لاتعنى فقط مقدار التشابه بين خصائص الوليد بخصائص الوالدان . وربما تعنى الوراثة - فيما تعنى - كل العوامل التى يولد الكائن مزودا بها ، والتى تتكون لديه منذ اللحظة الأولى لبدء اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة ، أى قبل مولده بتسعة أشهر على وجه التقريب . حيث يحتوى الذيجوت (الخلية الملقحة) على كل خصائص الوالدان ، وهذه الخصائص بنائية أساسا ، أى متعلقة ببناء جسم الانسان ومابه من أجهزة . ومن الخصائص الوراثية الخالصة مايلى :

١ - شكل الجسم وهيئته
٢ - لون البشرة
٣ - هيئة الوجه وملامحه
٤ - لون الشعر ونعومته
٥ - نوع الدم وفصيلته
٦ - لون العين
٧ - مرض سيولة الدم (الهيموفليا)
٨ - عمى الألوان
٩ - الصلع
١٠ - مرض السكر

ميكانيزمات الوراثة :

تبدأ الحياة قبل مولد الكائن الوليد بنحو تسعة أشهر تقريبا ، ومعنى ذلك اذن أن تاريخ مولد كل منا قد سلخ منه هذه الفترة الزمنية التى نسقطها من الاعتبار . ولذلك يحسب الصينيون مرحلة ماقبل الميلاد (التسعة أشهر) ضمن عمر الفرد تصحيحا لهذا الخطأ الشائع الذى نقع فيه جميعا .

وبداية تكوين الكائن الحى الجديد تكون نتاج اتحاد بين خلية حية ذكرية (الحيوان المنوى sperm) وخلية حيه انثوية (البويضة - ovum) . وباتحاد

كل من الحيوان المنوى والبويضة ينتج الخلية الملقحة أو مايعرف بالزيجوت Zygote وبرغم أن هذا الزيجوت يتكون من خلية واحدة ذكرية وخلية واحدة أنثوية ، الا أن المكون الناتج لايكون خليتين بل هو أيضا خلية واحدة . وعلة ذلك أن الخليـــة الذكرية عندما تتحد مع الخلية الانثوية ، يتم دمج نواة كل منهما فى الآخر .

مكونات الخلية :

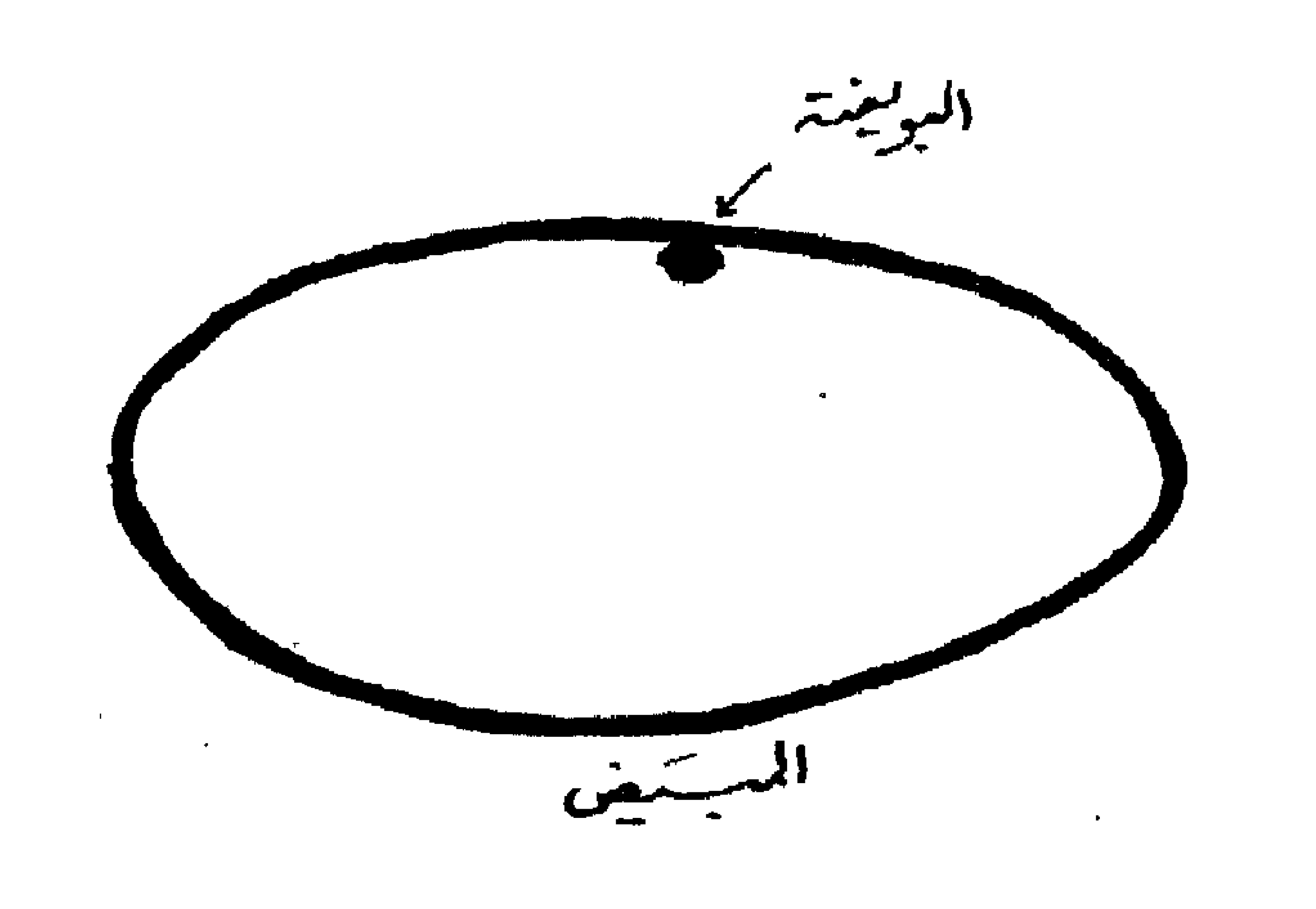
١ — الخلية الذكرية : هى الحيوان المنوى ، ويبلغ حجمة $\frac{١}{٤٠}$ من حجم البويضة، ويفرز الرجل فى كل جماع جنسى نحو ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ حيوان منوى .

٢ — الخلية الانثوية : هى البويضة ، وتبلغ فى حجمها مايماثل أربعون حيوانـــا منويا ، ومع ذلك لايصل هذا الحجم ثلث رأس الدبوس ،وهى تشغل حيزا صغيرا جدا من المبيض (أنظر شكل رقم (١)) وتنتج الانثى بيضة واحدة كل ٢٨ يوما (*)

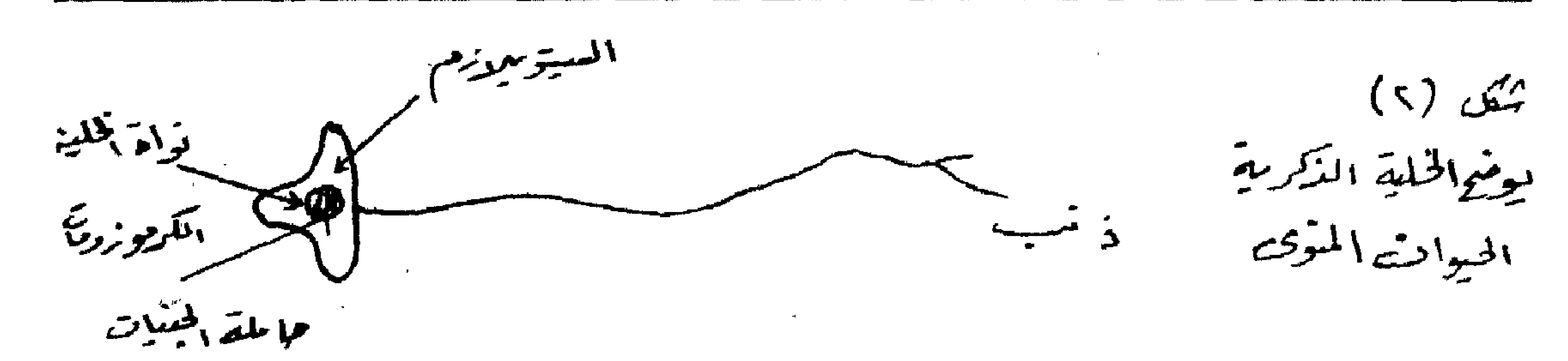
وتتكون الخلية (الذكرية أو الانثوية على السواء) من القلب (النـــواة Nuclus..) ثم الاطراف (أو السيتوبلازم Cytoplasm) وهى مادة هلاميـــة تعد بمثابة البيئة الطبيعية للنواة تؤثر فيها وتتأثر بها (**) وتحتوى نواة الخليـــة

(*) تمتلك الانثى عند مولدها نحو ٢٠٠,٠٠٠ بويضة فى المبيض . يضمر من هـــذا العدد الكثير قبل سن البلوغ ، ويتبقى نحو ٣٠,٠٠٠ بويضة بعد البلوغ ينضج منها نحو ٤٠٠ بويضة تقريبا خلال فترة الخصوبة . وهى تنتج بويضة واحدة كـل ٢٨ يوما ، وفى بعض الاحيان ماتنتج بويضتين ، فاذا ماتم تخصيبهما معا نتج عن ذلك توأمان أخويان

(**) ومن هنا تبدأ أولى تأثيرات البيئة على الخصائص الموروثة ، وهى البيئة الخلوية.



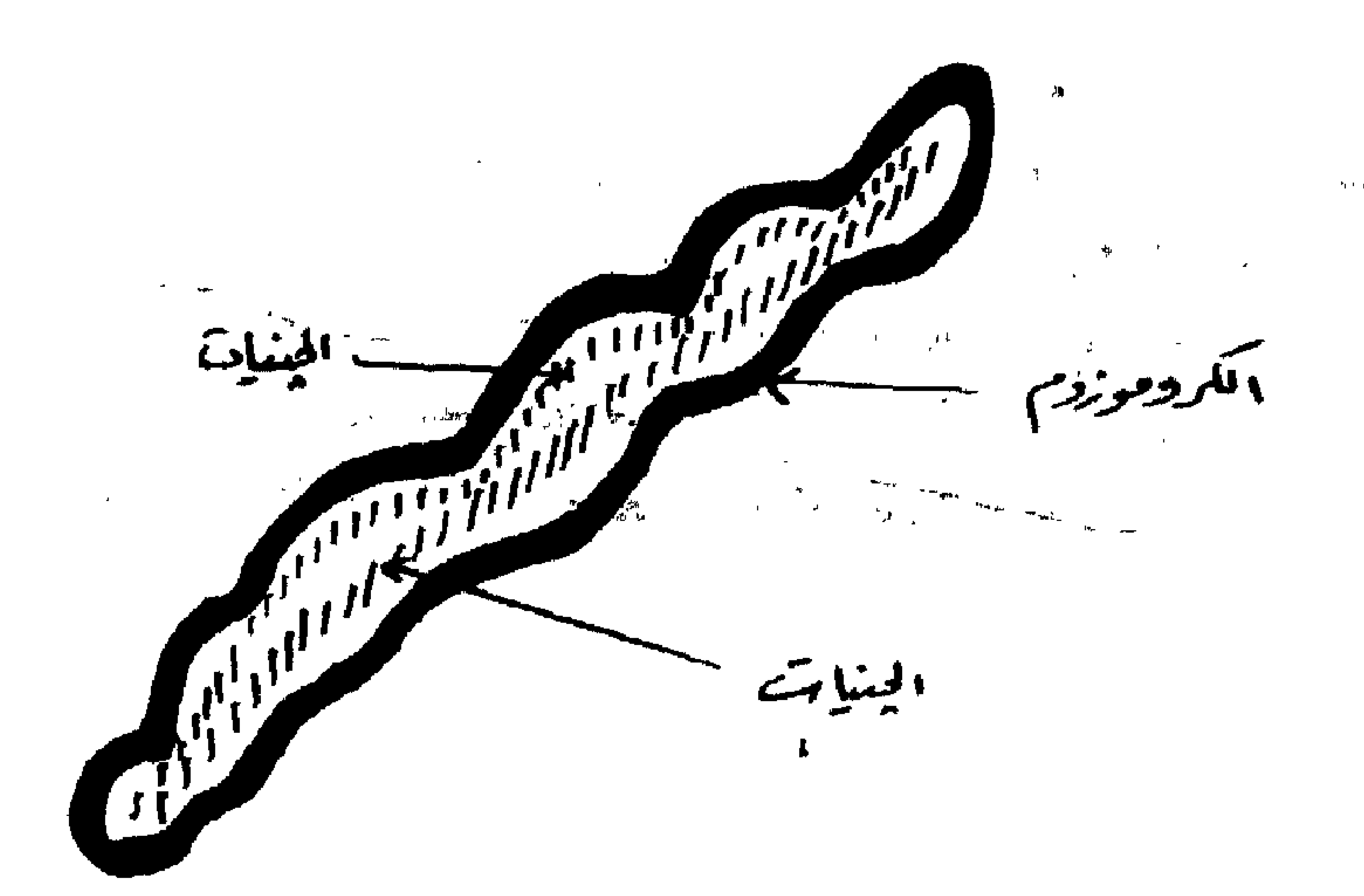
شكل (١)
يوضح موضع البويضة وحجمها بالنسبة إلى المبيض



شكل (٢)
يوضح الخلية الذكرية الحيوان المنوي

السيتوبلازم
الكروموزومات
نواة الخلية
حيوانات منوية

شكل (٣)
يوضح الخلية الأنثوية البويضة



شكل (٤)
يوضح الكروموزوم وعليه الجينات

الذكرية على أثنى وعشرين كرموزوما من الكروموزومات الذاتية (*) وكروموزوم خـــاص بالجنس ، وبالمثل يوجد نفس العدد من الكروموزمات فى نواة الخلية الانثوية (أنظر الشكل رقم (٢) والشكل رقم (٣)) . وعلى هذه الكروموزومات توجد آلاف الجينات أو كما تسمى بالمورثات (أنظر الشكل رقم ٤) . Genes والمورثات عبارة عـــن جزئيات من المادة الكيميائية التى تعرف بحامض ديو أكسى ريبو نيوكليك -Deoxy ribonuecleic .. والذى يشار اليه بالاحرف المختصرة (D.N.A .)(**) وتتجمع هذه الجزئيـات الكيميائية (المورثات) على شكل الاحبال المفتولة بحيـــث يتكون كل حبل من مادتين كيميائيتين مرتبطتين ببعضهما .

وهذه المركبات الكيميائية أربعة أنواع هى :

١ ـ الادنيـــن (A) Adenine

٢ ـ الثيميـــن (T) Thymine

٣ ـ الجوانيـــن (G) guanine

٤ ـ السيتوزيـــن (C) Cytosine

وتعمل هذه المركبات الكيميائية الاربعة عمل الشفرة التى تحمل الخصائـــص الوراثية وتتحكم فيها . ويكون ترتيب اتحاد مركبى الوراثة على النحو التالى :

(GC) or (CG) —— (TA) or (AT)

ان هذه الشفرة الرباعية ، تحمل فى طياتها كل المعلومات والبيانات اللازمـة لتحديد الخصائص الوراثية المختلفة .

(*) تسمى الكروموزومات أحيانا بالصبغيات . وهى تسمى كذلك لأنها لاترى عادة تحت الميكروسكوب الا أذا تم صبغها بأصباغ معينة حتى ترى .

(**) وهذه الكيميه الضئيلة جدا من حامض (D.N.A) هى المسؤلة عن نمـــو البويضة المخصبة حتى تتحول فى النهاية الى كائن حى جديد له خصائص معينة.

كيفية الانتقال الوراثى :

عندما يصل الحيوان المنوى (الخلية الذكرية الحية) الى البويضة (الخلية الأنثوية الحية) يخترق غلافها الخارجى ، وتلتصق نواته بنواتها ، ومن هنا تتحد الخليتان وتكونان لخلية واحدة كاملة (*)

وتتعرض هذه الخلية الكاملة (الزيجوت) لعملية انقسام تلقائى طبقا لمتواليات هندسية ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ وهكذا الى أن تصبح الخليـــة الأولى ((الزيجوت)) ببلايين الخلايا المكونة فى النهاية للكائن الجنين ثم الوليد .

وهذا الانقسام للخلية الأولى يؤدى الى تكوين خلايا جديدة تحمل نفـــس العدد من الكروموزومات الموجودة فى الخلية الأصلية (أنظر شكل رقم ، ... وما يستتبعه من أشكال) .

وهكذا يتبين لنا أن الكروموزومات الذكرية (وما عليها من جينات تحمل خصائص الأب) تتفاعل مع الكروموزومات الانثوية (وما عليها من جينات تحمل خصائـــص الأم) وهذا التفاعل ينتج عنه خصائص الكائن الوليد .

مراحل انقسام الخلية :

تمر خلايا الجسم الانسانى بمراحل من الانقسام ، ثم الاتحاد ، ثم الانقســـام موتا أنويا وهى تنتقل من جيل الى جيل . وتحدد فيما يلى هذه المراحل كما يلى :

(*) لأن الخلية الذكرية تكون خلية ناقصة بها ٢٣ كروموزوم وكذلك الخلية الانثويــــة وعند الاتحاد تتكون خلية كاملة بها ٢٣ زوجا من الكروموزومات الثابتة التـــى تزوج من الكروموزومات الجنسية كروموزوم منهما من الحيوان المنوى والكروموزوم الثانى من البويضة .

مراحل إنقسام الخلية - وتكاثرها

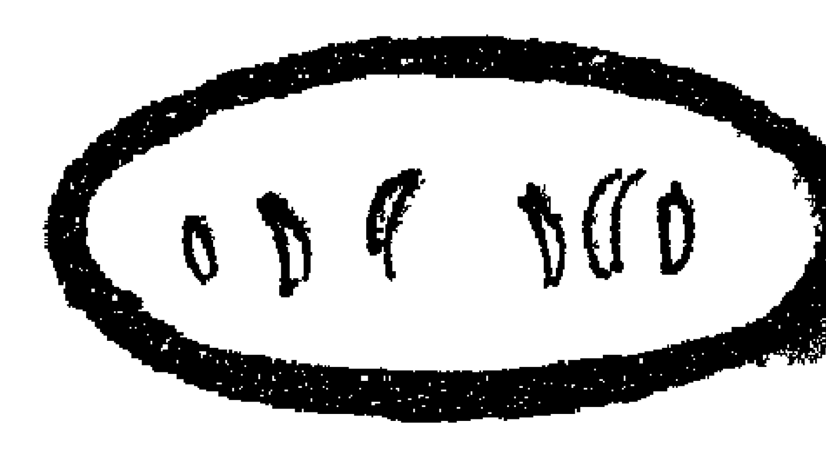
شكل (٥)
خلية عليها ثلاثة كرموزومات
للتوضيح
(قبل الإنقسام)

كرموزومات كاملة

شكل (٦)
خلية في حالة إنقسام
(أول مرحلة)

تنقسم الكروموزومات طولياً

شكل (٧)
ثاني مرحلة في الإنقسام



إنقسام تام للكروموزومات طولياً

شكل (٨)
مرحلة ثالثة للإنقسام

بداية تكوين خليتين وتتجه الكروموزومات
إلى جدار الخلية

شكل (٩)
مرحلة رابعة للإنقسام

بداية ظهور كامل لخليتين

شكل (١٠)
المرحلة الأخيرة للإنقسام



أولا : الانقسام الزوجى للخلية : الميتوسيس Mitosis Division

لقد سبق أن أشرنا الى أن الخلية الذكرية (الحيوان المنوى) بها ٢٣ كروموزوم ، يناظرها نفس العدد من الكروموزمات فى الخلية الانثوية (البويضة). وحين يتحد الحيوان المنوى بالبويضة فأن الزيجوت الناشئ (وهو خلية واحدة) يتكون من ٢٣ زوجا من الكروموزومات المتطابقة وهنا تكون الخلية كاملة .

وحين تنقسم هذه الخلية الكاملة فى عملية الانقسام العادية (الميتوسيس)، طبقا للمتواليات الهندسية التى أشرنا اليها (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ الخ) فأن الذى يحدث هو ازدواج الخلية الكاملة الاولى (الزيجوت) عن طريق انشقاقها طوليا ، كما سبق أن بينا ، بحيث تحتوى الخلية (الجديدة) الناشئة عن هذا الانقسام على نفس الخصائص التى للخلية الكاملة الاصلية (الزيجوت) (*) من كروموزومات وما عليها من جينات . وبذلك تتكون جميع الخلايا المكونة لجسم الانسان من ٤٦ كروموزوما (أى ٢٣ زوجا من الكروموزومات) .

ثانيا : انقسام التخفيض : Reduction Devision

وعند بداية مرحلة النضج الجنسى (**) يتم انقسام من نوع آخر للخلية ، انقسام فردى ، هو انقسام التخفيض .. Reduction Division ، وذلك عن طريق اختزال الكروموزومات المزدوجة (٢٣ زوجا) الى نصف عددها الأصلى

(*) حيث تنفلق الخلية الاصلية (الزيجوت) كما تنفلق حبة الفول أو الفاصوليا الى نصفان يحتوى كل نصف على خصائص النصف الآخر ، هذا مع الفارق فى التشبيه . وبذلك تصبح كل خلية ناشئة عن هذا الانقسام حاملة لنفس العدد الأصلى من الكروموزومات الموجودة فى الخلية الكاملة الاصلية ، أى ٢٣ زوجا من الكروموزمات وما عليها من جينات .

(**) عند بداية نشاط الغدة الجنسية فى مرحلة البلوغ ، وذلك بأفراز —

، ٢٣ كروموزوما مفردا) (*)

كذا ، بدلا من الاندواج الذى يحدث للخلية فى مرحلة الانقسام ميس) تتفرق الكروموزمات المزدوجة الى كروموزمات مفردة بحيث تتجه كل فردة لتكون خلية تناسلية وليدة .. Daughter Cell تمثل الحيوان المنوى لدى الذكر والبويضة لدى الانثى ، لتعود مرة ثانية (فى عملية التخصيب) متحدة ، مكونة خلية كاملة هى زيجوت جديد ينقسم انقساما زوجى حتى يكتمل الانسان ويصل الى النضج الجنسى لتنقسم خلاياه انقساما فرديا وهكذا تدور الحياة من الانسان الأول حتى قيام الساعة (**)

الطفرة . .. mutation

الطفرة ، هى قانون التحول الفجائى للخصائص الموروثة ، حيث تحدث حالة من التغير غير المتوقع فى الجينات (الموروثات) نتيجة لاضطراب فى التفاعل الكيمائى العادى فى الخلية الملقحة (الزيجوت) فتستحدث نتيجه لذلك خصائص وراثية جديدة تخالف الخصائص الوراثية التى نقلت فى كل من الحيوان المنوى والبويضة .

ولقد سبق أن بينا أن الخصائص الوراثية يتم نقلها عن طريق الجينات Genes التى تحملها الكروموزمات فى كل من الخلية الذكرية والخلية الانثوية (الزيجوت) ، كما أوضحنا كيف أن هذه الخلية الملقحة " الزيجوت " تتكون من النواة ، والسيتوبلازم وهو المادة الهلامية التى تعد بمثابة البيئة الطبيعية للخلية . وعلى هذا فالموروثات

= الحيوانات المنوية فى خصية الذكر وافراز البويضات فى مبيض الانثى .

(*) ويصح هنا أن نقول عن هذه الخلية بأنها خلية ناقصة ، أو غير كاملة ،

(**) أنظر قوله تعالى " كلكم من آدم وآدم من تراب " .

تتفاعل في مجموعات ، كل مجموعة متفاعلة مسؤلة عن خاصية بنائية معينة • فـــاذا ما سار التفاعل بطريقته العادية المألوفة انتج الخصائص التى يحملها الوالـــدان (أحدهما أو كلاهما) في الكائن الناشىء ، أما اذا تعرض هذا التفاعل للانحراف فأن الخاصية الناتجة في الوليد قد تكون غير موجودة أصلا في كل من الوالدان •ويكفي أن نعلم أن هناك أربعة أنواع من التفاعلات تحدث في الخلية الملقحه (الزيجوت) نوردها كما يلى :

١ ـ تتفاعل المورثات المسؤلة عن خاصية معينة (كلون العين مثلا) بعضهـــا ببعض ، فتؤثر وتتأثر بعضها والبعض الآخر •

٢ ـ تتفاعل المورثات مع المواد التى تصلها من البيئة المحيطة (الموجودة فـــى الكروموزمات الأخرى وما عليها من مورثات) أى مع النتائج الكيميائية للمورثـات الأخرى •

٣ ـ تتفاعل المورثات مع البيئة المحيطة بالنواة (السيتوبلازم)

٤ ـ تتفاعل المورثات مع البيئة الداخلية للنواة ذاتها •

وهذه التفاعلات المختلفة عملية معقدة للغاية ، وقد يؤدى الخلل في احداهما الى أحداث تغير فجائى (الطفرة) فتظهر على الكائن الوليد خصائص غير موجـــودة أصلا في أى من الوالدان أو الاجداد •

تحديد جنس الوليد الانسانى : ذكر أم أنثى ؟

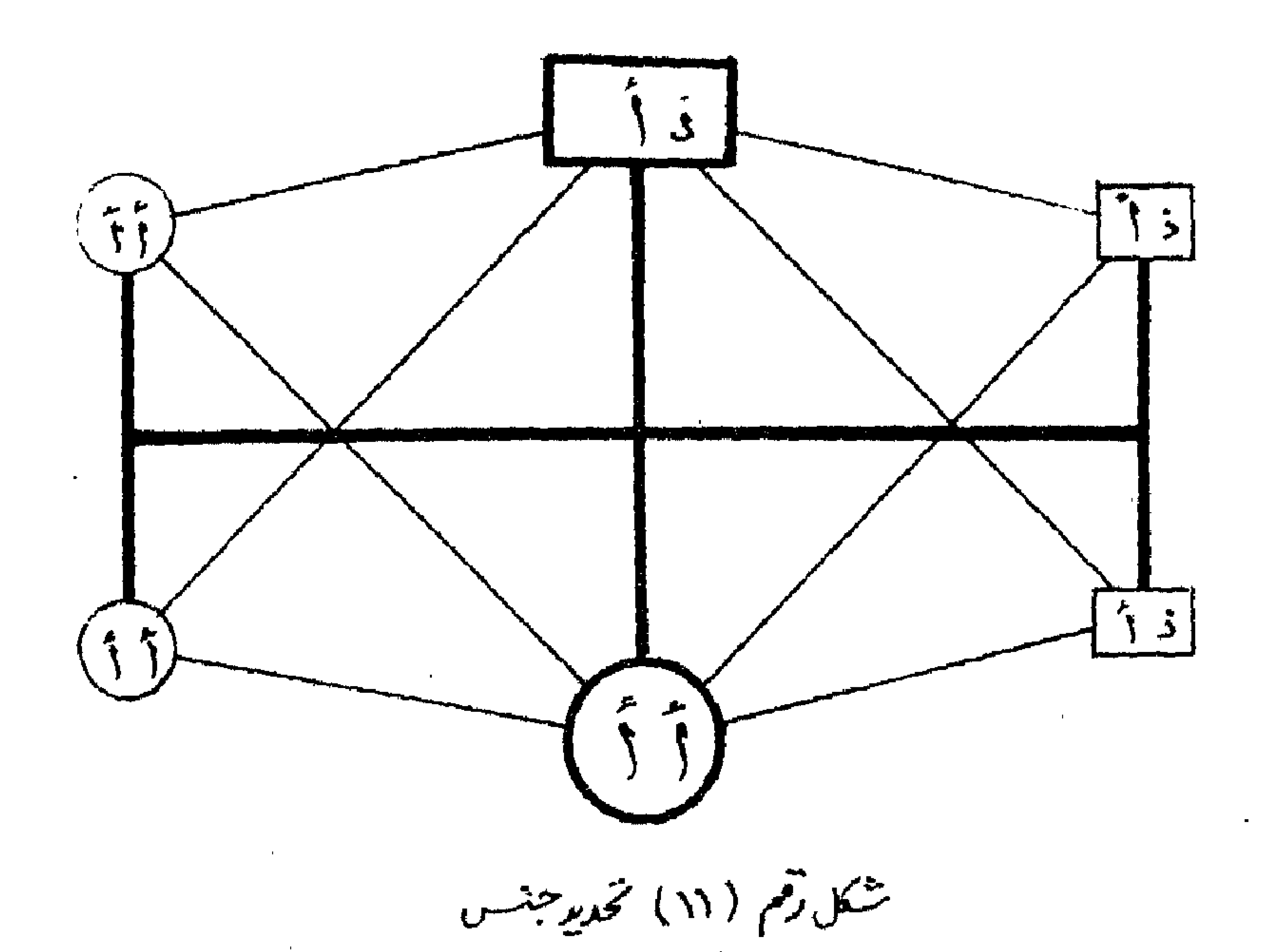
من الحقائق الهامة التى تكشف عنها قوانين الوراثة لدى الانسان ، حقيقتـان على جانب كبير من الأهمية ، الأولى : أن الرجل ـ لا المرأة ـ هو المتحكم فـــى تحديد جنس الوليد ذكر أم أنثى ، والثانية وهى تترتب على الأولى بالضرورة أنه يتحكم أيضا في المحافظة على نسبة الذكور الى نسبة الاناث ، بحيث يكون نصف المجتمـع ـ

(أى مجتمع) — من الذكور والنصف الآخر من الاناث .

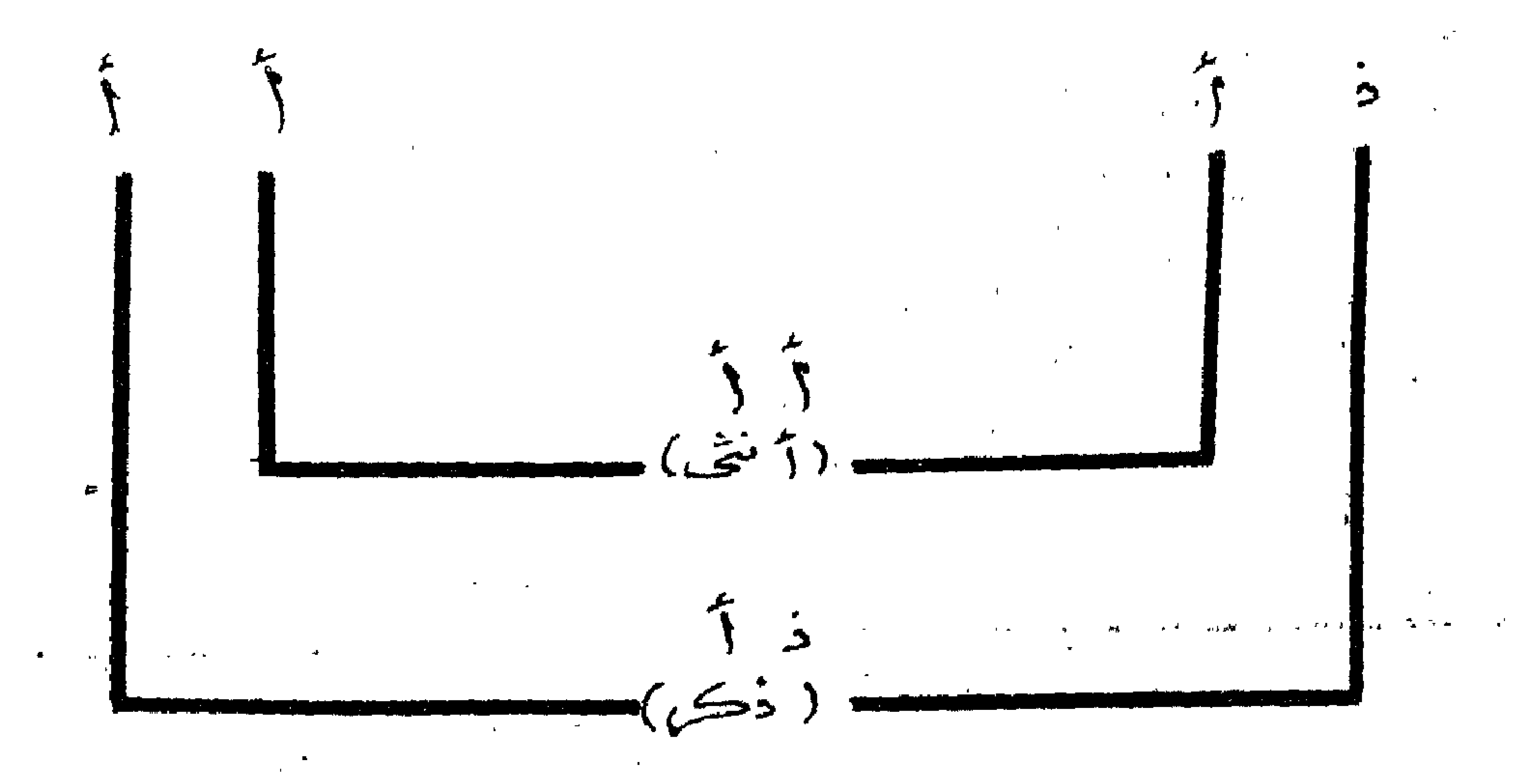
ولتوضيح ذلك نشير الى ماسبق أن بينا من أن كروموزوم الخلية الذكرية انما يحتوى على ٢٢ كروموزوما ذاتيا بالاضافة الى كروموزوم خاص بتحديد الجنس يسمى (كروموزوم الجنس) ، كذلك يوجد بالخلية الانثوية ٢٢ كروموزوما ذاتيا بالاضافة الى كروموزوم الجنس . والى هنا لم نضف أى جديد الى المعلومات السابقة . أما الجديد فهو أن نصف الخلايا الجنسية عند الرجل (الحيوانات المنوية) تحتوى على كروموزوم الجنس من نوع (ذ) أى ذكرى والنصف الآخر يحتوى على كروموزوم الجنس من نوع (أ) أى انثوى . بينما جميع الخلايا الجنسية عند الانثى (البويضات) تحتوى على كروموزوم الجنس من نوع (أ) انثوى .

وعلى هذا الأساس اذا أتحد حيوان منوى يحتوى على الكروموزوم الجنسى (أ) مع بويضة تحتوى على الكروموزوم الجنسى (أ) كان الوليد الناشىء أنثى ، على حين أنه اذا اتحد حيوان منوى آخر يحتوى على كروموزوم الجنس (ذ) (ذكرى) مع بويضة تحتوى على كروموزوم الجنس (أ) (أنثوى) كان الوليد الناشىء (ذكر)(*) ومن هنا يتضح أن الخلية الذكرية (الرجل) هى التى تتحكم فى جنس الوليد الناشىء ذكر كان أم أنثى . (أنظر الشكل رقم ١١)، وطبقا للشكل رقم (١٢) ، فانه اذا فرض وتم تلقيح أربعة بويضات بأربعة حيوانات منوية فانه طبقا لقانون الاحتمالات أن تنتج الخلايا المخصبة أربعة ذكور أو اربعة أناث أو ذكر وثلاثة أناث أو انثى وثلاثة ذكور والاحتمال الاخير هو اثنان ذكور واثنان أناث . وهذه الاختلافات واردة طبقا لعدد الأولاد فى كل أسرة ، وهى تنتج على مستوى السكان ككل فى أى مجتمع النصف ذكور والنصف اناث ، والذى يتحكم فى هذا بطبيعة الحال الخلايا الذكرية لا الأنثوية . ومن هنا يصبح الرجل المتحكم فى جنس الكائن الوليد من ناحية والمحافظة على تساوى عدد الذكور بعدد الأناث فى المجتمع الانسانى من الناحية الأخرى .

(*) حيث تكون السيادة للذكورة على الأنوثه .



شكل رقم (١١) تحديد جنس
الكائن الوليد



شكل رقم (١٢) تحديد جنس الوليد

الخصائص الوراثية السائدة والمتنحية (الخاملة) :

من أبرز الفوائد التى تقدمها لنا نتائج بحوث الوراثة وقوانينها ـ أن الخصائص التركيبية البنائية للجسم الانسانى يمكن الاستدلال عليها مقدما فى الكائن الوليد بمجرد معرفتنا بالخصائص التركيبية البنائية للوالدان عن طريق القياس البيولوجى Biometrica والقياس البيولوجى لا يعنى فقط التعرف على الخصائص السائدة Domminant بل هو يعنى أيضا تلك الخصائص أو المتنحية Recessive لدى الوالدان (أحدهما أو كلاهما) .

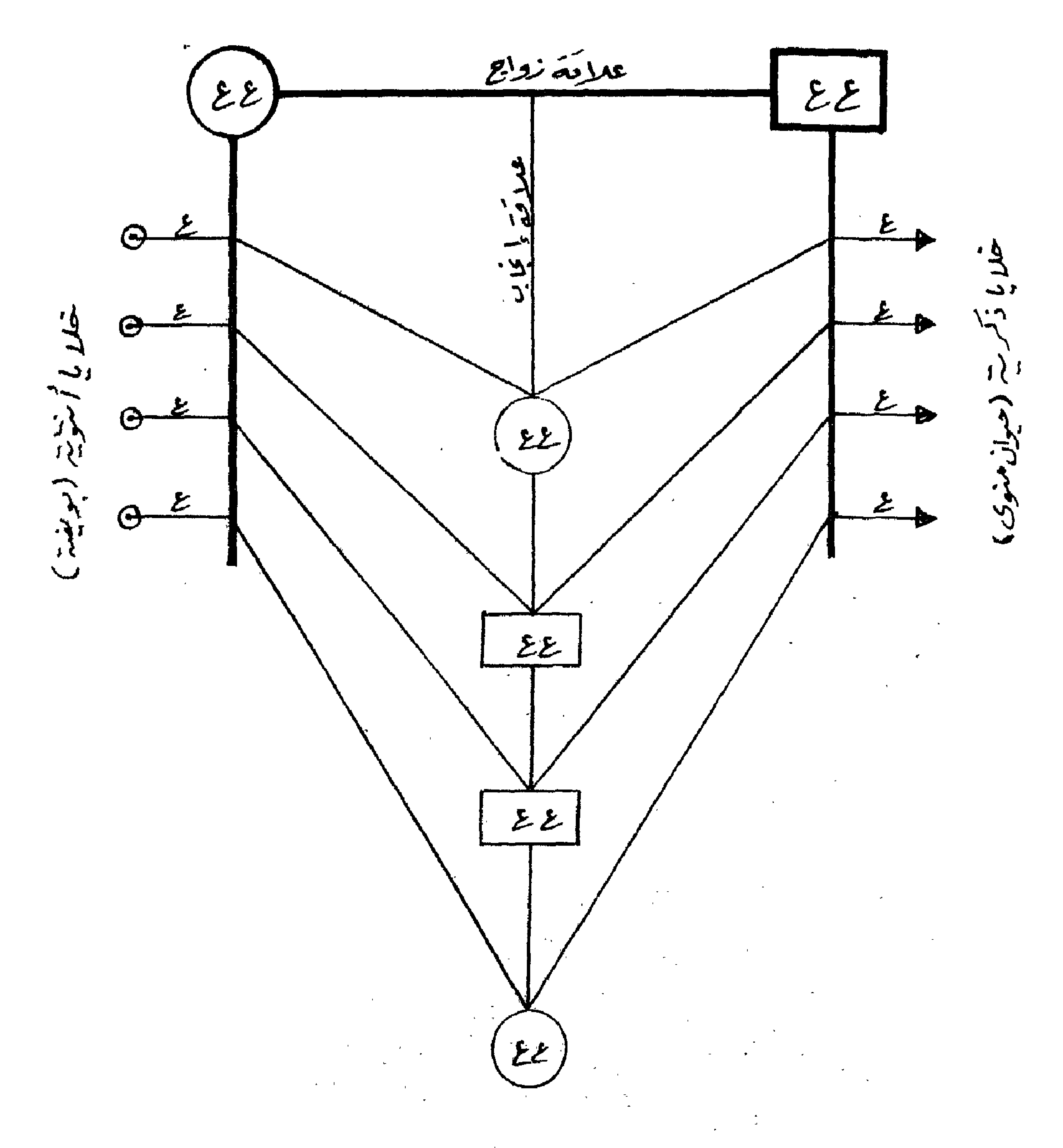
ومعنى الخاصية السائدة ، هو أن يحمل الانسان خاصية معينة وتظهر عليه فى وضوح فتبدو واضحة جلية كأن يكون "ضعيف العقل" مثلا أو كأن يعانى من "عمى الألوان" . لكن فى كثير من الاحيان ماتبدو على الكائن الوليد خاصية معينة كالضعف العقلى أو عمى الالوان ـ أو أى خاصية أخرى ـ لم توجد لدى الوالدان ، وفى هذه الحالة يمكن القول أن الخاصية كانت موجودة لدى الأب ـ أو الأم ـ فى حالة خمول أو تنحى (Recessive)

ولكى نتعرف على هذه الحقيقة نعرض فيما يلى لكيفية ظهور خاصية الضعف العقلى الوراثى من الآباء والاجداد الى الكائن الوليد . ولسوف نعرض لعدد من الحالات (أو الاحتمالات) على النحو التالى :

أولا : الحالة (أو الاحتمال) الأول : التزاوج بين المورثات الموحدة Homozygose

وهذا الاحتمال يتفرع عنه نوعان من الخصائص حسب نوع المورثات المتحدة ، فقد ينتج عنه ذكاء عادى لدى جميع الابناء أو ضعف عقلى لدى جميع الابناء . ومثال للذكاء العادى لدى جميع الابناء . اذا كان الأب حاصل على مورثات متحدة (هوموزيجوس) للذكاء (*) فانه اذا تزوج بأمرأة (هوموزيجوس) أيضا بالنسبة

(*) أى يكون قد تلقى وهو زيجوت بعد مورثات للذكاء العادى من الأب والأم ولم ـــ



شكل رقم (١٣) الحالة الأولى

التزاوج بين المورثات الموحدة (هوموزيجوس)

لنفس الخاصية (أى الذكاء العادى) وانجبا أربعة أولاد فأنهم جميعا يصبحـــون عاديون فى الذكاء ومن نفس النوع (هوموزيجوس) . أى أن الذكاء لهم جميعا صفة سائدة ولا يوجد ضعف عقلى فى حالة خمول البته . والشكل رقم (١٣) يعبر عن هذا الاحتمال أو الحالة وهى تمثل أى صفة أخرى أيضا غير صفة الضعف العقلى والذكـاء والتى سقناها فقط للشرح والتوضيح . وكمثال على الضعف العقلى ، فأنه اذا تـزوج رجل ضعيف العقل لديه الضعف العقلى صفة هوموزيجوس ، بأمرأة ضعيفة العقـــل لديها الضعف العقلى أيضا صفة هوموزيجوس فأن نتاجهما من الأولاد سيكون مـــن ضعاف العقول أيضا كصفة هوموزيجوس . فسيادة الضعف العقلى لدى الوالـــدان سوف تنتقل الى الابناء كما هى ، فأذا انجبا أربعة أولاد سوف يكونوا جميعا مـــن ضعاف العقول ونفس الشكل السابق يصلح للتدليل على هذا المعنى .

ثانيا : الحالة أو الاحتمال الثانى : التزاوج بين مورثات موحدة مع مورثات مختلفة

مثالا لذلك :

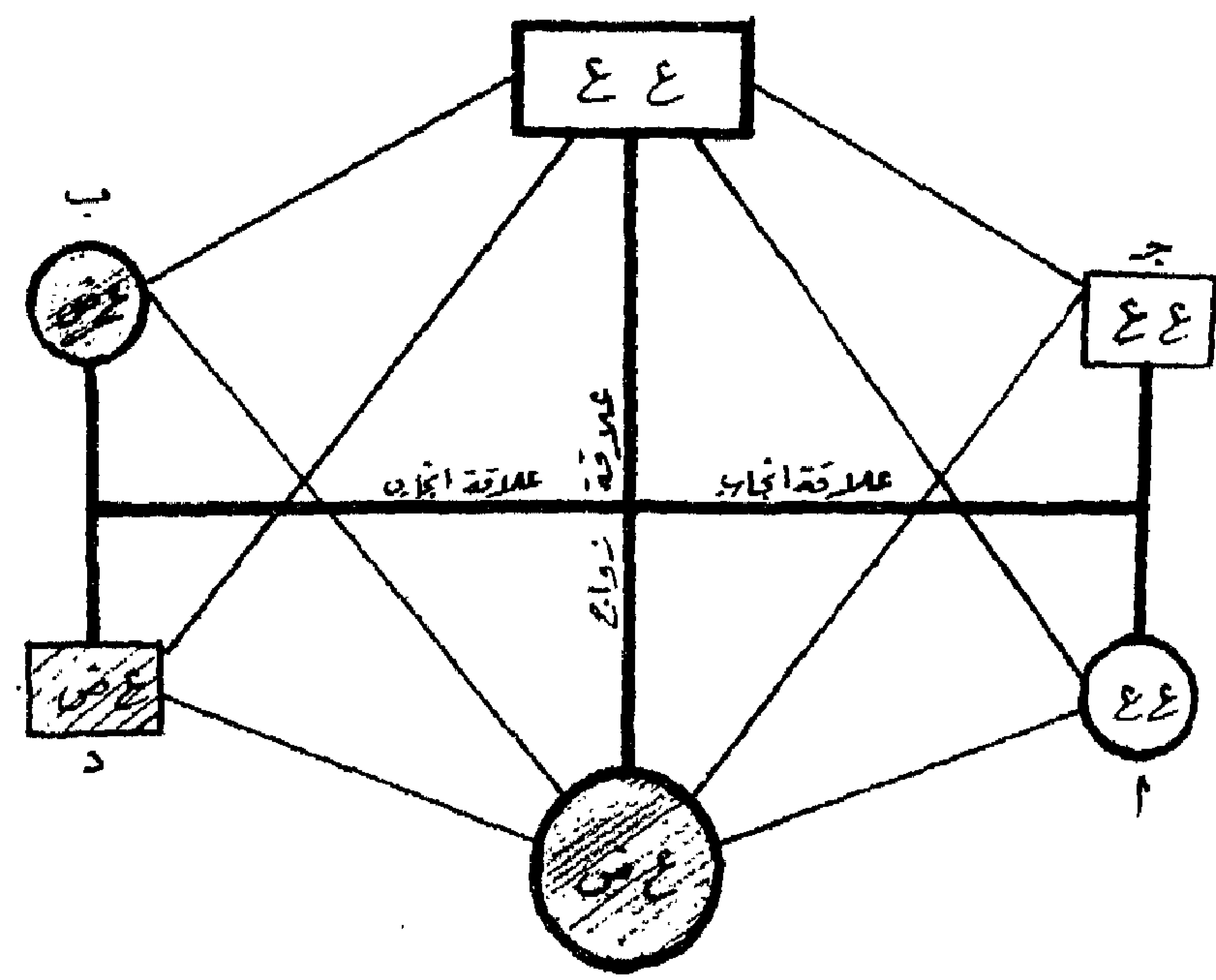
اذا تزوج رجل لديه خاصية الذكاء العادى هوموزيجوس بأمرأة لديها نفـــس الخاصية هيتروزيجوس Hetrozygose (*) فتكون الزوجة حاملة لمـــورث الضعف العقلى فى حالة خمول (كصفة متنحية) لا يظهر عليها ، وفى هذه الحالـــة اذا أنجبا أربعة أولاد فأنهم يكونون كما يلى

٢ ــ أذكياء هوموزيجوس (لا يحملون للضعف العقلى كصفة متنحيـة)

٢ ــ أذكياء أيضا لكن هتروزيجوس (حاملين للضعف العقلى كصفة متنحية . (أنظـر الشكل رقم ١٤) .

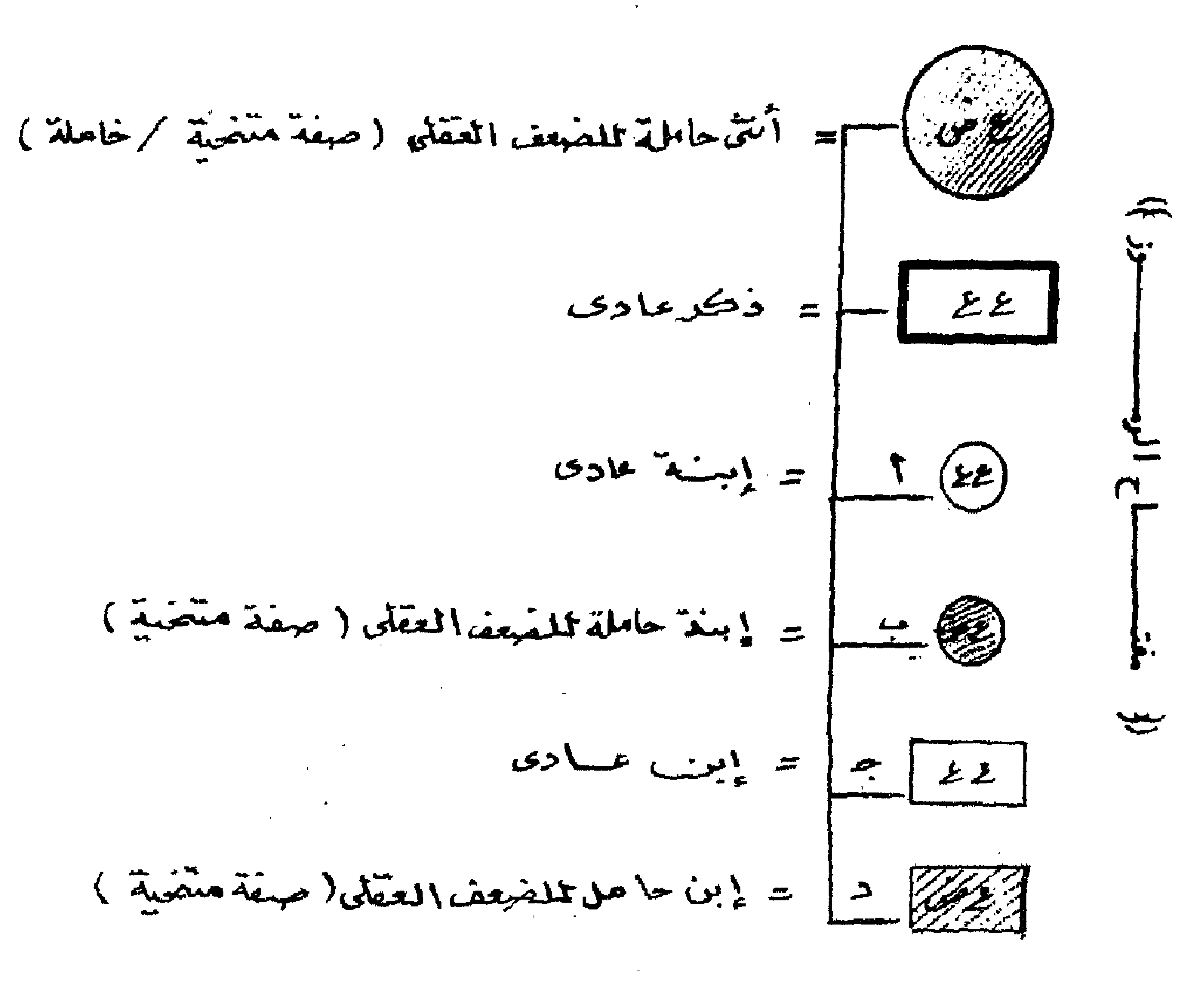
= يعطيه أى شهم مورث الضعف العقلى فى حالة خمول .

(*) وفى هذه الحالة تكون وهى زيجوت قد تلقت بويضة أو حيوان منوى به الضعـــف العقلى كصفه متنحية . وفى هذه الحالة تكون عادية الذكاء باعتبار أن الذكـــاء يسود على الضعف العقلى . الى أن يظهر الضعف العقلى فى ظروف سنشرحها .



شكل رقم (١٤) الحالة الثانية

التزاوج بين المورثات المختلفة (هتروزيجوس) مع
المورثات الموحدة (هوموزيجوس)



ثالثا : الحالة (أو الاحتمال) الثالث : تزاوج بين مورثات مختلفة مع مورثات مختلفة :

وفي هذه الحالة يكون الأب حامل لمورث الضعف العقلي في حالة تنحي (أي هتروزيجوس) وتكون الأم حاملة لمورث الضعف العقلي في حالة تنحي (هتروزيجوس أيضا) وصحيح انهما لن تظهر عليهما اعراض الضعف العقلي لسيادة الذكاء على الضعف العقلي لكن انتاجهما من الابناء سوف يتراوح بين الذكاء و الضعف العقلي الظاهر والضعف العقلي الخامل ، مثالا على ذلك اذا تزاوج رجل و امرأة من هذا النوع و انجبا أربعة أولاد فانهم سوف ينقسمون على النحو التالي :

١ــ ذكي تماما (هوموزيجوس) .

٢ــ ضعيف العقل تماما (هوموزيجوس) .

٣ــ أذكياء حاملين للضعف العقلي (هتروزيجوس) .

الشكل التالي رقم ١٥ يوضح هذه العلاقة .

حيث ع ع = طفل عادي الذكاء (هوموزيجوس)

ض ض = طفل ضعيف العقل (هوموزيجوس)

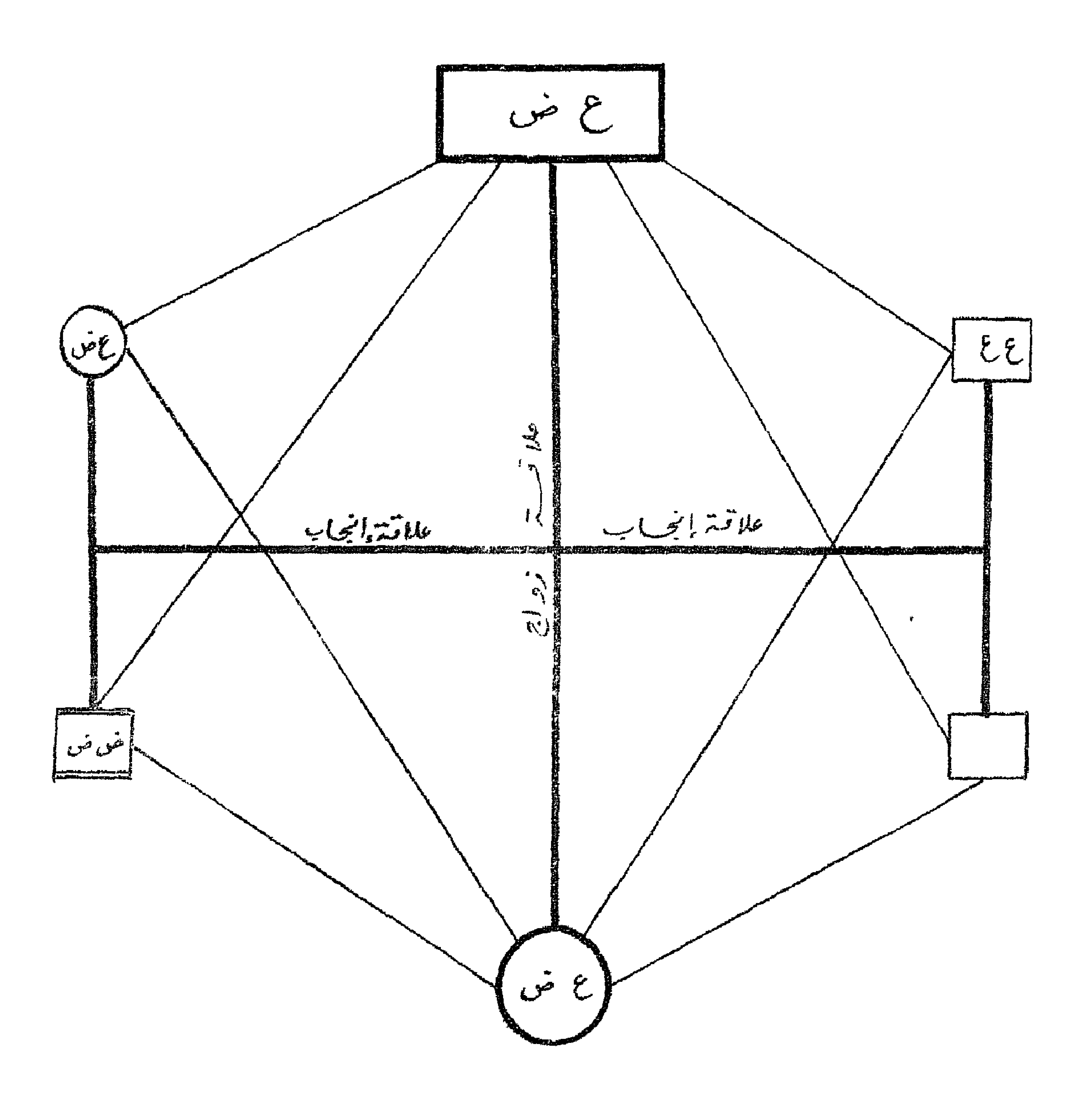
٢ ع ض = عادين الذكاء حاملين للضعف العقلي كصفة متنحية (هتروزيجوس) .

تتبع الخاصية العقلية (الضعف العقلي) وراثيا : " لثلاثة أجيال "

وكمثال على ما تقدمه لنا وسائل القياس البيولوجي Biomerrica من ادلة على انتقال الخصائص الجسمية و العقلية mental وراثيا ، تتبع احدى الخواص لعدة أجيال اما بالتقدم الى الأمام * أو بالرجوع الى الخلف** .

(*) تتبع الخاصية في الأجيال التالية .

(**) الرجوع لدراسة شجرة العائلة .



شكل رقم (١٥) الحالة الثالثة

التزاوج بين مورثات مختلفة مع مورثات مختلفة

ومثال على ما نود الاشارة اليه ، فالنفرض أن ذكر ضعيف العقل (هوموزيجوس) قد تزوج بامرأة عادية الذكاء (هوموزيجوس) غير حاملة لخاصية الضعف العقلي كصفة متنحاة . فما هي خصائص الابناء في أجيال ثلاثة متتاليه . أن المسألة سوف تختلف بالنسبة للاولاد تبعا لاختلاف الجيل من ناحية وتبعا لاختلاف علاقة التناسل داخل كل جيل ، ولنبين هذه العلاقات المتعددة نقدم الشكل رقم (١٦) حيث يبين مايلي :

١ - الجيل الأول :

الانتاج المباشر للزوجين أحدهما ضعيف العقل (هوموزيجوس) والآخر عادى الذكاء (هوموزيجوس) غير حامل للضعف العقلى) هو انهما اذا أنجبا أربعة أولاد سيكون أحدهم عادى الذكاء تماما (هوموزيجوس) وأحدهما ضعيف العقل تماما (هوموزيجوس) والاثنان الآخران عاديان الذكاء مع حمل مورث الضعف العقلى في حالة تنحى (هتروزيجوس) . انظر الجزء (١) من الشكل رقم (١٦) .

٢ - الجيل الثانى :

وفى الجيل الثانى أمامنا احتمالات كثيرة نذكر منها الاحتمالين الأول والثانى ونترك الاحتمال الثالث ليظهر من تلقاء نفسه فى الجيل الثالث .

أ - الاحتمال الأول :

تزاوج ذى الذكاء العادى (هوموزيجوس) بأمرأة عادية (هتروزيجوس) أى حاملة لمورث الضعف العقلى فى حالة خمول . الانتاج: أربعة أطفال عاديين الذكاء اثنان منهم لا يحملون الضعف العقلى كصفة متنحية (هوموزيجوس) والاثنان الآخران يحملان مورث الضعف العقلى فى حالة تنحى (هتروزيجوس) . ولفهم هذه العلاقة أنظر الجزء (أ) من القسم (١) بالشكل رقم (١٦) .

ب ـ الاحتمال الثانى :

تزاوج ضعيف العقل (هوموزيجوس) بواحدة عادية الذكاء لكنها تحمل مورث الضعف العقلى فى حالة تنحى (هتروزيجوس) • الانتاج : هو أربعة أولاد اثنان ضعاف العقول واثنان عاديان حاملان للضعف العقلى فى حالة خمول (هتروزيجوس) ولفهم هذه العلاقة ارجع الى الجزء (ب) من القسم (١) بالشكل رقم (١٦) •

٣ ـ الجيل الثالث :

وفى هذا الجيل ـ ولنفس التركيبة العائلية الاصلية السابقة ـ سيكون أمامنا ثلاثة احتمالات نبرزها كما يلى :

أ ـ الاحتمال الأول :

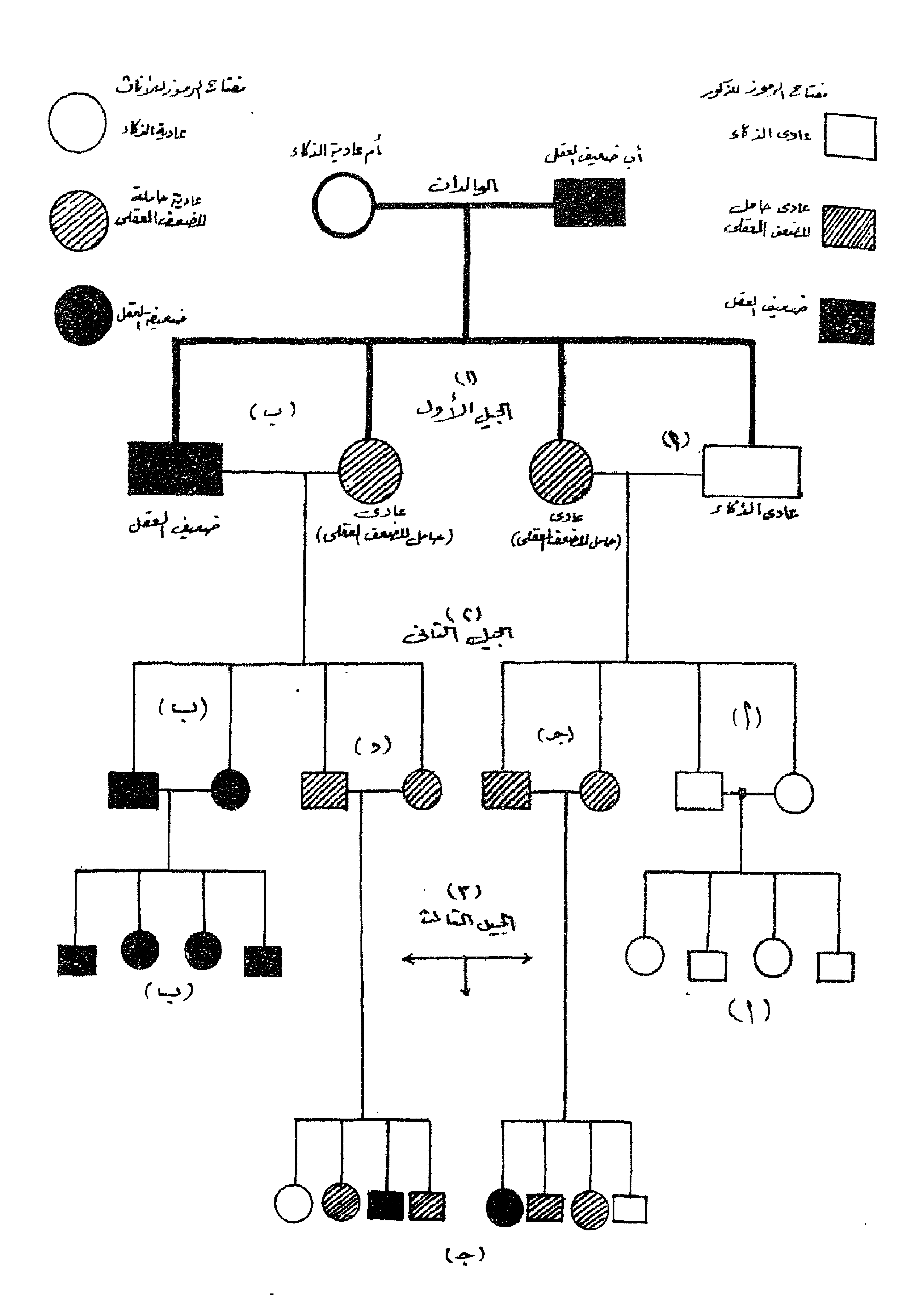
تزاوج بين اثنان عاديان الذكاء (هوموزيجوس) يمثله الجزء (أ) من القسم (٢) بالشكل رقم (١٦) والانتاج : أربعة أطفال عاديون الذكاء (هوموزيجوس) لا يحملون أى مورث متنحى للضعف العقلى (وبالطبع مايزيد عن هذا العدد من الاطفال سيكون حاملا لنفس الخاصية) •

ب ـ الاحتمال الثانى :

تزاوج بين اثنان ضعاف العقول (هوموزيجوس) ويمثله الجزء (ب) من القسم (٢) أيضا بالشكل رقم (١٦) • الانتاج أربعة أطفال ضعاف العقول (هوموزيجوس) ومايزيد عن هذا العدد من الاطفال سيكون الضعف العقلى مصيره •

جـ ـ الاحتمال الثالث :

تزاوج بين اثنان عاديان الذكاء كلاهما يحمل خاصية الضعف العقلى كصفة متنحية (الاثنان هتروزيجوس) ويمثل ذلك الجزء (جـ) من القسم (٢) بالشكل نفسه •



شكل رقم (١٦) تتبع خاصية الضعف العقلي في ثلاثة أجيال

الانتاج فى (أربعة أطفال) واحد ضعيف العقل وواحد عادى الذكاء واثنـان عاديان يحملان مورث الضعف العقلى فى حالة تنحى ٠

وهكذا ، اذا تزوج رجل ضعيف العقل بأمرأه عادية الذكاء فأنهما فى الجيل الأول ينجبان طفل ضعيف العقل ، يرتفع الى اثنان فى الجيل الثانى ثم يرتفع الـى جميع الابناء فى الجيل الثالث ، اذا تم التزاوج بين ذكر وأنثى ضعاف العقـول ٠ ومن نفس الشكل السابق يتبين لنا كيف أنه اذا تزاوج رجل بأمرأة عاديان الذكـاء يحملان مورث الضعف العقلى فى حالة خمول أو تنحى فأنهما ينجبان ضمن ماينجبـان من أطفال طفل ضعيف العقل كل أربعة أولاد ٠

وعلى هذا الأساس يكون من الثابت علميا عدم قبول فكرة التزاوج من بين الأقارب من نفس الخط العائلى ، باعتبار أن فرصة توارد صفات وراثية معينة فى الخـط العائلى أكبر من تواجدها فى المجتمع العام ٠

ووفقا لهذا الاستنتاج العلمى فأنه يمكن أيضا تحسين بعض الخصائص التـى تنتقل بالوراثة ، وهذا مايتبع فى النبات (حيث البحوث التى تجرى لتهجين أنـواع من النبات لتحسينه) وفى الحيوان (حيث تهجين سلالات نقية مع عادية لانتـاج سلالات جديدة — كتهجين البقر الفرزيان مع البقر المصرى لتحسين الانواع المصريـة) وهو مايحدث مع الانسان أيضا ، حيث الزواج الانتخابى بين أفراد مرتفعى الذكـاء لخلق جيل — أو أجيال — من العلماء والمخترعين كما يحدث فى كل من أمريكا وروسيا ، وهو ما استرشد فيه بالتجارب الشهيرة على الفئران ، التى أجراها عالم النفـس ترايون trayon والتى سنشير اليها فى الاجزاء التالية من هذا الفصل ٠

مناهج البحث المستخدمة لدراسة الوراثة :

فيما يلى نورد اشارة الى منهجان استخدما فى دراسة انتقال الخصائـص الوراثية الأول هو منهج دراسة الانساب (شجرة العائلة) والثانى المنهج التجريبى

الذى استخدم على النباتات والحيوان وهو يصلح على الانسان وان كانت دونه بعض العقبات التى سنشير اليها • وفيما يلى نموذجان يوضحان ماتودالاشارة اليه :

أولا : دراسة الانساب ــ شجرة العائلة ــ Pedigree

من بين المناهج التى استخدمت ــ تاريخيا ــ لدراسة وراثة الخصائص الجسمية والنفسيه منهج دراسة شجرة العائلة ، أى دراسة الانساب ، وتتبع الخاصية الموجودة لدى فرد بعينه لاثبات امتلاكها بالوراثة •

ولعل من الضرورى بمكان أن نشير الى أن أول من استخدام هذا المنهج هو عالم النفس الانجليزى ، السير فرانسيس جولتون Golton. F (*) وقد أدى به ذلك الى تقديم عدة مؤلفات عن وراثة العبقرية والتفوق العلمى والاكاديمى ، حيث بدأ بدراسة عائلات مشاهير الكتاب والسياسين والاقتصاديين والقضاة ورجال العلم والفن فى المجتمع الانجليزى عن طريق فحص السجلات والوثائق والمستندات من جانب ، وعن طريق التقصى لاستكمال الفحص من جانب آخر • وقد توصل فى النهاية الى اثبات أن الشهرة والتفوق والعبقرية انما تسير فى عائلات بعينها عن طريق الوراثة ، فالموهوبون لهم اقارب موهوبين مثلهم ، وقد انتهى جولتون من دراسته هذه الى التأكيد على أن التفوق العقلى والذكاء مورث من الخط العائلى • ولقد ضمن جولتون فى دراسته المشاهير كما أشرنا ، فدرس عائلة الموسيقار الشهير " باخ " ورجع الى

(*) وقد انشغل جولتون أكثر من ثلاثين عاما بقضايا الوراثة ، وأصدر أول كتاب له يحمل عنوان (العبقرية الوراثية) عام ١٨٦٩ بعد عشرة أعوام فقط من صدور كتاب تشارلز داروين " أصل الانواع " كما قدم للفكر السيكلوجى بعد ذلك عدة مؤلفات منها ، رجال العلم الانجليز ١٨٧٤ ، ثم الوراثة الطبيعية عام ١٨٨٩، وكانت اراءة عن الوراثة التى قدمها عام ١٨٨٣ عن (تساؤلات فى الملكات الانسانية) سببا مباشرا فى اصدار مجلة القياس البيولوجى Biometrica =

الوراء لسنوات عدة لمعرفة الأجيال السابقة في عائلة هذا الموسيقار العالمي ، فوجد أن عدة أجيال ممتدة من أسرته قد تمايز أفرادها بالموهبة الموسيقية الفذة مما دعم لديه تصوراته عن أثر الوراثة .

مستوى القرابة / نوعية المشاهير	القضاة	الحكام	المديرون	الأدباء	العلماء	الشعراء	الفنانون	رجال الدين	القادة
الأب	٢٦	٣٣	٤٧	٤٨	٢٦	٢٠	٣٢	٢٨	٣١
الأخ	٣٥	٣٩	٥٠	٤٢	٤٧	٤٠	٥٠	٣٦	٤١
الابن	٣٦	٤٩	٣١	٥١	٦٠	٤٥	٨٩	٤٠	٤٨
الجد	١٥	٢٨	١٦	٢٤	١٤	٥	٧	٢٠	١٧
العم	١٨	١٨	٨	٢٤	١٦	٥	١٤	٤٠	١٨
ابن العم	١٩	١٨	٣٥	٢٤	٢٣	٥٠	١٨	٤	٢٢
الحفيد	١٩	١٠	١٢	٩	١٤	٥	١٨	١٦	١٤
والد الجد	٢	٨	٨	٣	—	—	—	٤	٣
أخ الجد	٤	٥	٨	٦	٥	٥	٧	٤	٥
أول ابن عم	١١	٢١	٢٠	١٨	١٦	—	١	٨	١٣
حفيد الأخ	١٧	٥	٨	٦	١٦	١٠	—	—	١٠
ابن الحفيد	٦	—	—	٣	٧	—	—	—	٣
الأقارب البعيدون	١٤	٣٧	٤٤	١٥	٢٣	٥	١٨	١٦	٣١

جدول رقم (١) يبين نتائج دراسة جولتون عن وراثه العبقرية في خطوط عائلية معينة

— عام ١٩٠١ تم انشاء معمل الوراثه التابع لجامعة لندن عام ١٩٠٤ .

ولقد جمع جولتون بيانات عن ٩٩٧ فردا من مشاهير العلماء والاطباء والفنانون الانجليز ينتمون لنحو ثلاثمائة أسرة ٠ وفيما يبدو أن جولتون قد أنتصر فى دراسته هذه على أسر المشاهير لسهولة الحصول على بيانات دقيقة عن أسر معروفه بعراقتها وأصلها ونسبها فى انجلترا فى تلك الآونة ٠

ولقد حدد جولتون درجة الشهرة لعينة بحثه ، بأنها المكانة " ف " ٠٠٠٠ ( ) التى يصل اليها فرد واحد كل ٤٣٠٠ من أفراد المجتمع (*)
ولقد بدأ جولتون دراسته بأن حدد أشهر رجل فى الاسرة كمحك للاختيار كاطار مرجعى يبدأ منه فى تتبع شجرة العائلة لمعرفة انتقال الخاصية التركيبية البنائية أو السلوكية بالوراثة وقد أوردنا بالجدول رقم (١) ليبين نتائج دراسة جولتون ، حيث تتضح اعداد الاقارب المشهورين (النابغين) فى أسر المشاهير ومستوى القرابة ٠ ويتبين من هذا الجدول كيف أن العلاقة بالأب ، ثم بالأخ ، ثم بالابن ثم بأبناء العمومة هى فى المقدمة مما يعكس أثر الوراثة المباشرة فى نقل الخصائص المرتبطة بالنجاح والشهرة وهو ما أراد جولتون أن يثبته ويبرهن عليه من أن العبقرية موروثة ٠

ولقد علقت أنستازى وفولى على هذه النتائج بقولهما " أن هذه الاعداد للاقارب المشهورين لكل رجل مشهور فى فروع الشهرة المختلفة التى ذكرها جولتون توحى بقوة الى أن الشهرة تميل الى الظهور فى خط عائلى واحد ـ وهى قوية جدا بين الأب والأخ والابن والعم وابن العم وتقل بين الاقارب البعدون " ٠ أما أن العبقرية تورث فهذا موضوع آخر حيث أن جولتون أراد أن يؤكد فى دراسته أن العبقرية

(*) وكان اسلوب جولتون هو تحديد الدرجات التى يصلها بعض أفراد المجتمع بالقياس الى مجموع السكان وقد حدد الدرجة "ج" وهى التى يصلها فرد واحد كل ٧٩ ألف فرد فى المجتمع وهكذا حتى توصل الى الدرجة التى يصلها فرد واحد كل مليون فرد ٠

تورث بينما ترى كل من انستازى وفولى فى كتابهما (سيكولوجية الفروق الفردية) أن التجربة التى أجراها جولتون لم تتعرض لقياس أثر التدريب والتجاور البيئى وتوفير المناخ الملائم فى المحيط الاجتماعى للاقارب .

وعلى هذا فأن ماتوصل اليه جولتون يحتاج الى وقفة تأمل ، فيما يختص على الأقل بأثر البيئة فالقدرة الموسيقية قد تكون ذا أصل وراثى ، شأنها فى ذلك شأن القدرات أو الاستعدادات الفطرية ، لكن اليس من الجدير بالاهتمام أن ننظر فى أثر الجانب البيئى ؟ أن الآباء الاذكياء لاينقلون لابناءهم مورث الذكاء فقط والا لكان الأمر سهل وهين على كل انسان (بصرف النظر عن ظروف البيئة) أن يصل الى تحقيق أى شئ يريد ويملك القدرة على تحقيقه . وانما هؤلاء الآباء الأذكيات غالبا يهيئون لأبناءهم المناخ الملائم لتوظيف هذا الذكاء . ومن الأدلة التى لاتقبل الجدل والمناقشة أن الانسان مزودا بالقدرة على المشى على ساقين اثنين ، والوراثة تزوده بهذه القدرة ، غير أنه لو ترك منذ الصغر فى بيئة لاتسمح له بالحركة على قدمين فأنه سيسير على أربع من غير شك (*)

ولعل هذا مادفع فلوجل لأن يقول فى محاولة لتقييم أعمال جولتون أن الأمر مايزال فيه انقسام فى الرأى حول التأثير الأكبر لعوامل الوراثة أم لعوامل البيئة — لكن لايوجد ادنى شك فى أن نتائج دراسات جولتون عن شجرة الانساب تؤكد هذه الملاحظات الدقيقة لكن مع ذلك فأن تقدير الأهمية النسبية للخصائص الوراثية من ناحية وتأثيرات البيئة من الناحية الثانية أمر بالغ الصعوبة ، وقد عنى فلوجل بهذا

(*) انظر حالة طفل افيرون المتوحش حيث لم تسمح له البيئة الا بالسير على أربع كالحيوانات برغم أنه مزود بامكانية السير على اثنين . وهكذا لو ترك طفل منذ الصغر دون تدريب على الكلام لكانت النتيجة أيضا عدم القدرة على الكلام برغم أن لديه الاجهزة الصوتية التى تمكنه من الكلام والجهاز العصبى المناسب .

مانود الذهاب اليه من الذكاء وان كان وراثي فى الأصل الا أن البيئة قد تسمح لهذا الذكاء الموروث من التوظيف أو الكف وعلى حسب امكانات البيئة فى توظيف الذكاء يتوقف التفاعل بين المكونات الوراثية لتبرز أو تصدأ . وتفسير ذلك يكمن فى أن الذى ينقل بالوراثة من الآباء والاجداد الى الابناء هو المورثات ذاتها وليست الخصائص الوراثية ومظهرها الواضح كما سبق أن بينا ، وعلى ذلك فقد تتاح الفرصة فى البيئة لأن تنشط هذه الخصائص أو قد لاتسمح لها البيئة بالنشاط والظهور فتطمس . واذن الوراثة ليست بكافية فى حد ذاتها ، فالانسان يرث الامكانات والبيئة توظف — أو لاتوظف — هذه الامكانات .

ثانيا : تجارب الانتخاب الزواجي :

قدم مندل عام ١٨٦٦ (*) ضمن نتائج ابحاثه على نبات البازلاء ، عدة حقائق هامه عن الوراثة ، عرفت فيما بعد بقوانين مندل فى الوراثة . وقد هدفت هذه القوانين الى شرح كيفية الانتقال بالخصائص الوراثية من جيل الى جيل ، عن طريق التهجين أو الانتخاب المقصود سواء فى دراسة النبات أو الحيوان . وطبيعى أن يقتصر الأمر على التجريب فى الحيوانات الادنى من الانسان ، وذلك بدءا بالحشرات (التجارب التى أجريت على ذبابه الفاكهة المعروفة بأسم الدروسفيلا) ثم على الاسماك وغيرها من تجارب نقدم منها هنا كنموذج شديد الوضوح تجربة من

(*) وقد أشار مندل الى وجود العوامل الوراثية فى قوله "أن كل صفة وراثية يمكن أن يمثل لها بعاملين (يقصد كروموزومين أحدهما من الاب والآخر من الأم) لكن مندل لم يتوصل الى ذلك ولم يحدد موقع العاملين على الخلية حتى مات . وقد تتبع بحوثه من بعده كل من ساتون وبوفرى حتى قدما عام ١٩٠٤ نتائج بحوثهما على سلوك الكروموزومات عند الانقسام الخلوى ووضعا التصور السليم لموضع الكروموزومات وما عليها من جينات فى الخلية الذكرية والخلية الانثوية . ==

هذه التجارب والتى أجريت على الفئران البيضاء ؛ وفيما يلى نقدم ملخصا لاحدى هذه التجارب :

سلوك الفئران فى المتاهة : (ذكاء الفئران) :

تكونت عينة هذه التجربة من ١٤٢ فأرا سمح لكل منها بنحو عشرين محاولة لاجتياز احدى المتاهات والوصول من خلال ممراتها الى الهدف (الحصول على الطعام فى نهاية المتاهة) • وقد تولى الباحث السيكولوجى ترايسون tryon . تسجيل عدد الاخطاء فى كل محاولة لكل فأر من فئران المجموعة • وقد تمثل عدد الاخطاء فى دخول الفأر احدى الممرات المسدودة (الخطأ) للمتاهة • وبحساب الاخطاء تبين له أنها تتوزع توزيعا شبه اعتداليا فى الجماعة وتتراوح مدى الأخطاء من ١٧ خطأ الى ٢١٤ خطأ • وقد اعتبر ترايون أن الفئران ذات الاخطاء القليلة نسبيا فئران على قدر مرتفع من الذكاء ، بينما الفئران ذات الاخطاء الكبيرة نسبيا فئران ذات حظ قليل من الذكاء بينما الفئران ذات الاخطاء المتوسطة ، على قدر متوسط من الذكاء • وبناء على ذلك اختار ترايون الفئران ذات الذكاء المرتفع والفئران ذات الذكاء المنخفض ليجرى عليها التجربة التى سنشير اليها فيما يلى :

المجموعة (أ) فئران ذات ذكاء مرتفع
المجموعة (ب) فئران ذات ذكاء منخفض (ضعيفة الذكاء أو غبية)

ولقد سمح الباحث لفئران كل مجموعة من التزواج داخل نفس المجموعة ، وتتبع النتائج فى اثنى وعشرين جيلا متتاليا من النتاج فوجد أن الفروق قد تلاشت داخل كل مجموعة أى أن مجموعة الاذكياء تقاربت فى مستواها (لا أخطاء أو أخطاء

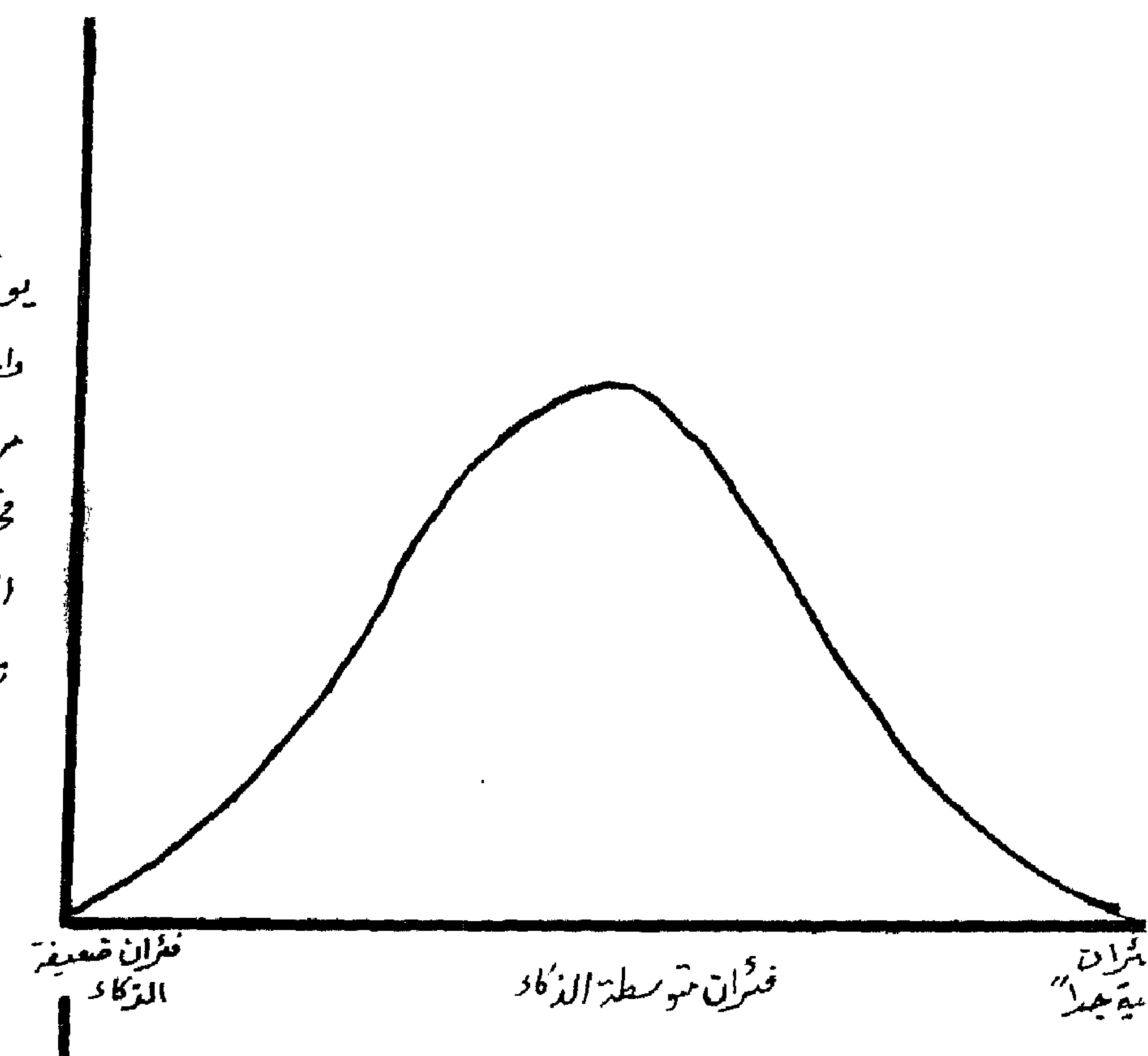
= وقد أكمل مورجان بحوثه التى استغرقت نحو عشرين عاما (١٩١٠ ـ ١٩٣٠) ـ ليؤكد الحقائق التى ذكرناها عن الوراثة •

قليلة مع ثبات الفرق) كما أن مجموعة الذكاء المنخفض تقاربت فى عدد الأخطـــاء (اذ بلغت أقصاها مع ثبات الفرق بينهما) ، وهكذا أدى هذا التزاوج الانتخابى الى تقليل الفروق الى أقصى حد ممكن داخل الجماعة كما اتسع جدا بين المجموعتين ، أنظر الشكل رقم (١٨) .
وقد أثبتت هذه التجربة بما لا يدع مجالا للشك أن خاصية الذكاء تنتقـــل بالوراثة ، هذه واحدة ، كما أن الانتخاب الزواجى يؤدى الى تحسين النســل فى أى خاصية وراثية (*)

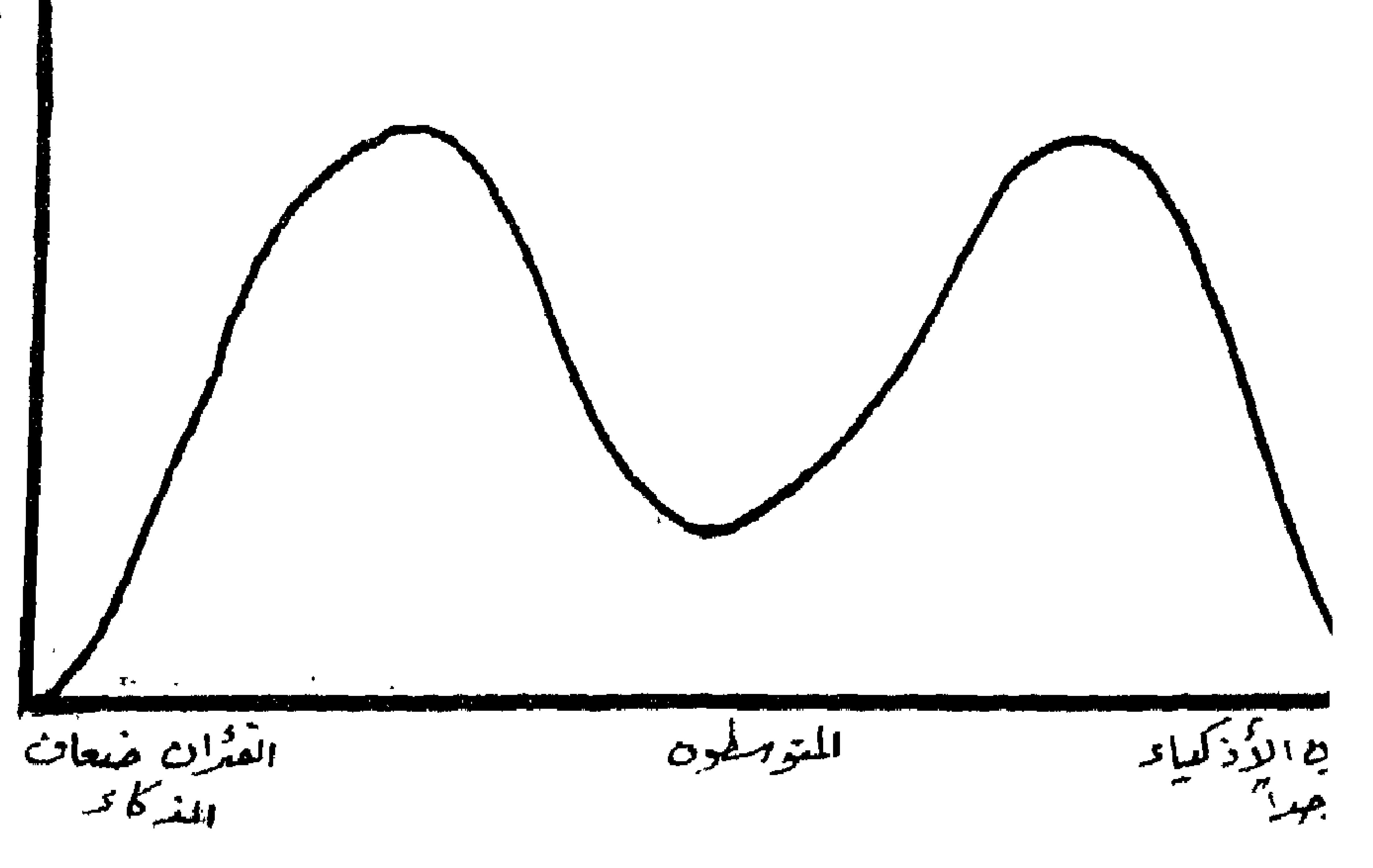
ولقد تابع ترايون هذه النتيجة بأن سمح بالتزاوج بين فئران الجماعة الذكية بفئران من الجماعة الضعيفة الذكاء فعادت الفروق والاختلافات الى شكلها السابــق (التوزيع شبه الاعتدالى للفروق فى الاخطاء) بعد عدة أجيال ، شكل رقم (١٧) .

ولكن برغم عدم القطع بأن سلوك السير فى المتاهة يعد نوعا من الذكـــاء لدى الفئران الا أنه قد تتدخل عدة عوامل وراثية أخرى فتؤثر على خصائص شـــل الصحة العامة ـ القوة العضلية ـ الاتزان الغدى ـ شدة الدافع للجوع ـ المستوى العام للنشاط ، كل هذه قد تعد عوامل مساعدة على السير فى المتاهة عنـــد الفئران . لكن حتى اذا صدق هذا ، فان التجربة التى أجراها ترايون قد أثبتت الانتقال الوراثى لهذه الخصائص وتحسينها لدى مجموعة منتقاة من الفئران ، هـذا من جانب كما أنه من جانب آخر من يستطيع أن ينكر أن هذه العوامل نفسها ، التى ذكرناها ، تتدخل فى تحديد الذكاء لدى الانسان ؟ حيث أن ذكاء الانســان

(*) وقد استخدمت بعض الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الامريكية والاتحـــاد السوفيتى هذه الحقائق لتحسين الذكاء لدى فئة الموهوبين والعباقرة لانتـــاج أجيال من العلماء والمخترعين منذ عام ١٩٥٢ وحتى الآن . وبرغم أن هـــذه الحقائق تعد سرية على نحو ما الا أنها تتسرب بشكل أو بآخر .



شكل (١٧)
يوضح توزيع الأذكياء والمتوسطون وضعاف الذكاء من الفئران كما هو الوضع في المجتمع العام (الانتشار العشوائي) يمثل توزيع ترايون لمجموعة الفئران في بداية التجربة .



شكل (١٨)
يمثل تعميق الفروق بين مجموعتي الأذكياء والأغبياء بعد الانتخاب الزواجي داخل كل مجموعة

لا يبدو الا من خلال مواقف حياتيه (بصرف النظر عن امكانية قياسه بالاختبارات المعدة لذلك) وهذه المواقف تحتاج الى تضافر كل هذه العوامل مجتمعة حتى يبدو سلوكه ذكيا أم غير ذكى .

دراسة الاسر المتدهورة : (المتخلفة عقليا)

قدم عالم النفس الشهير جودارد ، فى تاريخ القياس السيكولوجى ، وصفا لبعض الأسر المتدهورة (المتخلفة عقليا) فى ولاية نيوجرسى بالولايات المتحدة ، ليوضح تأثير الوراثة فى نقل خصائص الضعف العقلى فى خط عائلى واحد .

وقد عرفت هذه الدراسة فى تراث علم النفس النظرى بأسم دراسة أسرة الكاليكاك . Kalikak وهذه الاسرة ، ودراستها ، من المسائل الهامة التى تكشف عن انتقال خاصية الضعف العقلى وراثيا ، فالاسرة تتبع عن (جد) من أسرة طيبة عادى الذكاء تزوج فأنجب ولدا (مارتن كاليكاك) عادى الذكاء تزوج بزوجتين احداهما ضعيفة العقل والاخرى عادية الذكاء ونشأ عن هذا التزاوج فرعان الأول أدى الى خط عائلى ضعيف العقل (من الزوجه غير الشرعية ضعيفة العقل) والثانى أدى الى خط عائلى عادى الذكاء (من الزوجة الشرعية) . ولقد تتبع جودارد ما اتبعه جولتون فى دراسته للانساب (شجرة العائلة) وعاد الى الوراء بكل فروع الى الأصل الواحد الطيب (كاليكاك الجد) . وفيما يلى نقدم وصفا لهذه الدراسة :

لقد رجع جودارد الى أصل منشأ هذه الاسرة ، حيث تزوج رجل يدعى كسبار بأمرأة وكلاهما من مستوى ذكاء عادى ، فأنجبا ولدا هو كسبار الابن عام ١٧٦٥ ، وهو على قدر من الذكاء العادى ، تزوج كسبار الابن فأنجب كاليكاك (الجد) عام ١٧٩٠ . (انظر شكل رقم ١٩) الذى تزوج فأنجب مارتن كاليكاك

(الأب) عام ١٨٣٧ .

وعن هذا الأب (كاليكاك) تفرع فرعان للاسرة أحدهما عادى الذكاء والآخر ضعيف العقل .

ولنبدأ القصة من هذا الاب كاليكاك : كان مارتن كاليكاك ضابطا بالجيش فى حرب التحرير الامريكية ، وكون أثناء الحرب علاقة جنسية غير شرعية مع فتاة متخلفة عقليا فى أحد البارات فأنجب منها مارتن كاليكاك الابن ، ضعيفا عقليا ، فلما تزوج هذا الابن بفتاة عادية الذكاء انجب منها ولدا ضعيف العقل ، وفيما يبدو أن هذا الاخير تزوج بفتاة على شاكلته (ضعيفة العقل) فأنتجا بذلك ذرية ضعيفة العقل استمرت الى أن تكون خط عائلى متخلف عقليا كما هو واضح فى الشكل رقم (١٩) .

ولنعود الى مارتن كاليكاك الابن مرة أخرى ، حيث أنه تزوج بفتاة عادية الذكاء بعد ثلاثة سنوات من علاقته المحرمة بالفتاة ضعيفة العقل ، فأنجب منها فردريك وهو عادى الذكاء وخرج من هذا الخط عائلة عادية الذكاء . وهكذا تخرج عن مارتن كاليكاك الاب خطين لعائلتين الأولى ضعيفة العقل والثانية عادية الذكاء وهذا يشير بوضوح الى أن الوراثة قد لعبت دورا ميرزا فى نقل خاصية الذكاء وخاصية الضعف العقلى عبر الاجيال التالية .

البيئـــة

هى كل التأثيرات الداخلية والخارجية التى تباشر على الكائـن الحى أيا كان حيوان أم انسان . وهى بمعنى آخر أكثر دقـة كل العوامل والظروف الذاتية والموضوعية التى يتعرض لهـا الكائن الحى منذ بدء تكوينه داخل الرحم ، ثم بعد خروجـه الى معترك الحياة وحتى أن يتوفاه الله .

تأثيرات البيئة : Environment

حين نتحدث عن البيئة ، يهمنا ، في المحل الأول ، أن نزيل بعض مصادر الخلط والغموض من ذهن الدارس ، والقارئ المطلع ، والمتخصص ، عن معنى البيئة الذى نقصده هنا . والمعنى الذى يحسن لنا فيما يتعلق بتأثيرات البيئة كل العوامل والظروف الذاتية والموضوعية التى يتعرض لها الكائن الحى الانسانى منذ بدء تكوينة وحتى نهاية حياته " . ومعنى هذا أننا ندخل فى الاعتبار كل العوامل التى تتعرض لها الخلية المخصبة (الزيجوت) ثم العوامل والظروف التى يخضع لها هذا الزيجوت فى رحلة تطوره الى كائن حى متكامل بعد نحو تسعة أشهر فى رحم الأم ، ثم بعد ذلك لعوامل من نوع آخر فى البيئة الخارجية بعضها طبيعى مناخى ، وبعضها الثانى اقتصادى واجتماعى وثقافى ونفسى . وهكذا يدخلنا هذا المفهوم الدينامى للبيئة فى ديالكتيك متكامل بين الوراثة والبيئة . والانسان نتاج لهذا الديالكتيك . وفيما نعتقد أن هذا التصور يسمح لنا الآن بأن نشير الى المراحل المختلفة للبيئة وتأثيرات كل منها .

أولا : تأثير البيئة الخلوية : Cellular Environment

أن الحديث عن البيئة الخلوية انما يعنى هنا بيئة الخلية Cell ، فالنواه Nuclues. بيئة للكروموزومات وما عليها من مورثات ، والسيتوبلازم بيئة للنواة بما تحتويه من كروموزومات ومورثات .

ولقد سبق أن بينا كيف أن هناك تفاعلات كيميائية تتم بين المورثات المسؤلة عن خاصية معينة ، بعضها وبعض من ناحية ، وبينها وبين المورثات المسؤلة عن خاصية أخرى على نفس الكروموزوم من ناحية أخرى . كذلك هناك تفاعلات بين

الكروموزوم وما عليه من مورثات مسؤولة عن عدة خواص وبين الكروموزومات المختلفة في قلب النواة ، هذا من ناحية ثالثة . ومن ناحية أخرى فإن النواة بما فيها من كروموزومات تتفاعل مع بيئة الخلية (السيتوبلازم) وكل هذه التفاعلات المعقدة تحدث بالنسبة للخلية الاصلية (الزيجوت) بعد أن اكتملت وعند انقسامها الميتوزيسي mitosis الى بلايين الخلايا المكونة فى النهاية لكائن حى جديد قد تنقل اليه خصائص مسحوبة من الوالدين والاجداد . فأى خلل فى واحدة من عمليات التفاعل المعقدة التى أشرنا اليها يمكن أن يترتب عليه ظهور صفات أو خصائص جديدة لم تكن موجودة أصلا لدى الوالدان ، وهذا هو لب قانون الطفرة .

ولعل أهم تأثيرات تباشرها البيئة الخلوية على الخصائص الموروثة ، بخلاف تسببها عن الخصائص الجديدة (الطفرة) ، هو أنها تؤدى الى حدوث تباين واضح فى انتاج الخمائر (الانزيمات Anzyme) المطلوبة لاحداث التفاعلات الكيميائية اللازمة لعملية الانقسام الخلوى (*) وهذا التباين ينشأ عنه الاختلاف الموجود بين الاخوة الاشقاء وبين التوائم الاخوية ، والاستثناء الوحيد له هو فى حالة التوائم المتماثلة التى تنشأ عن بويضة واحدة ملقحة ، تتساوى فيها الخصائص الوراثية وتتشابه فيها البيئة الخلوية ، والبيئة الرحمية ، وإن اختلفت البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية بعد ذلك .

(*) ويرى علماء الوراثة أن هذه العملية اذا انحرفت عن مسارها العادى ولم تؤدى الى طفرة ، فأنها يمكن أن تؤدى الى بعض الاضطرابات كما هو الحال بالنسبة لمرض داون Down's Desease وهو أحد أنواع الضعف العقلى المعروف بالنوع المنغولى ... mongolism حيث تتخذ جمجمة الكائن الوليد المصاب به جمجمة أهل المغول ، حيث استطالة الرأس الى الوراء واتساع الجبهة العليا . وتبدو على صاحبه أعراض

ومعنى هذا اذن أن البيئة الخلوية مختلفة بالنسبة لكل أخ في الاخوة الاشقاء الناشئين عن أب وأم لهم خصائص وراثية ثابتة . وأن التفاعلات الكيميائية التي تحدث بالنسبة لكل خلية ملقحة ليست بالضرورة واحدة ، غير أن هذا المعنى قد يثير في ذهن المتفحص له أن البيئة الخلوية هي المسؤلة فقط عن أحداث الفروق والاختلافات بين الاخوة الاشقاء ، وبين التوائم غير المتماثلة (الأخوية) وهذا وهم خاطئ . ذلك لأن الوراثة لها دور مماثل ، لتأثير البيئة على خلق الفروق والاختلافات بين الاخوة . وتوضيح هذا الدور يكمن في الحقيقة العلمية المعروفة من أن المورثات المسؤلة عن أي خاصية وراثية ليست متساوية العدد في كل حيوان منوى للاب ولا في كل بويضة للأم . ومن هنا فأن اتحاد كل حيوان منوى للاب بكل بويضة للام ينشأ عنه في كل مرة أقدار غير متساوية من الخصائص الوراثية المختلفة مما ينشأ عنه تلك الفروق والاختلافات التي تزيد بين الاخوة غير الاشقاء وتقل نوعا ما بين الاخوة الاشقاء ، ثم تقل الى أقصى درجة ممكنة بين التوائم الاخوية لتلاشى تماما بين التوائم المتماثلة .

ثانيا : تأثير البيئة الرحمية (بيئة ماقبل الميلاد) : Prenatal Environment

منذ بداية الانقسام الذاتي mitosis للخلية الملقحة ، والذى سبق أن شرحناه ، تحدث تفاعلات كيمياثية أخرى . وهذه التفاعلات الكيميائية ذات تأثير بالغ على الخصائص المورثة ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، فأن تعرض الأم (الحامل) في فترة الشهور التسع للحمل ، لبعض العوامل قد ينعكس أثره على

— العته Idiocy أو البله . وفيما يعتقد أن سوء توزيع الكروموزومات في الخلايا المكونة له هو علة هذا المرض .

الجنين المتكون بصورة واضحة . والامثلة على ذلك متعددة المصادر . فتعرض الأم لمصادر الاشعاعات المختلفة ذا تأثير ضار على الجنين ، ولذا ينصح الطبيب عادة بعدم اجراء فحوص بالاشعة للام الحامل . كذلك اذا تناولت الحامل أنواع معينة من العقاقير التى تحتوى على مواد قوية كالكورتيزون أو المواد المخدرة كالمهدئات أو كانت من النوع المتعاطى للمسكرات أو المخدرات أو حتى التدخين العادى للسجائر فأن له أيضا آثار ضارة على الجنين . ومن العوامل المؤثرة على بيئة الجنين الرحمية أيضا تعرض للام لانواع محددة من الامراض كالحمى أو الحصبة الالمانى أو الاضطرابات النفسية ، للدرجة التى يعتقد فيها أن الانفعال اليومى العادى أمر غير مستحب للحامل . ومن الثابت علميا أن بعض أنواع من التخلف العقلى انما ينشأ عن اصابة الأم — أثناء الحمل — بالحمى أو الحصبة الالمانى . فكل هذه عوامل قبل ولادية كامنة فى البيئة الرحمية قد تؤدى الى أضرار بالغة بالخصائص الوراثية ، فينشأ وليد به خصائص غريبة على والديه .

ومن التجارب الشيقة التى تبين لنا أثر البيئة قبل الولادية على الكائن الحى ، نذكر التجربة التالية ، وهى على بيض السمك ، وهناك تجارب مماثلة على ذبابة الفاكهة (الدروسفيلا) وعلى الضفادع ، وكلها تجارب على الحيوان لتعذر اجراء مثل هذه التجارب على الانسان .

التجربة : أثر البيئة قبل الولادية على الخصائص الوراثية :

١ — العينـة : مجموعات من بيض السمك

٢ — الطريقة : تعريض بيض السمك لمؤثرات بيئية مخالفة للبيئة الطبيعية التى يفقس فيها عادة وقد تراوحت بين استخدام الاشعاعات والمواد الكيميائية وفى كل مؤثر من هذه المؤثرات أدت

النتائج الى أنواع مختلفة من التشوهات .

٣ - النتائج :

أ - تعريض بيض السمك لحرارة عالية أدى الى فقس توائم ملتصقه (زوج من السمك الملتصق) .

ب - تعريض البيض الى ماء مملح مضاف اليه كلورور الكالسيوم أدى الى فقس سمك ذى عين واحدة مركزية كبيرة ومتسعة فى بعض الحالات وعينان متجاورتان فى ناحية واحدة من الوجه فى حالات أخرى .

ج - تعريض بيض للاشعاعات أدى الى توالد سمك مشوه بعينان ملتصقتان أو جسم واحد ورأسان ملتصقتان .

٤ - تعقيب : وهذه التجربة تبين لنا بوضوح مدى الاضرار البالغة التى تتعرض لها الكائنات الحية نتيجة لخلل ما فى بيئة ما قبل الولادة ، وبطبيعة الحال فأن التجارب التلقائية التى حدثت على الانسان ، أثبتت نفس هذه المعانى التى سقناها ، فأذا ما ولد طفل مشوه أو به عجز أو نقص فى أحدى الوظائف أو التركيب البنائى له ، تبين الفحوص أن الأم قد تعرضت وهى حامل فيه لبعض الاشعاعات (أشعة اكس) أو لحمى أو ما شابه ذلك .

ثالثا : تأثير البيئة الخارجية (بعد الميلاد) : Social Environment

يولد الكائن الحى فى بيئة اجتماعية مصاغة قبل مولده . وتتلقفه هذه البيئة لتتناوله بالضبط والتوظيف . ضبط سلوكه العشوائى التلقائى بالتهذيب والتشذيب وتوظيف امكاناته الموروثة . فالطفل الانسانى - على سبيل المثال - يقدم الى

الحياة مزودا بالقدرة على الانتصاب واقفا وسائرا على قدمان ، ومزودا أيضا بالقدرة على الفهم والكلام فأذا ماترك دون تدريب واعداد فأن القدر المورث لديه من الخصائص يعجز عن الظهور والاستخدام . كذلك فأن الطفل ـ الحيواني ـ اذا جاز هذا الاستخدام اللغوى ، لايقوى على ممارسة صنوف السلوك الانساني ، وخاصة المعقد منه ، مهما درب عليه ، ومهما بلغت فترة التدريب والاعداد ، لأنه فاقد القدرة وراثيا .

اذن ، فأن عدم توظيف الخصائص الموروثة يؤدى الى العجز والفشل في أداء السلوك المترتب عليها . وفي هذا المعنى نقدم الأدلة العلمية على ذلك من الحالات التى انتجتها تجارب طبيعية وتلقائية ، وفي هذا الاطار نجد تجربة طفل افيرون المتوحش وتجربة اطفال الذئاب وكلاهما من التراث النظرى والتجريبي لعلم النفس .

أولا : طفل اڤيرون المتوحش : Averon's Wild Boy

في سبتمبر من عام ١٧٩٩ عثر ثلاثة من الصيادين على طفل يتراوح عمره بين الحادية عشرة والثانية عشرة في غابة اڤيرون القريبة من باريس . وكان هذا الطفل على درجة من التوحش حيث هو عارى تماما من أى ملبس ، وعلى درجة عالية من الخشونه ، ويمتلئ جسده بآثار الجروح وفاقد القدرة تماما على التحدث باللغة الآدمية .

وقد استنتج العلماء الذين دعوا لدراسة هذا الانسان أنه قد تعرض منذ مولده للحياة مع الأدغال فنشأ نشأة حيوانية . وقد وضع هذا الطفل تحت ملاحظة الطبيب الفرنسى المشهور ايتارد ITARD الذى كتب عنه تقريرا علميا مفصلا نشر عام ١٩٤٢ ، تتضمن تفصيلا لسلوكه البدائى وقدراته التى تعانى من قصور في

النواحي الحسية ـ الحركية ـ العمرية الانفعالية . وبعد جهود مضنية
خمسة أعوام متتالية أعلن ايتارد عجزه عن امكانية اكساب هذا الصبي أنماط
السلوكيه الانسانية وقد يبرر هذا العجز باحتمال أن يكون الطفل ضعيف العقل ،
غير أن مثل هذا القول مردود عليه بأن الطفل استطاع أن يتعلم بعض مفردات اللغة
الفرنسية وقد استخدمها كتعبير عن اشباع بعض متطلباته ، ولو كان ضعيف العقل
لما تمكن من ذلك . والرأى السليم أنه قد عجز عن تعلم السلوك الانسانى لتأخره فى
التعرض له . فقد تأخرت عملية التنشئة الاجتماعية عن موعدها وهو موقف شبيه
بعجز وضعف الرجل الامريكى الراشد فى تعلم اللغة العربية واتقانها ، مع المفارقة
فى التشبيه بطبيعة الحال .

ثانيا : أطفال الذئاب : .. .. Wolf children

عثر فى غابات ولاية ميدنابور midnapore بالهند على طفلتين تمثلان
بحق حالة فريدة من التجريب الطبيعى ، تجربة أجراها القدر الذى شاء فأوسع
بهاتين الطفلتين بعد أن ولدتا ، فى احضان الذئاب (*) فعاشتا عيشة حيوانية
فترة من الزمن حتى عثر عليهما وكانت أحدهما فيما بين الثانية والرابعة من العمر
والثانية فيما بين الثامنة والتاسعة من العمر . وقد تم نقل الطفلتين من الكهف
الذى عاشتا فيه الى أحد الملاجىء المخصصة للأيتام أو ضعاف العقول ، وقدمت
لهما محاولات مضنية الجهود لتدريبهما على أنماط السلوك الانسانى حيث فشلت
جميع محاولات المتخصصين لتدريب الفتاتين على تناول الطعام المطهو ولما أجبرتا
على ذلك تعرضتا لامراض جلدية وامتنعتا حتى أصابهما الهزال وماتت الأولى
(امالا . Amala) بعد عام وعاشت الثانية (كمالا . Kamala) ثمانية سنوات بعد

(*) لم تعرف بعد الطريقة التى ألقت بالطفلتان فى عرين الذئاب

اكتشافها ثم ماتت هي الأخرى دون أن تتمكن من اكتساب العادات السلوكية الانسانية • فقد ظلت طيلة هذه الفترة تتناول اللحوم والطعام نيئة ، وظلت على ماهي عليه من حالة التوحش البدائية ، فكانت تسير على أربع وبسرعة لا يستطيعها أي انسان ، ولم تتمكن من السير منتصبة القامة الا بعد ستة أعوام من التدريب الشاق (على الرغم من أن الطفل الانساني يتعلم المشي بعد ٤٨ أسبوعا تقريبا) • أما عن اللغة والكلام فأنها لم تتمكن سوى من اصدار بعض الأصوات المتحشرجة في بادىء الأمر وبعد ستة سنوات من التدريب تمكنت فقط من تعلم نحو ٤٥ كلمة مفردة وان تعى معنى جملة بسيطة من كلمة أو كلمتين أو ثلاثة كلمات بسيطة (على حين أن المحتوى اللغوى للطفل في السادسة نحو ١٥ ٢٥ كلمة) •

ومن هاتين التجربتين يتبين لنا — بما لا يدع مجالا للشك — أن ترك الطفل الانساني بعد مولده دون تناول بالاعداد والتدريب لما هو مهيأ له بأمكانات وراثية ، فأن النتيجة الحتمية هي العجز عن القدرة في توظيف هذه الامكانات الوراثية • فالطفل الانساني الوليد يكتسب في مراحل نموه ماتوارثه الجنس البشرى عبر الأجيال المتتالية من أنماط السلوك الاجتماعي القائم على الفهم والتفاعل وتكوين الروابط من خلال استخدام أرقى وسائل التعبير الرمزى المعقد باستخدام اللغة المفهومة المقروءة والمسموعة والمكتوبة • وهو يكتسب من خلال هذا كله معايير اجتماعية سائدة وتراث حضارى متراكم •

وبالمثل يمكن القول أن التدريب والاعداد وتهيئة كل الظروف البيئية لن تؤدى الى شيء ذى قيمة مالم يكن الاستعداد الوراثي موجود • وفي هذا المعنى أيضا نقدم بعض التجارب التي أجريت على الشمبانزى ، بأعتباره أرقى الحيوانات الدنيا جميعا بما يملك من جهاز عصبى هو اقربها الى الانسان ، لنثبت أيضا كيف أنه لن يتمكن من تنمية سلوك يحتاج الفني قدرات وراثية ليست موجودة لديه أصلا •

وفى هذا الاطار نقدم تجربة كيلوج التى أجراها على ذكر الشمبانزى (جــوا) ، وتجربة جيزيل وسجيثون التى أجراها على أنثى الشمبانزى فين ، للتدليل على هــذا المعنى الذى أشرنا .

أولا : تجربة كيلوج : Killogg

١ ــ العينــة : أنثى شمبانزى (جوا ــ Gua)

٢ ــ الطريقة : تم عزل الشمبانزى (جوا) بعد أن بلغت من العمر نحو سبعــة أشهر عاشتها فى بيئتها الاصلية مع امها ، وقام بتربيتهــا عالم النفس الشهير كيلوج وزوجته ونشرت الدراسة عام ١٩٣٣ .

وقد تربى هذا الشمبانزى مع طفل انسانى قريب من سنه ، اذا بلغ نحو عشرة أشهر عند بدء التجربة ، وبدأ كيلوج فى تدريب الاثنان سويا دون تفريق أو تميز ، فسمح للشمبانزى باستخدام الملابس الداخلية والخارجية والاحذية وأن يتناول طعامه علــى المائدة وأن يستخدم فى تناولها كل الادوات المعروفة ، فضــلا عن توجيهه وممارسة ضغوط وضوابط اجتماعية لتهذيب سلوكــــه واكسابه العادات الانسانية . وقد استمرت هذه التجربة طيلــة عشرة أشهر حتى بلغ الشمبانزى سبعه عشر شهرا .

٣ ــ النتائج : استطاع الشمبانزى أن يكتسب فقط عادات يومية مشابهة لعاداتنا اليومية فى ارتداء الملابس والنوم واستخدام أدوات الطعـــام المختلفة ، وأن تسير منتصبة القامة وان تستخدم قلم وورقــــه للشخبطة ولم ترقى الى مستوى القدرة على تعلم الحروف المكتوبه . تعلمت أيضا الاستجابة للكلمات المنطوقة ذات المعنى مثـــل

احضرى القلم — افتحى الباب — انفخى فى الصفارة وما الى غير ذلك من معانى ٠

٤ — تعقيب : وهذه التجربة اذا كانت توضح لنا مدى تأثير البيئة فى اكساب الكائن الحى عادات سلوكية غير موجودة أصلا فى النوع ، الا أنها نفس التجربة التى تبين لنا عجز الكائن عن ممارسة أنماط سلوكية تحتاج لخصائص وراثية ٠ فقد تطورت قدرة الطفل الانسانى بسرعة وتوقفت قدرة الشمبانزى عن مسايرة الطفل الانسانى فى تعلم اللغة وما يرتبط بها من أنماط السلوك الاجتماعى المختلفة التى تتميز بالابداع والفهم والحكم والاستدلال وما الى غير ذلك ٠

ثانيا : تجربة جيزيل وسجثون

١ — العينة : ذكر شمبانزى (فين Fin)

٢ — الطريقة : تم عزل ذكر الشمبانزى " فين — Fin " عن أمه بعد مولده مباشرة وقد تربى الشمبانزى فين Fin طوال فترة قاربت السنتان ونصف السنة (٢٧ أسبوعا بالتحديد) تربية انسانية طوال هذه الفترة مع طفلان آدميان ، كان عمر أولهما نحو العام (ذكر) والآخر نحو أربعة أعوام (انثى) عند بدء التجربة ، وقد خضع فيها الشمبانزى لتنشئة اجتماعية مطابقة تماما للتنشئة الاجتماعية التى تعرض لها الطفلان ٠

٣ — النتائج : وصلت نتائج هذه التجربة لنفس مستوى نتائج تجربة كيلوج فأستطاع الشمبانزى أن يمارس الحركة والسير منتصبا وكل الحركات أو ٠٠٠ العادات الآلية من تناول الطعام باستخدام الأدوات الانسانية

٠٠ الخ ، ووقفت النتائج عند هذا المستوى فحسب ، بل أن المشاهدات الدقيقه لهذا الشمبانزى قد دلت على أنه كان يستسهل السير بمساعدة يديه (عودة الى الخصائص الوراثية) ، أما أن يتعلم اللغة أو الكتابه أو ماشابه ذلك من عمليات عقلية عليا ، فهذا مالم يتحقق بالمرة ٠ وهكذا تدل هذه التجربه بوضوح الى وقوف تأثيرات البيئة عند حدود ماترسمه الوراثة ٠

ومن هاتين التجربتين يتضح لنا أيضا كيف أن كل الجهود العلمية للمتخصصين فى علم النفس قد باءت بالفشل فى تدريب الشمبانزى على السلوك الانسانى الراقى الذى يتميز بالفهم والوعى والابتكار ويحتاج الى جهاز عصبى على درجة عاليه من الرقى والتعقيد وهو مايفتقد اليه الشمبانزى أصلا ٠ فالبيئة عجزت عن توظيف امكانات غير موجودة أصلا ، وهذا العجز طبيعى ومتوقع ، فكيف يتم توظيف قدرة هى غائبة وغير موجودة ؟

الوراثة ـ البيئة ـ الوراثة
(الحوار)

خاتمـــة

نعـود الآن ، لمناقشة هادئة لتلك العلاقة الحوارية بين الوراثة والبيئـــة ، ذلك الديالكتيك اللانهائى المستمر ، الذى يقود فى النهاية الى مانشاهده أمامنا من نماذج مختلفة لشخصيات متعددة فى البيئة الاجتماعية أمام أعيننا ، مسترشديـن مرة بالتجارب التى أجريت على الحيوان ، ومرة بالتجارب التلقائية التى تعرض لهـــا أفراد من الانسان ٠

ومما هو جدير بالاشارة اذن ، أن الانسان ـ كشخصية وسلوك ـ انما هو دالة كل من الوراثة والبيئة معا وفى آن واحد ٠ أو بعبارة أخرى ، هو نتاج لتفاعل عوامل الوراثة مع عوامل البيئة ٠ ومن هنا تصبح هذه العلاقة فى تفاعلها أكثر مـــن مجرد الجمع البسيط لخصائص الوراثه وظروف البيئة ، انها حاصل ضرب هذه فـــى تلك اذا صح هذا التشبيه ٠

ولقد تبين لنا فى نهاية الحديث عن أثر البيئة الخارجية (بعد الولادية) كيف أن الخصائص الوراثية لاقيمة لها مالم تجد البيئة الملائمة التى تتلقفها بالتدريب والاعداد ، كما تبين لنا أيضا أن كل التدريب والاعداد الذى يملكه علماء العالـــم أجمع لن يفيد كائن ليست لديه الاستعدادات الوراثية اللازمة لأداء السلوك القائـم على هذه القدرة أو تلك ٠ الانسان المزود بكم هائل من الذكاء يكون أفضل لو هـــو درب التدريب الملائم فى بيئة مهيئة ٠ لكن الانسان الفاقـد للذكـاء الوراثـــى لو درب طول العمر فأن هذا التدريب لن يفيده شيئا فى أغلب الظن ، وهو هنا ظن

علمى وليس ضربا من التطاول (*)

وكمثال رائع على مانقول ، لو قدر لأذكى الرجال أن يجتاز الفضاء الخارجى للارض ولم يجد من ينقذه ويعيده للارض ماذا يفعل بذكاءه ؟! فى مواجهة حياة جديدة وبيئة جديدة على ظهر القمر هو غير مهيء أصلا ليعيش فيها أو عليها . أو لنقلل من فجاجه هذا المثال ولنقل أنه اذا وجد فى بيئه غير انسانية كما هو الحال لطفل افيرون واطفال الذئاب فما النتيجة ؟

واذا كانت البيئة لاتضيف جديدا لعوامل الوراثة ، فما هو تأثيرها . سؤال يبدو بسيط أو متواضع ، لكنه يحمل فى طياته كل ابعاد التساؤل العلمى . والرد عليه نستخرجه من عبارة لعالم النفس الفرنسى (بياجيه ـ .. Piaget) حيث يقول فيها مامعناه أن الخصائص الوراثية والامكانات المتاحة فى البيئة الاجتماعية الثقافية يكملان أحدهما الآخر . ذلك أن الانسان فى حاجة الى جهاز عصبى راقى يساعده على الحكم والاستدلال والفهم وادراك العلاقات واللغة وتكوين المفاهيم والمدركات وممارسة السلوك الاجتماعى والثقافى والعادات (وهذا يكمن فى معنى الذكاء الذى يحتاج أصلا الى المخ الذى هو فى الأصل خاصية فسيولوجية وراثية) وهذه الخاصية الفسيولوجية الوراثية لن تستطيع عمل شيء مالم تجد المثيرات المختلفة التى تتحدى قدراته الكامنة (الوراثية) وهذه المثيرات الاجتماعية

(*) وهناك فهم خاطىء قائم على أساس أن الذكاء يمكن أن ينمو ، والذى يحدث بالفعل أن القدر المورث من الذكاء يحتاج الى توظيف ، والبيئة قد توظف هذا القدر أو قد لاتوظفه ، وبالنسبة لضعيف العقل فأن البيئة لم توظف لديه هذا القدر الضئيل من الذكاء فأذا تناوله أخصائى نفسى مدرب وقدم له برنامج تدريبى جيد فأنه يبدو لنا بعد مدة أن ذكاءه قد نمى والذى حدث بالفعل هو أن القدر الموجود لديه من الذكاء قد تم توظيفه ؟!

والمادية من حوله تحفزه على التدريب والاعداد بما يسمح له بتوظيف القدرات الكامنة وراثيا ، وهذا لب تأثير البيئة • وفى هذا المعنى تقدم بعض التجارب العلميـــة التى أجريت على التوائم الأخوية والمتماثلة لتبين ذلك •

أولا : تجربة التوائم الاخوية :

التجربة : تدريب أحد التوأمين دون الآخر :

١ ـ العينـــة : زوج من التوائم الاخوية ـ .. Fraternal twins عمرها ٤٦ أسبوعا (نحو ١١ شهرا) وقت التجربة (*)

٢ ـ الطريقـة : أعتبر أحد التوائم (التوأم س) تجريبية ، وبالتالى خضعت لتدريب مختلف فى جميع مراحل التجربة ، على حين حرمـت التوأم الاخرى من ذلك وهى (التوام ص) الضابطة •

٣ ـ النتائـج : وقد اختلفت النتائج بأختلاف نوع التدريب الذى استخـــدم ونذكر هذه النتائج على النحو التالى :

أ ـ نتائج الموقف الأول :

سمح للتوأم (س) بتدريب يومى مدته عشرون دقيقة على نشاط اللعــــب بالمكعبات وصعود أو هبوط السلم بالتناوب ، وذلك لمدة ستة أسابيع متوالية وحرمت التوأم (ص) من ذلك تماما •

وبعد انتهاء الاسابيع الستة استطاعت التوأم (ص) التى لم تتلق أى تدريب سابق ، أن تمارس نفس النشاط (اللعب بالمكعبات وصعود أو هبوط السلم) وتقدم

(*) قام بالتجربة كل من جيزيل وتومبسون

أنستازى وفولى تعقيبا على نتائج جيزيل وسمبشون بقولهما " أن تقدم العمـــــر ، ومايرتبط به من نمو فى الوظائف الجسمية هو المحك الاساسى للاستفادة من معطيات الوراثة " فبرغم تدريب التوأم الاولى (س) تدريبا مركزا ومقصودا لمدة ستة أسابيــع (وهى فى سن ٤٦ أسبوعا) قد تعادل مع تدريب التوأم الأخرى (ص) لمـــدة أسبوعان فقط وهى فى سن ٥٢ أسبوعا . وبعد فترة وجيزة لم يحدث أى اختـــلاف أو تفاوت بين أداء زوج التوائم . فحين بلغتا التوأمتان سن ٥٣ أسبوعا تساوتا فـى نشاطهما فى اللعب بالمكعبات وصعود وهبوط السلم .

ب ـ نتائج الموقف الثانى :

تتبع كل من جيزيل وسبمشون التوأمين المتآخيين حتى سن الرابعة عشر مـــن العمر (سن المراهقة) واستمر الموقف التجريبى ، فى اخضاع الأولى (س) للتجريب واستبعاد الأخرى (ص) للاحتفاظ بها دائما كعينة ضابطة . وقـــد تعرضت التوأم (س) لمواقف وعمليات معقدة بدءا من السلوك الحركى الى النشـــاط اللعبى الى تعلم اللغة والحروف والكتابة وما الى غير ذلك من عمليات أساسية .

وقد أثبتت نتائج هذه التجربة أن التدريب المركز يحسن من الآداء بالنسبـة للتوأم (س) ، غير أن التوأم الاخرى (ص) الضابطة التى لم تتلق أى تدريـب استطاعت أن تلحق بالمدربة عندما تبلغ مرحلة السن اللازمة لحدوث الآداء .

وتعلق انستازى وفولى فى كتابهما المعنون " سيكولوجية الفروق بين الأفراد" (*) على هذا بقولهما أنه حتى بالنسبة للفروق التى وجدت بين التوأمين فأنهما قد تـدل على مؤثرات وراثية ذلك أنهما توأمات متآخيـان غير حاملان لخصائص وراثية واحـدة

(*) ص ١٠٥ ـ ١٠٦

وكانت التجربة أجدى أثرا لو هي اجريت على توأمان متماثلان . ونضيف على ذلك أن مع افتراض عدم تساوى الخصائص الوراثية ، والتي لا نعلم اذا ذادت فهي لصالح التجريبية أم الضابطة ، فأن البيئة لم تقدم أى دليل على اضافة قدره جديدة لم تكن أصلا موجودة لدى أى من التوأمان . وكل ماهناك هي ساعدت في توظيف قدرات أحدهما قبل الآخرى ، وهذه المساعدة قد تكون ضارة اذا ماقدمت قبل أوانها هذه واحدة ، وانها اذا تساوت لافراد حاملين لخصائص متشابهه ولا أقول واحدة (حيث التوأم هنا غير متطابق) فأن النتائج تكون قريبة .

لكن تفسير الاختلافات بين الاخوة الاشقاء لا يكمن فقط في نقل خصائص وراثية مختلفة بل أن الظروف البيئية (الاجتماعية والثقافية الخ) تكون مختلفة في كل ولد يولد داخل الاسرة الواحدة . ولكى ندلل على صحة هذا الادعاء نسترشد ببعض التجارب التى أجريت أما بفصل عوامل تلقائية وطبيعية أو تدخل فيها قدر من التحكم التجريبي . وفيما يلى نقدم تجربة اشارت اليها أنستازى لتوائم متماثل (القدر الوراثى واحد ومتكافىء في زوج التوائم) قد نشأ أحد التوأمين في بيئة ريفية فقيرة بينما نشأ التوأم الثاني في بيئة اجتماعية وثقافية مدنية في ظروف ميسرة .

ثانيا : تجربة التوائم المتماثلة :

التجربة : الفصل البيئى بين التوأمين المتماثلين :

١ ـ العينة : زوج من التوائم المتماثلة تم الفصل بينهما منذ الميلاد

٢ ـ الطريقة : تم تربية وتنشأة الاولى مابل mable في الريف لدى أسرة ريفية فقيرة ومتواضعه . بينما تنشأت الثانية mary في بيئة اجتماعية

اقتصادية مريحه فى المدينة • وتم فحص نفسى وعقلى واجتماعـــى للاثنتان بعد ٢٩ عاما ، وكانت النتائج كما يلى •

٣ ـ النتائج : أوضحت النتائج وجود اختلافات بين الاثنتان فى الذكاء والقـــوة العضلية والثبات الانفعالى وكثير من الصفات المكتسبة من بيئة كـل منهم ، مما يؤيد أهمية البيئة فى التأثير على الخصائص الموروثة • والجدول التالى يلخص هذه النتائج •

جدول رقم (٢) يبين مقارنة بين التوأمين
بعد ٢٩ عاما من الانفصـال البيئـــــــى

الخصائص / التوائم	مابل mable (ريف)	مارى mary (حضـر)
الذكاء	٨٩	١٠٦
وزن الجسـم	١٣٩ رطــلا	١١١ رطــلا
هيئة الجسم	ممتلئــــة	نحيلـــــة
قوة الجســم	قوية البنية والعضلات	ضعيفة البنية والعضلات
الثبات الانفعالى	أكثر ثباتـــا	أقل ثباتـــا
العصابية والقلـق	أقل قلقا وعصابيـــة	أكثر قلقا وعصابيـــة
النواحى الانفعالية	أقل انفعالية	أكثر انفعاليــة

ومن الجدول السابق يتبين لنا كيف أن البيئة قد أدت الى وجود اختلافات واضحة بين التوأمين برغم أنهما حاصلان على أقدار متساوية من الخصائص الوراثية •

وهذا قد يدفع البعض الى الانقضاض على هذه النتائج ليستل منها اثباتا وتأكيدا على أن الذكاء قد ازداد بما أعطى الفارق بين ٨٩ ، ١٠٦ I.Q. أى بفارق مقداره أحدى عشرة درجة من درجات الذكاء وهذا يثبت ويؤكد — من وجهة نظر المدعين — أن الذكاء يمكن زيادته لدى الانسان. والحقيقة أن البيئة الحضرية قد وظفت لدى التوأم (مارى) كل القدر المورث من الذكاء ، أما البيئة الخاملة فى الريف فأنها لم تتحدى كل القدرات العقلية الكامنة لدى الاخت التوأم (مابل) ، فظروف المعيشة الريفية لاتحتاج الى الكثير من الذكاء وبالتالى قد سمحت لجزء من الذكاء الكامن بالتوظف واكتفت به ولم تسمح بالجزء الآخر من التوظف .

وبالمثل يمكن أن نشير الى أن القوة العضلية والبنية الجسمية المتينة التى تميزت بها الأخت (التوأم) الريفية (مابل) تطلبته الحياة الريفية الخشنة واستثمرته بينما الحياة المدنية التى تحتاج الى الفكر والتأمل وأعمال الذهن أكثر من استخدام العضلات ، هى التى أدت الى نفس هذه النتيجة . وهكذا ، يتبين لنا كيف أن العلاقة بين البيئة والوراثه علاقة تفاعل وحوار لا ينتهى غير أن كل من الخصائص الوراثية والظروف البيئية لازم وضرورى فى صراع الانسان مع الحياة استمرارا لها وخلقا لظروف أفضل دوما للانسان وحده دون سائر الحيوانات الأخرى ، لأنه يستخدم فى كل جيل المعطيات التى وصلت اليه من الأجيال السابقه ليزيد عليها رصيدا متجددا .

مراجع الباب الأول

ـــــــ

أولا : مراجع عربية :

١ ــ أحمد فؤاد فائق : مدخل الى علم النفس ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢ ــ أنستازى ٠أ ، وفولى ٠ج : سيكولوجية الفروق بين الافراد والجماعات ، الجزء الأول ، ترجمه باشراف السيد محمد خيرى ومصطفى سويف ، العربية للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٥٩ .

٣ ــ تايلور ٠ ل : الاختبارات والمقاييس النفسية ، ترجمة سعد جلال ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٤ ــ جيلفورد ، ج ب : ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، المجلد الثانى ، الترجمة بأشراف يوسف مراد ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٦ .

٥ ــ حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو : الطفولة والمراهقة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٦ ــ سيد أحمد عثمان : علم النفس الاجتماعى التربوى ، الجزء الأول ، التطبيع الاجتماعى ، الانجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٧ ــ سيد عبد العال : محاضرات تمهيدية فى علم النفس الاجتماعى ، دار فينوس للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٨ _ فلوجل ، ج ٠ ل : علم النفس فى مائة عام ، ترجمه لطفى فطيم ومراجعة السيد خيرى دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٣ ٠

٩ _ فوس ، ب ٠ م : آفاق جديدة فى علم النفس ، ترجمه فواد أبو حطب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

١٠_ محمود الزيـــادى : أسس علم النفس العام ، الطبعة الأولى ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٢ ٠

١١_ يوسف الشيخ وجابر عبد الحميد جابر : سيكولوجية الفروق الفردية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ٠

١٢_ وليم الخولـــى : الموسوعة العربية المختصرة فى علم النفس والطب العقلى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ ٠

ثانيا _ المراجع الأجنبيــة :

13 - Anastasi, A. and Foley, J.P. : Differential psychology, 2nd, ed., N.Y. Macmillan co.inc. , 1949.

14 - Boring, H. etall : Foundations of psychology, N.Y. macmillan, 1943 .

15 - Denis, W. : Does culture Appreciably affect patterns of infant behaviour ? J.soc. psychol. 1940, 12 P.P. 305 - 317 .

16 - Galton, F. : Human Faculty and its Derelopment, London, macmillan and co. 1883.

17 - Galton,F. : Hereditary Genius : An inquiry into its Lams and consequences , London , mac millan, 1914.

18 - Gesell, A. : Wolf children and Human child N.Y., Harper , 1941 .

19 - Gesell, A. and Thompson, H. : Twins "T" and "C" From infancy To Adolescence: Abiogentic Study of individual Differences by The method of co-tmins control. gent. Psychol. mony. 1941 P;P. 3 - 122 .

20 - Godard, H.H. : The Kallikak Jamily : A study in the Heredity Feeblemindedness. N.Y. The macmillan co. 1921 .

21 - Gsunt, J.A. and young, W.C. : consistency of Sexual behaviour patterns in individual male gurnea Pigs folloning castration and androgen therapy .

22 - Kellogg, W.N. and Kellogg, L.A. : The Ape and the child, N.Y., whittlesey House, ncgsaw-Hill. 1933.

23 - Pikunas, J.and Albsecht ,E.J. : psychology of human Derelopment, N.Y. Mcgsan - Hill 1961.

24 - Scott, J.P. and Fuller,J.L. : Genetics and Social behaviour of the Dog. chicago Unir. P 2 ess . 1965.

25 - Singh , J.and Zing,R. : Wolf-children and Feral man. N.Y., Harper and Broth. 1942 .

26 - Tsyon, R.C. : Genetic Differences in maz Learning ability in Rats . 39 th yearbook, National Soc. Stird. Educ. 1940, Part one, P.P. 111-119 .

27 - Zinff, R.M. : Feral man and extzeem cases of isolationn, Amer. J. Psychol., 1940, 53, P.P. 487-517.

الباب الثاني

الشخصية و الثقافة

الفصل الثالث : التنشئة الاجتماعية .

الفصل الرابع : المعايير الاجتماعية .

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية

مقدمـــة :

من دراستنا للاساس الوراثـــى والاساس البيئى للسلوك الانسانـــى " فى الفصل السابق " يتبين لنا ، ان الحديث عن الوراثة وحدها ، أو البيئة وحدها ، حديث مبتور وناقص . وأن الخصائص الجسمية فى اغلبهـا وراثيـــة ، على حين ان الخصائص السلوكية فى اغلبها مكتسبـــة مـــن البيئـــة . وبرغم ذلك فنحن فى الخصائص الوراثيـــة لا نستطيع ان نهمل او ننكر اثر البيئـــة ، كما اننا بالمثل فى الخصائص السلوكية لا نستطيـــع أن نهمل عامل الوراثـــة .

. لكن مع ذلك تظل القدرة على تحويل هذا الكم البيولوجـى (الكائـــن الوليـد) الى معنى ودلالة ، قدرة اجتماعية فى الاساس وفى المحـــل الاول . فالمرحلـة الشاقة التى يبدأها الانسان ، منذ مولده حتى مماته يتعرض فيها دوما (فى كل مرحلة من مراحل العمر) لضوابط وضغـــوط اجتماعية تمارس عليه لتعديل سلوكه باستمرار كى يتوائم مع مقتضيـــات الواقع .. وهو واقع اجتماعـــى .

وعملية التنشئة الاجتماعية هذه ، انما تتم من خلال الاسرة فى مرحلة العمر الباكر للانسان . والاسرة باعتبارها النواة الاولى للمجتمع تتلقـــف الكائن الوليد لتنشئة النشأة الاجتماعية السليمة ، ليس باعتباره عضو فـــى الاسرة يعيش فيها بطابعها وعاداتها فحسب ، بل باعتبار (ما سيكون عليـه مستقبلا) انه عضو فى مجتمع يجب عليه من ثمة أن يكتسب كل عاداته — وتقاليـده وانماط السلوك السوى المناسب ليكتسب شرعية الحياة الاجتماعية فيـــه .

كذلك تتم عملية التنشئة الاجتماعية ، بعد الاسرة ، عن طريق مختلف المؤسسات الاجتماعية الموجودة والممثلة أصلا للمجتمع كالمؤسسات التعليمية (المدارس والجامعات والمعاهد) والمؤسسات الدينية (الجامع والكنيسة) والمؤسسات الثقافية (الاذاعة والتليفزيون والصحف وما الى غير ذلــــك) وهكذا تتسع عملية التنشئة الاجتماعية لتشمل الانسان (منذ أن يولـــــــد حتى يموت) بالتعديل والتقويم لكى يعيش فى المجتمع بالاساليب السلوكية التى يحددها المجتمع ويرضى عنها .

وبهذا المعنى تصبح عملية التنشئة الاجتماعية عملية انتقائيــة . فهــى تنتقــى اساليب محددة من السلوك وفقا لمعايير سائدة حددها المجتمع . غير أن الانسان لا ينصاع لها دوما ، بل هو فى علاقة تحاور وصراع معهـــــا ، يقبل بعضها ويتدخل فى تغيير بعضها ، ولو فرض لانسان قد مات منذ مئــات السنين أن يبعث من جديد لوجد الأمر قد استغلق عليه ، فلم يعد يفهــم من معايير سلوكنا الاجتماعى المعاصر أى شئ .. فالان تجلس الفتاة مــع الفتى فى الجامعة ، ومنذ خمسين عاما مضت كان يستحيل عليها ذلك .. .. وبالطبع لسنا فى حاجة لانسان أن يبعث من جديد ليخبرنا بذلك فالوثائـــق والبراهين موجودة لتؤكد على ذلك (التراث الاجتماعى) .

اذن ماهى عملية التنشئة الاجتماعية ؟ وكيف تعمل ؟ وما الخصائص التى نكتسبها منها ، اجتماعيا ونفسيا ، وما هو اثرها على تكوين شخصياتنا ؟ هذا ما سوف نجيب عليه فى هــــذا الفصــــل .

عمليـــة التنشئة الاجتماعية : Socialization

تشير كل من انستازى وفولى فى كتابهما المعنون " سيكلوجية الفـروق " الى أن كثيرا من خصائص الابناء التى تتشابه مع خصائص الآباء نعزوهـــــا الى عامل الوراثـــة،فيوصف الطفل بانه يملك قدرة أبيـــه فى العمــــل أو موهبة خالته الموسيقيـــة أو هو يقلد عمه فى عناده أو هو قد ورث روح المرح التى كانت لامه ، كما أن الطفل الناجح فى الحياة ينسب هذا النجاح عادة لكونه قد ولد فى اسرة عظيمة ذات سلالة عريقة (٤ : ٤٠٥) وقـــد ورد هذا القول فى معرض حد يثهما عن تفسير التشابه العائلى،فيقرران أن التفسير الوراثى فقط ليس بالتفسير السليم لذلك لاننا ننسى الى جانب هذا التفسير الوراثى اهمية عامل البيئة بمعناها الواسع : البيئة الطبيعية و البيئـــة الاجتماعية التى يولـــد فيها الفرد • ففى الاسرة الواحدة و حيث تتقـــارب العلاقـــات الوراثية ، فيزداد التجاور البيئى ••• فالآباء و الاطفـــــال والاخوة و الاخوات يعيشون عادة فى نفس المنزل ، بينما الا بعد قرابة مثـــل الاعمام و ابناء الاعمام يكون الاتصال فيما بينهم أقل • ولا يكون الاقارب معرضين لمنبهات بيئية عامة بسبب ظروف المعيشية فقط ، بل لأن بعضهم يصنـــع بيئة الاخر صنعا ، ويؤدى هذا التفاعل المتبادل الى تشابههــــــم • (٤ : ٤٠٥)

وقد انتهتا انستازى وفولى من هذا التحليل الدقيق للتشابه العائلى الـــى تقرير أن " التكوين النفسى للفرد لا يتحدد بفعل مايرثـــه من عنصر أو جنـــس او بنية جسيمة ، وانما يتحدد بفعل المجموعة الحضاريـــة التى نشأ فيها ومـــا يكون لـها من عادات و تقاليـــد واتجاهات وقيم ، وبفعل ما تلزمه به و تفرضه عليه

من وجهات نظر وبفعل ما تنميه فيه وتشجعه عليه من قدرات وامكانيات " (٢ : ٧٧) .

وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار عملية التنشئة الاجتماعية ، أو كما يسميها البعض احيانا بالتشكيل الاجتماعي (٦ : ١٢٢) عملية ديناميــة مترامية الاطراف متعددة المراحل والاثار ، يتحول بمقتضاها الفرد من كائن حي بيولوجي الى كائن حي اجتماعي ، عن طريق تعرضه لآثارها المباشرة وغير المباشرة .

فالطفل الانساني " الوليد " من اكثر الكائنات الحية اعتمادا على الاخرين ولمدة طويلة في كل مايحتاجه وكل ما يشبع حاجاته البيولوجية ، فهو لا يستطيع اشباعها بمفرده ، كما لا يستطيع ارجاؤها ، لذا يحتاج الى مساعدة من حوله وبخاصة الوالدين في الحصول على الاشباعات المختلفة ، وفي مقابل هذه الاشباعات يستجيب لتوجيهات الكبار من حوله وتدريبهم وتلقينه كل ما يودون تلقينه له من انماط السلوك الاجتماعي المختلفة .

اذن فالتنشئة الاجتماعية ماهي الا عملية Precess تطلق على كل الاساليب التي تباشر على الكائن الحي البيولوجي (الوليد) بهدف تحويله الى كائن حي اجتماعي . وأحيانا ما تسمى بعملية التطبيع الاجتماعي ، على اساس أن الكائن الحي البيولوجي يمر من خلالها فتطبعه بالطابع الاجتماعي ، أي تشكيل سلوكه الخام (العشوائي العفوي) باشكال اجتماعية تشتق معناها ودلالتها من خلال الثقافة العامة أو الثقافة الفرعية المعاشة . وهي بعبارة اخرى اكثر شمولا ودقة تحويل الكائن

البيولوجي الى " انسان " بكل ما تعنى هذه العبارة من معان . فالانسان لا يكتسب هذه الماهية بصفاته وخصائصه التشريحية فحسب ، وان كان لها تأثيرها من غير شك ، وانما هو يكتسب هذه الخصائص من الحياة فى مجتمع انسانى يصقل لديه كل الصفات والخصائص الوراثية (البيولوجية) ليعطيه ماهيته الانسانية * .

اذن فعملية التنشئة الاجتماعية يمكن فهمها ، ومن ثم تعريفها ، بأنها عملية تعلم Learning مستمرة باستمرار الكائن الحى الانسانى فى الوجود . وهى تعتمد فى الاساس وفى المحل الاول على التفاعل الاجتماعى Social interaction المستمر بين الفرد وغيره من افراد محيطين به ، وتهدف اساسا الى اكساب الفرد ، فى مراحل العمر المختلفة (وهو طفلا رضيعا ثم ناشئا فيافعا فراشدا فكهلا) معايير السلوك الاجتماعى فى مختلف الادوار الاجتماعية Social Roles بما يسمح له أن يكتسب فى النهاية الشرعية الاجتماعية بما تطبع عليه (أو تنشأ عليه) من مسايرة وانصياع لمعايير ثقافته (وسلو أهله وطابع قومه) مما اتاح له فى النهاية الاندماج التام فى الحياة الاجتماعية فى ثقافته العامة أو ثقافته الفرعية ** .

(*) راجع الفصل الثانى لحالة طفل افيرون المتوحش ، وطفلتين الذئاب .

(**) الثقافة العامة لدينا هنا هى كل المؤثرات العامة على مستوى القطر ، أما الثقافة الفرعيةفهى تختلف على نحو ما فى مجتمع فرعى لآخر داخل الثقافة العامة . فالثقافة الفرعية لاسيوط تختلف عن الثقافة الفرعية للاسكندرية ، وهكذا .

وبفضل عملية التنشئة الاجتماعية ، يتحول الكائن الحي الانسانى من مرحلة الطفولة ، والتى تتميز بالاعتماد على الذات والتمركز حولها " Egotism " ، ولا يهمه من البيئة المحيطة كلها الا اشباع حاجاته الفسيولوجية ثم حاجاته الاجتماعية دونما اعاقة أو تأجيل ، حيث يحتاج الى الاخذ بقدر يزيد عن قدرته على العطاء ، حتى يتعلم بالتدرج القدرة على العطاء ويدرك معنى المسئولية الاجتماعية وحدود المسائلة ، وكيف يتحمل الاولى ويطيع الثانية ولا يثور عليها ، ويتجنب النزعة الفردية مقابل الحماية الجماعية ، كما يتعلم أن الاستقلال لا يعنى الشذوذ على الجماعة وانما يأتى فى اطار احترامها ، وأن الرأى الفردى لا يجب أن يعلو على الرأى الجماعى ، وان اشباعاته لا تكون على حساب الاخرين ، وانه بغير الجماعة انسان منزوع عنه صفة الانسانية ، فهو اقرب الى الكائن البيولوجى أو اقرب الى المريض النفسى أو المريض العقلى .

اذن فعملية التنشئة الاجتماعية تسير معنا من المهد الى اللحد .. لا يقتصر تأثيرها على سلوكنا الطفلى ، بل هى تمتد وتسير معنا جنبا الى جنب فى كل مراحل عمرنا ، ونحن نتأثر بها فى شبابنا ورشدنا وكهولتنا ، عن طرق اخرى غير الاسرة ، تتمثل فى كل التأثيرات الثقافية فى المجتمع ومؤسساته المنظمة (المدرسة ـ النادى ـ الجماعات السياسية والدينية ـ الخ) ثم المؤسسات العامة (الاذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات) .

وعملية التنشئة الاجتماعية ، عملية دينامية كلية ، تعتمد على التفاعل المتبادل بين الذات المتأثرة والذوات (جمع ذات) المؤثرة ، حولها

الدائم الاخذ والعطاء فى اطار الادوار الاجتماعية المحددة والمرسومة سلفا من جانب المجتمع والثقافة ، ومحصلة هذا التفاعل فى النهاية شخصية جديدة قد تكونت بفعل تأثيرها .

ويورد نجيب اسكندر وزملاؤه (٧ : ١٤٢) معالم رئيسية ثلاث، تميز عملية التنشئة الاجتماعية يمكن تلخيصها على النحو التالى :-

١ـ ان سلوك الكائن الوليد يرتبط تدريجيا بالمعانى التى تتكون عنده عن المواقف التى يتفاعل فيها والتى هى سابقة على وجوده، وحددتها الثقافة والمجتمع .

٢ـ أن هذه المعانى تتحدد بالخبرات السابقة التى مر بها الفرد وعلاقة تلك الخبرات بالمواقف الراهنة .

٣ـ ان الطفل يولد فى جماعة قد حددت فعلا معانى معظم المواقف العامة التى تواجهه سلفا ، وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فيها . ويتأثر الطفل بهذه المعانى منذ ولادته ، وحتى رشده . حيث تصاغ شخصيته فى مراحلها المختلفة طبقا لهذه المعانى التى يمتصها ، حتى تصبح جزءا من شخصيته .

واستنادا الى هذا التصور نحدد فيما يلى ثلاثة مراحل متمايزة يمر خلالها (الكائن الوليد) فى عملية التنشئة الاجتماعية تحدد فى النهاية شخصيته . وهذه المراحل الثلاث ليست منفصلة بعضها عن بعض ، ولا هى محددة تحديدا قاطعا بزمن معين أو سن محددة ، بل هى متداخلة ، وهذا التحديد فقط لأجل الدراسة والفهم .

المرحلـــة الاولـــى :·

في هذه المرحلة يتعلم الطفل التكيف للظروف المحيطة الموائمة بين حاجاته البيولوجية وظروف البيئة المحيطة (البيئة الطبيعية و الاجتماعيـة)· وفي هذه المرحلة يعد الطفل سلبي الي حد ما غير قادر على اشباع حاجاته بنفسه لذا فهو مضطر الى قبول " المعانى " التي يحددها الكبار لكـــل المواقف التي يمر بها · اذن فهو يتكيف لسلوك الكبار نحوه ويخضع لــــه ولا يقاومه · لكن الطفل ليس سلبي تماما ذلك انه يقاوم الخضوع تمامـــا لمطالب الكبار وينتظر نتائج مقاومته لهم وما تعود عليه من آثار · ثم مـــن ناحية ثانية يستبعد بعض الانماط السلوكية التي لا تأتي بنتيجة أو الـــتى لا تؤدى الى اشباع (٧ : ١٤٣) · اذن تتلخص ملامح هذه المرحلـــة في حدوث تمايز في سلوك الطفل بالنسبة للمواقف الاجتماعية المختلفـــة كنتيجة لما يمارسه الطفل من تناسق حسى — حركى مرتبط بالمواقف التي يمر بها · وهو يستجيب لاشارات او علامات Singns حددها الكبار في المواقف المختلفة التي يتعرض لها في تفاعله معهـم · واستجابة الطفل لهـــــذه العلامات التي يمر بها انما هو استجابة لمعانى هذه العلامات وليس استجابة للعلامات في حد ذاتها : مثال ذلك ثدى الأم : معناه الرضاعة والاشباع، ويد الأم ليدها نحو الطفل : معناه الاهتمام به، ورفعه اليها وحمله وهكذا ، تكتسب الاشياء معانى محددة من خلال التفاعل اليومى مع محيطه الاجتماعى · وهذه العملية تعد بمثابة البذور الاولى لاكتساب اللغة ·

وكما يتأثر الطفل الوليد بعلامات حددها له الكبار ، فهو أيضا يؤثـــر فيهم، فهو يتعلم ان استخدام الصراخ وسيلة فعالة لكى تحضر الأم ، وتهتـــم

به أو تظل تحمله على كتفهـــا ، وفى أحيان كثيرة يتبدل سلوك الأم نتيجة لمعاندة الطفـــل .

وفى هذه المرحلة قد يتعرض الطفل لعملية صراع نفسى نتيجة لتبـدل معانى الاشارات التى تعلمها ، فالطفل حين يقترب شخص منـــــه (وخاصة الوالدين) يتوقع ان يحمله هذا الشخص (علامة) ولكنه قـــد يحدث العكس ان يترك لوحده وهنا يستجيب الطفل استجابات معبرة عـــن احتياجاته ورفضه وذلك بالصراخ و الرفص برجليه . واذا تعرض لمواقـــف كثيرة تختلف فيها معانى العلاقات فانه يتعرض لصراع نفسى حاد يؤثـــر عليه مستقبلا . والطفل فى هذه المرحلة يكتسب معانى اخرى قد لا يحددها له الكبار ، فهو يكتسب معنى " الزمان " عن طريق ممارساتـــه المتعددة للتأثير فى الأم ، فالام قد تنشغل عن الطفل فى اعمال المنزل ، وهنا لا يدرك الطفل اى معنى لاختفاء امه الا انها قد انعدم وجودها تمامـــا بالنسبة له وهنا يشعر بالقلق المرعب فيصرخ ، فتأتـــى الأم ، ثم تعـــود ادراجها فيصرخ ، فتعود الام و هكذا ، وهنا يدرك الطفل بحساسيـــته المرهفة أن ألام توجد فى لحظة و تختفى فى لحظة لتعود فى لحظة تاليـــة ، وانها فى اللحظة التى لا توجد هنا بجانبه ستكونفى مكان آخر غير الذى يوجد به ، وهنا ينبع ادراكه لمعنى المكان بعد ادراكه لمعنى الزمان . ويتأكد له معنى الزمان والمكان من عودة الأم اليه فى لحظـــة تالية من مكان آخر .

ولعل اهم لعبة تسعد الطفل فى هذه المرحلة وربما المرحلة التاليـــــة هى لعبة " الاستغماية " بمعنى أن الام تخفى نفسها وراء ستارة أو تحـــت المكان الذى ينام عليه الطفل ثم تعود للظهور مرة ثانية و هكـــذا .

المرحلة الثانيــة :

وأهم ملامح هذه المرحلة النمو المتسع لقدرات الطفل الحركية وبالتالـى القدرة على الحركة و الانتقال من مكان الى مكان ـ بل امكنه اخـرى ، وهذا الانتقال ينمى لديه قدره اخرى ، هل الاستقلال النسبى عن الاخرين الذيـن يعتمد عليهم من حيث اطعامه و تنظيفه الخ .. هذا من جانب ، ومـن جانب آخر ينمى لديه مهارات حركية كثيرة ، فالانتقال من مكان لمكان آخر ، يعنى ضمنا التعرض لمثيرات موجودة فى طريقه (اللعب و الادوات و الاشيـاء الموجودة) وهو يتناولها (يدويا) بحرية و تلقائية فيعبث بها ويلقيهـا ، وهذا ما يولد لديه الاحساس الممتع بالسيطرة (النسبية) على البيئـة المحيطة به من كل جانب . والكائن الحى الانسانى (الطفل) فى هـذه المرحلة يسعد بالتحكم فى الاشياء المحيطة به ، وقد يمسك بشئ فيلقيـه ارضا (وليكن هذا الشئ آخر غير قابل للكسر) وهنا يسعد الكبار المحيطين به ، ويهللون له ويفرحون ، ويشجعونه على المضى فى ذلك العبث مـرارا وتكرارا ، فى جو من المرح والسعادة . وهنا يكتسب الطفل من خـلال هذه المواقف علامات اجتماعية اخرى لمعانى مواقف واشياء فى اطار فـى عملية التنشئة الاجتماعية ، التى تسير سيرها العادى اليومى دون أن يشعر هو ، ودون أن يشعر الكبار من حوله بما يمارسونه فى صنعه . انهم يضيفون الى صرح بنائه الاجتماعى و النفسى ، طوبة جديدة فى كل لحظة حـتى يعلو هذا البناء النفسى الاجتماعى شامخا ، مكونا شخصية جديـدة .

غير أن الطفل ، قـد يتعرض فى هذه العملية اليومية لمصادر الخلـط فى تلقى العلامات و بالتالى الخلط فى فك رموزها ومعرفة مدلولها . فقد يمسك بشئ ذى قيمة فيلقيه ارضا فينكسر (كوب ـ فازة) ـ وهنا ينقلب ضحـك

الكبار و مرحهم الزائد الى ضيق و تضجر فيتدخلون لتقويم هذا السلوك العشوائى الخاطئ وهذا امرمرغوب فيه بطبيعة الحال ٠٠ غيرأن تدخلهم قد يكون بالضرب او باستخدام أى نوع من انواع العقاب المتشدد (الزائد عن الحد) ، وهنا يتعرض الطفل مرة اخرى لعملية الصراع النفسى نتيجة لاختلاف معنى العلامة الواحدة ٠ اذا القى الشئ على الارض يضحكون ويهللون ويصفقون ويشجعون ؟ ٠٠٠ واذا القى نفس الشئ على الارض يغضبون ويزمجرون ويضربون ؟ !٠ ماذا أفعل ؟ سؤال بالقطع يوجهه الطفل الى نفسه ولا يجد عليه اجابه شافية من أحد ٠٠٠٠ والسؤال الذى قد يثور فى الاذهان — وربما اذهان الوالدين فى غالب الامر — هو ماذا نصنع لو أن الطفل القى بشئ على الارض فكسره ؟ ٠٠٠ والاجابة قد لا تكون ابدا أن نمنع الطفل عن الحركة ؟ فذلك خطره اشد على الطفل من كسر الشئ ذاته ؟ ٠٠ وربما يكون من الافضل الا نترك فى محيط حركة الطفل اى شئ يمكن أن يتعرض للكسر ليس حفاظا على هذا الشئ فقط وانما حفاظا على سلامة الطفل نفسه ٠ ومن المستحب فى هذه المرحلة ان يترك امام الطفل عددا من اللعب المرنة (الكاوتشوك) التى لا ضرر ولا اضرار فى اللعب بها و القاؤها ٠ فالطفل فى اشد ما تكون الحاجة لديه لأن يعتبر عن ذاته وان يختبر باستمرار مهاراته وقدراته فى التحكم فى البيئة بأى شكل من الاشكال ٠ ولا ينبغى أن يقابل حين ينجح فى التأثير فى البيئة المحيطة ابدا بالعقاب ٠ فذلك يكبت لديه قدرته على التحكم فى البيئة مستقبلا ويجعله خانعا راضيا لاحكامها ومطالبها ٠ وهكذا قد نقتل فى الطفل قدرته الابتكارية مبكرا دون أن نقصد ودون أن ندرى ٠

المرحلة الثالثة :

واهم ملامح تميز هذه المرحلة هو اكتساب الطفل لاتجاهات الراشدين الكبار نحو المواقف الاجتماعية المختلفة ، التى سوف يتعرض لها فى حياته مستقبلا ٠

وكيفيـة التصرف ازاؤها . فالطفل لا يستطيع أن يتوقع تصرفات الأم ازاء سلوكه الا اذا تمثل اتجاهاتها وأصبحت جزءا لا يتجزء من شخصيته . فهو يتصرف بعد ذلك فى المواقف الجديدة بنفس الاساليب التى حددتهـا الأم له فى مواقف مشابهة . ووسيلة الانتقال الفريدة فى هذه الرحلـة الشاقة هى (اللغة) .. فالكلمات المستخدمة من الام - والمحيطيـن بالطفل - انما هى رموز أو علامات تشير الى اشياء ومواقف لتدل علـى معناهـا .

أن اللغة هى وسيلتنا فى تنشئة أطفالنا ، هى بمعنى آخر اداة التنشئة الاجتماعيـة . فالطفل يسلك سلوكا عشوائيا ، لا يدرى لـه دلالـة ولا معنى . تعبيرا عن قدراته وتنفيسا لطاقاته ،لكنه قد يصيب وقد يخيـب فاذا اصاب كان منا التشجيع والثناء (صح - برافو - كويس .. .. الخ العبارات التى يقابل بها الطفل حين يوتى سلوكا نرضى عنه ونرتاح له) . واذا خاب أو أخطاء فما كان منا الا التوبيخ والعقاب المقرون بعبارات ذات معنى ودلالة للطفل (كخ .. وحش - مش كويس) .. الخ العبارات التى تقترن عادة بتعبيرات انفعالية ترتسم على وجه قائلها فى شكل غضـب أو حنق أو ماشابه . ومن مجموع هذه الرموز (الكلمات) يتعلم الطفل ماهو صواب وماهو خطأ ... حتى ليوتى الطفل سلوكا ثم يقول لنفسـه " كخ " اذا ما استطاع أن يتعلم مفردات اللغة فى سن العام أو مايزيـد عن ذلك بقليل . والطفل يسلك ذلك السلوك ثم يصمه بأنه كخ ، لعلمه انه قد مر بنفس الخبرة فيما سبق (أمس وأول أمس والاسبوع الماضـي وهكـذا) وقد لقى من الأم (أو من يقوم مقامها) عقابا على ذلـك السلوك (وليس العقاب هو الضرب فقـط) .

واللغة أيضا اداة جيدة لنقل التراث الثقافى من جيل الى جيل • فعن طريقها يتعلم الطفل (رموز الكلمات) بحسب العادات و التقاليد المرعية فى الاسرة نحو المواقف الاجتماعية المختلفة (٧ : ١٥١) • ونحن كراشدين ننقل لابنائنا كل تراث الماضى الذى عشناه ، بوعى أو بغير وعى • لأننا ندرك أن ابنائنا انما هم مطالبون بأن يعيشوا فى مجتمع واسع عريض تحوطه مواقف سبق لنا أن خبرناها ، وما هو الصواب فيها وماهو الخطأ • ونعمل على تدعيم الصواب وتحطيم نماذج الخطأ ، لا من وجهة نظرنا فحسب ، بل من وجهة نظر المجتمع •

ومن هنا تصبح اللغة ايضا وسيلة للضبط الاجتماعى • فليس الصح و الخطأ فى التعامل مع الاشياء فقط • وانما فى مواقف اجتماعية كثيرة • ويخطئ من يتصور ان المواقف الاجتماعية مقصورة على سلوك الانسان خارج المنزل • بل الاسرة أول نواة حقيقية للمجتمع • وهى أول جماعة اجتماعية متكاملة • وهكذا يباشر الوالدين على الطفل اول و اهم ضبط اجتماعى Social control فى مواقف مختلفة ، وان لم تبدوا للوهلة الاولى مشابهة للمواقف التى سيتعرض لها الطفل فى مقتبل حياته كراشد فى المجتمع الواسع الكبير ، الا انها لا تختلف عنها كثيرا • ومن أهم المواقف الاجتماعية التى يمارس فيها الوالدان ضبطهما لسلوك الطفل المواقف التالية (اللعب ــ النوم ــ الطعام ــ العدوان ــ الجنس)ــ التنافس •• الخ) •

وهذه المواقف سوف نتناولها بالشرح و التوضيح عندما نثير جدلا حول كيفية اكتساب الطفل انماط السلوك الاجتماعى و الاتجاهات الوالدية فى التنشئة الاجتماعية •

اذن فاللغة هي السبيل الوحيد للتنشئة الاجتماعية ، أو بمعنى أدق هي الاداة الوحيدة لهذه العملية ، وعلى سبيل المثال — لا الحصر — فأن الطفل يسلك سلوكا حركيا مدفوعا برغبته في التحكم في البيئة والسيطرة عليها ردا على ما تمارسه عليه من سيطرة وتحكم ، وقد يأتى سلوكا ضارا بنفسه أو بالاشياء المترامية على بصره ويديه ، فيكسر كوبا أو (فازة) أو ما شابه بأن يلقيه على الارض — أو قد يسكب كوبا مملوءة باللبن على الارض أو على الفراش ، وهنا تضربه الأم (أو قد تكتفى بتعنيفه) مع استخدام نوعان من الرموز مرتبطان بعضهما ببعض مثال لذلك قد تقول له عيب أو غلط أو (كخ) وهذه رموز لفظية ، (لا يستطيع ادراك معناها اللفظى وما تعكسه) الا اذا ارتبطت بالنوع الثانى من الرموز وهى التعبيرات التى ترتسم على وجه الأم (حين تقول له كخ أو غلط) وهى عادة تعبيرات الحنق أو الغضب أو مجرد (التكشيرة) التى يفرق الطفل بينها وبين التعبيرات المرتبطة بالرموز اللفظية المعبرة عن التشجيع و الاستحسان ، وهى الضحك وانفراج الاساريير والبشاشة وما الى غير ذلك من تبيرات (رموز) تدل على الراحة والهدوء والارتياح لمطابقة السلوك الحادث بالسلوك المتوقع اجتماعيا .

أن مصاحبة الرموز اللفظية (اللغة) للرموز الحركية (التعبيرات الانفعالية) يتم عادة من جانب الام . والأم هى أول وأهم موضوع يقيم الطفل علاقة حميمة به . وهكذا تصبح الام بسلوكها (اللفظى والحركى) جزءا اساسيا من الموقف الكلى الذى يعيشه الطفل . ومن ثم فان الطفل يقبل كل ما تأمر به من اجل أن تتقبله لتعطيه هويته I denlity أى ذاته وشرعية وجوده . وبعد أن كان إلقاء الكوب على الارض — أو اللبن على

الفراش ـ مصدر ارتياح اساسيله (معنى) يتحول الموقف الى احترام هذا الكتوب وعدم القاءه تعبيرا عن احترامه لرغبات ومطالب أمه (معنى آخر لنفس الشيء) • اذن فالكبار ينقلون الى الصغار معاني المواقف الاجتماعية المختلفة عن طريق الرموز اللغوية (الكلمات) والرموز التعبيرية (الحركات والاشارات) •

وهكذا يكتسب الطفل عن طريق "التعلم" معاني الاشياء ومعاني المواقف الاجتماعية المختلفة في محيط الاسرة (وهي أول جماعة اجتماعية) في بدء حياته • وهو يكتسب بنفس الاسلوب العادات والتقاليد المرعية في الثقافة الفرعية والكلية التي يعيش فيها • كما يكتسب الاتجاهات والقيم السائدة في أسرته اولا • ثم في مجتمعه الواسع ثانيا من خلال مواقف صغيرة يعايشها يوميا • ثم ينسى بعد ذلك هذه المواقف الصغيرة • ويتذكر فقط تلك الاتجاهات •

والطفل لا يكتسب فقط العادات السلوكية والتقاليد الاجتماعية والاتجاهات والقيم • بل يكتسب ايضا مستوى للطموح ينفعل به ويتأثر في تحديده بما هيأه له الوالدان أو من يقوم مقامهما،وجماعات الرفاق،والوضع الطبقي والظروف المعاشة •

ومن اخطار هذه المرحلة (الثالثة) أن يتعرض الطفل لعملية الصراع النفسي في تلقي الرموز (المعاني) • نعني بذلك عملية التأرجح بين النقيضين • أي التذبذب في معاملة الطفل • • ومن الامثلة على ذلك مايلي :

١ـ قد يلقى الطفل بكوب زجاجى ثمين (أو فازة نادرة) علــى الأرض فينكسر ، ذلك فى حضور بعض الزائرين (الضيوف) مــن ذوى المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتيسر الحال (الاغنياء) فنطيب خاطره ولا نبدى أى انزعاج أو تأثر أو اهتمام حتى لا تتأثـــر مكانتنا أمامهم فنبدو فى ناظريهم اننا اقل منهم منذلة أو ماشابه ... فنقول للطفل ولا يهمك ؟ .. معلهش ... فداك .. خـــدت الشر وراحت .. الخ التعبيرات التى يصاحبها تعبيرات وجهيـــة يعرفها الطفل سلفا ، والتى تعبر عن عدم الاكتراث أو الراحـــة (أو الهدوء) . وقد يحدث فى اليوم ذاته ، أو فى أى يـــوم آخر أن يقذف الطفل بكوب عادى لا يساوى شيئا ، ودون حضـــور أحد .. وهنا تضربه الأم ضربا عاديا ـ أو مبرحا ـ وتعبيـــرات وجهها الصرامة والغضب مع تعبيرات لفظية تعبر عن مضمون الانفعال الوجهى (رموز) دون أن نفطن ـ ونرفض أن ندرك ـ أن الطفل يستطيع التفريق والتمييز بين سلوكنا فى موقف آخر . وهنـا يتعرض الطفل لصراع نفسى لاختلاف معنى الرموز لموقف واحـــد؟! هل يكسر الكوب أم لا ؟ .

٢ـ قد يطلب الطفل من الأم أن يلعب مع ابناء الجيزان ، فتأمره أن يدخل للاستذكار (عندما يكبر ويشب على نحو ما) ، باعتبار أن الاستذكـــار أهم من اللعب (معنى) لكنها الان تريد النوم أو الجلوس مع الزائرين فيطلب منها اللعب فتعطيه الاذن باللعب (معنى آخـــر) .

وهكذا قد يأتى الطفل سلوكا معينا ونحن فى حالةمزاجية هادئة ، فـــلا ننزعج ولا نتضايق ولا نعاقبه ، واذا اتى نفس السلوك ، وربما أقل منـــه

جرمـــا ونحن فى حالة مزاجيـــــة
غاضبـــة ، ننفعل و نتضايق و تكفهر اساريرنا و نصب عليه جام غضبنــا
دون أن ندرى اننا نعطى الطفل معينين لموقف واحد . النتيجة اذن
الصراع النفسى داخل اعماق الطفل .. و من تراكمات هذه التناقضـــات
خلق شخصية مرضية ، تعانى من التناقض الوجدانى ، والتناقـــــض
الانفعالى ، وربما تتحول الى المرض النفسى او العقلى مع تراكمات سلوكية
(غير سوية) اخرى من جانب الكبار المحيطين به وهم الوالدان أولا ثم
الاخوة ثانيا ، ثم الاقارب القريبون ثالثا ثم الاقارب البعدون رابعـــا ،
ثم الرفاق و الاصدقاء والزملاء خامسا ، ثم المجتمع الكبير اخيرا .

فالآباء ينقلون السلوك السوى الى الابناء ان كانوا اسوياء . وهم ايضـــا
ينقلون السلوك المرضى الى الابناء ان كانوا كذلك . فالاب ذى النزعة
الاستبدادية غالبا ما ينقل هذه الخاصية الى الابناء بدرجات متفاوتـــــة *
والاب المرح غالبا ما ينشر المرح من حوله فتكون خصائص الابناء علــــى
شاكلتـــه ** .

التنشئة الاجتماعية وتكوين الذات :-

ان تعلم الطفل للغة هو الوسيلة الفعالة اذن فى تكوين ذاته . ذلـــك
انه يكتسب من خلالها وبها اتجاهات الكبار المحيطين به ، وخاصـــــة

---

* وقد يحدث العكس يكون الابن خانعا حسب نوع التوحد ، ومع من يتوحد ، وحسب النماذج التى قد يلقاها فى الجماعات الثانوية و المجتمع الكبير .

** والقول الشائع للحكمة الشعبية و الحس الشعبى المصرى الرائع اقلب القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ، كما أن بيت الشعر القائل _ اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت الرقص ، يعبران عن هذا _ المعنى على نحو ما .

الوالدين (أو من يقوم مقامهما) • والطفل بطبيعته ذو قدرة بالغة على التقليد و المحاكاة • فهو يحاكي سلوك الكبار ويقلد حركاتهم وسكناتهم في مراحل العمر الباكرة ،ومن الامثلة على ذلك ما يسهل علينا ملاحظته مع صغار الاطفال الذين يقلدون الاب وهو يصلى او وهو يدخن السيجارة او وهو يكح او يسعل او وهو يأكل أو يشرب •• الخ هذه المواقف التى نشاهدها ولا نهتم بها عادة • ثم يوسع الطفل من دائرة محاكاته للوالد الى نماذج اخرى موجودة فى المجتمع ، حيث يتقمص شخصيات حقيقية فى المجتمع أو متصوره كشخصيه الطبيب أو الجندى (أو الضابط) نتيجة لمواقف اجتماعية شاهدها أو خبرها ، وفى تمثيله لهذه الادوار يتكلم بنفس الاسلوب الذى يتكلم به صاحب الشخصية (ففى حالة تقليد الطفل لدور رجل الشرطة أو الضابط يستخدم نفس العبارات و نفس اسلوب العنف أو الخشونة الذى يلعبه رجل الشرطة فى القبض على الخارج على القانون •• الخ) • وهو فى هذه الحالة يقوم (أى الطفل) بعملية استدعاء (للرموز) أو (العلامات) التى قد وصلت الى فهمه من خلال مواقف الكبار معه • وهو يستجيب لها بلا عبارة قد وعى دوره (ذاته) عن طريق امتصاصه لادوار (ذوات) الكبار •

ولعل فى اللعب الايهامى للاطفال ما يدل دلالة واضحة على هذا المعنى فالطفل قد يلعب ادوار اجتماعية متعددة فى لعبة مع اطفال حقيقيين أو متصورين و من تعدد هذه الادوار تتعدد ذواته بحسب المواقف المختلفة فاذا لعب مع غيره عسكر و حرامية أو فى فريق كرة أو تصور شخصية طفل آخر أصغر منه يحادثه ويعطف عليه (كما تفعل صغار البنات مع عروسه تعتبرها طفلا وتحادثها و تحنو عليها و ترضعها •• الخ) ،

وبهذا الاسلوب يستدعى الطفل — فى سلوكه ولعبه — العلامات (الرموز) التى تعبر عن اتجاهات الاخرين (٢ : ١٥٤) . ومن هنا امكن لعلماء النفس أن يقرروا أن الذات و الشخصية هما نتاج اجتماعى ، ذلك لانهما يتشكلان اصلا نتيجة تفاعل الفرد فى بيئته الاسرية التى نشأ فيها اولا ثم فى اطار البيئة الاجتماعية المحيطة بمه ثانيا .

المؤثرات الفعالة فى عملية التنشئة الاجتماعية

لقد رأينا فى الجزء السابق ، كيف أن الاسرة أهم عامل مؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية ، باعتبار أن الأم ، وهى أول موضوع يتوحد به الطفل ليحصل منه على ذاته أو بعبارة أدق يحصل منه على شرعية الوجود . (فالأم السند الانفعالى و العاطفى للابن وبغير وجوده يستحيل على الطفل ادراك وجود ذاته)، ولهذا السبب ، فأن غياب الام عن الطفل فى لحظات النهار (لانشغالها بأعمال المنزل مثلا) يمثل للطفل الضياع الكامل لهذا فهو ينخرط فى البكاء ، لأنه لا يستطيع أن يدرك بعد أن غيابها من جواره الآن انما يعنى انها موجودة فى مكان آخر ، فمفهوم " المكان " لم يتكون لديه بعد ، ولسوف يتكون مفهوم المكان ، بعد ذلك ، من ممارسة ، ومعايشة ، الطفل لهذه المواقف المتتالية من ظهور واختفاء الأم وتعاقب الظهور بعد الاختفاء ، وهكذا ، حتى يعلم بطريقة تلقائية (intuition) أن المكان ليس هو فقط الذى يوجد به ، بل هو كثرة من تعدد ، اماكن كثيرة . فالأم وان تلاشى وجودها من هذا

(المكان) فهى بالقطع فى (مكـان) آخر . وهكـذا ٠٠ .

ويرتبط بمفهوم المكان تكوين مفهوم آخر هو مفهوم " الزمان " ، فغياب الأم فى هذه اللحظة الزمانية التى يبكى فيها سوف يستتبعه ظهور الأم فـى لحظة زمانية اخرى . وبالقطع هذه العملية تستغرق وقتا طويلا (خـــلال الشهور الستة الأولى من العمر أو ربما خلال السنة الاولى) ولكن بدايتهاء عندما يجوع الطفل فيبكى ، لأنه لا يستطيع أن يدرك أنه يتبقى له نصف ساعة على موعد الرضاعة ، لكن بتناوب هذه العملية من الجوع والبكـاء ، ثم الانتظار ، ثم الرضاعة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر تنـــاوب حضور وغياب الأم ، ثم حضورهـــا (وحضور الأم مرتبط باشباعه فـــى الاساس) ، وهنا يتكون مفهوم الزمان لدى الطفل .

هذه هى اذن بداية تأثير عملية التنشئة الاجتماعية ، على الطفـــل ، والتى تبدأ بتكوين مفاهيم اساسية ، ثم تنسحب بعد ذلك (باستمرارهـــا) لتكون لديه مفاهيم اخرى بعملية تعلم ، فتكون لديه الاسرة (الوالدين على وجه التحديد بداية ثم الاخوة ثانيا — وهكـــذا) . مفاهيم عـــن الحق والباطل والخير والشر ، والصدق والكذب ، والحلال والحرام ، ومختلف المفاهيم ، من خلال التفاعل اليومى فى مواقف معاشه . كذلـــك تكون لديه معايير السلوك السوى مع الأهل والاصدقاء والجيران والزمـلاء ومع مختلف الافراد فى مختلف المناسبات . والسبيل الى هذا كما ســـبق أن اشرنا " اللغة " التى يستخدمها الوالدين وعلى وجه التخصيـــص الام . ومن هنا جاءت عبارة حافظ ابراهيم الشهيرة التى تمثل بيتا شعريـا يقول فيه " الام مدرسة أن اعددتها اعددت شعبا طيبا الاعراق " . ايمانا

منه وادراكا لدور الأم فى تكوين شخصية الكائن الجديد .

وهكذا تمارس الاسرة دورا بالغا فى عملية التنشئة الاجتماعية ، لكنها لا تمارسه باعتبار أنها تنقل وجهة نظرها الشخصية فى بعض الموضوعات . بل باعتبارها ممثلة عن المجتمع فى نقل متطلباته الى جيل الابناء . ولهذا سوف نتناول فيما يلى أهم العوامل المؤثرة فى عملية التنشئة كما تتمثل فى الثقافة العامة و المؤسسات الاجتماعية الممثلة للمجتمع كالمدرسة و الجامع و الكنيسة ومختلف وسائل الاعلام الموجودة فى المجتمع .

الثقافة العامة للمجتمع :

وتشمل الثقافة العامة فيما تشمل ، كل النماذج السلوكية المتعلمة فى اطارها ، من عادات وتقاليد و مبادئ و اتجاهات وقيم ، التى تنقل للطفل عن طريق الوالدين فى الاسرة ثم عن طريق المؤسسات الاجتماعية المختلفة التى اشرنا اليها و عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، وذلك من خلال التفاعل الدائم بين الفرد الجديد (الطفل) وبين هذه الوسائل المختلفة .

فالوالدين — على سبيل المثال لا الحصر — لا يعلمون الطفل الصواب والخطأ ، أو الخير و الشر ، أو الصدق و الكذب ، وما الى غير ذلك من مفاهيم ، ولا ما هو الصواب و الخطأ فى التعامل مع الآخرين ، كل ذلك من وجهة نظرهم فحسب ، وانما من وجهة نظر المجتمع ، مدركين بذلك انهم مطالبون بتكوين شخص يعيش فى المجتمع الكبير ، لا فى اطار الحدود الضيقة للمنزل . ووسيلة الوالدين فى هذا التعليم " الثواب والعقاب "

ان اتى الطفل السلوك الحسن فهو يثاب وأن اخطأ فلا مناص من عقابه .
لكن الوالدان مطالبون ايضا بأن يقدما للطفل مع هذه النماذج اللفظية والادائية ، القدوة والنموذج الطيب للسلوك وليس الأمر فقط مجرد برنامج تدريبي هادف وحسب . وهذا يتطلب دوما الاستقرار العاطفي الاسرى ، بين الوالدين بعضهما مع البعض من جانب وبينهما وبين الابناء من الجانب الآخر ، حتى تفرخ هذه المحاولات التربوية ثمرتها في خلق شخصية متكاملة غير مريضة .

لكن في كثير من الاحيان ما يفشل الوالدين في تقديم النماذج الطيبة والقدوة الحسنة ، نتيجة للصراع النفسي بينهما وهنا لا يكون أمام الطفل وخاصة بعد أن يتمكن من الخروج من المنزل الى حيث جماعات الرفاق في المنزل أو الحى أو الشارع (والحارة) أو المدرسة (والسينما وماشابه) ، لا يكون هناك مناصا أمام الطفل الا انتقاء نماذج مما هو متاح امامه وقد تكون حسنة أو قد تكون سيئة ، وهذا ما يفسر القول المأثور عن الحس الشعبى " يخلق من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم " .

فالطفل حين يصحب ابيه الى المسجد ، أو يصحب ذويه الى الكنيسة ، انما يتلقى مؤثرات ثقافية ، وعندما يصحبهما الى السينما أو المسرح يتلقى مؤثرات ثقافية اخرى ، وعندما يجلس امام التليفزيون انما يتلقى بمؤثرات ثقافية من نوع آخر . وعلة المشكلة هى فى حدوث التناقض - ومن ثمة الصراع - بين هذه النماذج المختلفة ، ومن الممكن أن تتكامل لتخلق نوعية من النشئ نحن فى اشد الحاجة اليها ، كما أنه من الممكن أن تتخبط وتتصارع لتخلق شبابا جامحا أن لم يكن جانحا كما هو الحال فيما نراه احيانا الآن .

ومن الامثلة على ذلك مايقدم فى وسائل الاعلام الحالية ، ولنأخذ مثلا شديد الفجاجة على ذلك " التليفزيون " .

ان " التليفزيون " وسيلة هامة من وسائل الاعلام ، وهى تنافس الاسرة فى نقل خصائص الثقافة الى الابناء ، خاصة فى مراحل العمر المبكرة (سن الطفولة) ، فالطفل يستمع الى ارشادات و نصائح الوالدين ، وتوجيهاتهما التربوية ، التى تهدف الى خلق انسان سوى متكامل ، من وجهة نظرهم ومن وجهة نظر المجتمع . لكنهما فى واد والمجتمع ببعض مؤسساته فى واد آخر . ذلك أن التليفزيون يقدم للاطفال برنامج دينى ، يهدف الى توعية و خلق الطفل المسلم المزود بكل قواعد السلوك الحميد * لكنه بعد أن ينتهى هذا البرنامج يجد بعده برامج مختلفة للرقص و الغناء والمرح ، وهو نموذج يختلف مع النموذج الاول بالقطع ، هذا فضلا عن نموذج الرجل ذى الستة ملايين دولار (ستيف أوستن) أو المرأة الخارقة Baconic nam وكلها نماذج تنمى الاحساس لدى الطفل بالقدرة على تحطيم العالم ، وهى نماذج سيئةبالقطع بالنسبة للاطفال الذين لن يدركوا ماوراءها من أهداف بقدر ادراكهم للحوادث الوقتية المنفصلة .. هذه النماذج المقدمة فى التليفزيون تعكس ثقافتين شتان ما بينهما ثقافة شرقية لها طابعها و ثقافة غربية لها طابعها المختلف ، وهنا تكون هذه النماذج امام الاطفال ينتقون منها ما يشاءون دون قيد أو شرط . وصحيح أن للوالدين دورا هاما فى تحديد ما يجب أن يراه الطفل وبين ما لا يجب أن يراه لكن ذلك الامر دونه صعاب كثيرة .

---

* وقد يتلقى الطفل المسيحى نفس المعنى فى الكنيسة .

وعلى هذا الاساس، يكتسب الطفل نماذج سلوكية (تميز الاطـــــار العام لشخصيته) من ثقافته (بتأثير الاسرة ووسائل الاعلام و المؤسســـات الاجتماعية الثقافية الموجودة) كما أنه قد يكتسب نماذج سلوكية اخـــرى تختلف بالقطع عن ثقافته • وتختلف درجة التباين بين النماذج المحليـــة والاجنبية فى تأثيرها فى شخصية طفل اليوم (راشد المستقبل) من اســرة لاسرة و من حى سكن لحى سكن اخر (أى من ثقافة فرعية لثقافة فرعيـــة أخرى و داخل الثقافة الواحدة) ، وبحسب درجة تعليم الوالديـــــن ومستواهم الاجتماعى و الاقتصادى •

فلا غرو اذن أن نرى الشخص يسكن " باب الشعرية " أو " الحسنية " ومع ذلك فهو لا يعرف فرقة رضا للفنون الشعبية بقدر معرفته لفرقة (البونى إم) Beny - M- وهو لا يعرف فريد شوقى (الممثل) بقدر معرفته (ستيـف أوستن) ولا يعرف على رضى (الراقص) بقدر معرفته " جون ترافولتـــا " وقد يؤثر هذا التباين و الاختلاف تأثيرا كبيرا فى شخصية الفرد ، مما يخلـــق لديه الصراع النفسى بين معايير السلوك الاجتماعى المطلوب فى اطار ثقافتـــه والمعايير المرغوب فيها من جانبه ، وقد تكون غريبة على مجتمعه • وقـــــد يصل هذا الصراع الى حد كبير مما ينعكس على الفرد بالاضطراب النفســـى ، او الجنوح الذى يتبدى فى اشكال الجريمة لدى الصغار (جناح الاحداث) أو لدى الكبار (الجرائم المختلفة) التى تدخل الفرد تحت طائلة قانـــون العقوبات ، وهو يهدف هنا الى القصاص من أولئك الذين يخرجون اســاسا عن معايير السلوك السوى فى مجتمعهم ، اى الخروج عن معايير الثقافـــــة العامة للمجتمـــــع •

تأثير"المدرسة" بوصفها أحدى مؤسسات المجتمع :

الطفل يقدم الى المدرسة ، وقد تكونت لديه مفاهيم اساسية للسلوك الاجتماعي ، تبللورت خلال الاحتكاك و التفاعل اليومي مع نماذج كثيرة ، منهما الوالدين و الاقارب و الجيران ، و الاصدقاء و تعلم الطفل خلالها كيف يضبط عواطفه و انفعالاته ، وكيف يفرق بين ذاته وذوات الاخرين وبالتالي استطاع أن يميز بين ما يملكه وما يملكه غيره ، وانه كي يكون مقبولا من جماعة الاصدقاء في اللعب اليومي ، يجب ان يحترمهم ويحترم رغباتهم حتى يبادلونه نفس الاحساس وما الى غيرذلك ، ثم تكمل المدرسة هذا الدور ــ أو هكذا يجب أن يكون دورها ــ التربية قبل التعليم . فالمدرسة هي في الواقع موسسة ممثلة للمجتمع ، ينبغي أن تقوم باكمال تربية السلوك الاجتماعي لدى الاطفال وهي مسئولة عن نقل معطيات الثقافة الى الاطفال (وليس تلقينهم مجموعة من العلوم) وتنميتهم تنمية اجتماعية شاملة (صحيا ــ رياضيا ــ عقليا ــ انفعاليا ــ واجتماعيا) . اذن فالمدرسة تكمل رحلة قد بدأتها الاسرة مع الطفل في سبيل توصيله الى بر الامان ، وبر الامان هنا هو تمثل الثقافة المحيطة به من كل جانب تمثلا كاملا . حيث تلقنه المدرسة كيفية السلوك ــ القويم (بأسلوب منظم) من حيث الالمام بالحقوق و الواجبات ، واحداث التناغم بين مطالب الفرد و قيود المجتمع ، والتنافس الشريف دون سيطرة او استبداد على الاخرين ، وحب العمل و الانتاج ، والترتيب و النظام . وتتاح للطفل في المدرسة فرصة ممارسة ادوار اجتماعية جديدة تختلف عن الادوار التي لعبها (أو مثلها في لعبة) مع اصدقاؤه ، حيث قد يتوحد مع مدرسه (وتتوحد الفتاة مع مدرستها) وهذا التوحد يتيح فرصة اكبر امام الطفل لان ينمي مداركه وآفاقه ، وبالطبع كلماكان المدرس ذا شخصية ناضجة وقدوة حسنة ، كلما اثمرت عملية التوحد به ثمرتها الناضجة

في تكوين شخصية متكاملـــة .

وبطبيعة الحال قد يمارس الطفل ادوارا اجتماعية جديدة كالقيادة والتعاون مع الزملاء ، وهذه كلها ادوارا تكمل الادوار التي مارسهـــا وتعلمها في محيط الاسرة ، لتخلق لديه الوعي الكامل بالمواقف الاجتماعية التي ينبغي أن يعد نفسه لممارستها في الكبـــر .

الفروق و الاختلافات الثقافيـــة :

وبطبيعة الحال ، فأنه اذا كانت الثقافة تلعب مثل هذا الدور الهـــام في نقل معطياتها الى كل كائن جديد يستحدث في اطارها ، فلنــا أن نتوقع الفروق و الاختلافات فيما بين الشخصيات الموجودة في مختلف الثقافـــات على نحو ما . ولقد سبق أن بينا أن هناك خصائص وصفات يتفق فيها كل بني البشر ايا كان موقعهم الجغرافي من العالم . والان يأتي الدور الـــذي نتناول فيه الاختلافات و الفروق التي ترجع الى الثقافة الفرعية التي ينشأفيهـــا الكائن الجديـــد .

ولعل أهم هذه الفروق تعود الى التمييز بين الذكورو الانوثة فـــي الخصائص النفسية للاطفال . فليس الذكر بما هو مزود به من خصائـــص فسيولوجية تشريحية (الاعضاء الجنسية) وليست الانثى كذلك بما هـــي مزودة به من نفس الخصائص . وانما يمكن أن تنشأ الذكور على خصائص الاناث ، والعكس بالعكس صحيح . ولعل دراسات مرجريت ميد Mead. M. التي سنشير اليها بعد قليل تثبت هذا المعنى وتدعمه ، وأصل هـــذه العملية وعلتها لعب الادوار — Role play — الاجتماعية . فالمجتمع ينقل خصائصه الى الاطفال عن طريق ممارسة هذه الخصائص في لعبهم اليومي .

وهكذا نسمح للاطفال الذكور بممارسة العاب (ادوار) الذكور الراشد يـــن • فالطفل فى لعبة فى سن الطفولة المبكرة مسموح له أن يلعب مع الاطفـــال من الجنسين ، وبعد أن يشب بعض الشيء ، لا نذكى لديه هــــذه النزعة حتى لا يكون منعما ، فتوجهه الى اللعب مع الذكور من الاطفـــال وفى نفس عمره تقريبا وحتى فى الاعمار الباكرة فنحن نسمح له أن يلعـــب دور رجل الشرطة أو رجل الجيش ويمسك البندقية أو المسدس ، وأن يلعب دور الطبيب أو المهندس المعمارى ، وأن يلعب دور (عسكر و حرامية) أو دور لاعبى الكرة ، لكننا فى نفس الوقت لا نسمح للفتاة بممارسة مثل هذه الادوار واذا مارستها ينتابنا الاحساس بالخوف و الفزع بأن شيئا غير عادى قد حدث ونلفت نظرها الى ذلك بالترغيب تارة و التخويف تارة أخرى •

لكننا فى الوقت نفسه نسمح للفتاة بأن تلعب بالعرائس ، وتحنو عليهـــا وترضعها ، وتنظف لها و تلبسها ملابسها الداخلية و الخارجية ، وأن تلعب بادوات المطبخ ، فتطهو الطعام و تعد الحلوى وما شابه ، وتمارس اعمال التريكو و الخياطة الخ • الادوار التى تعدها امرأة فى المستقبل ، ونمنـــع الطفل الذكر من ممارسة هذه الادوار بالترغيب أو التخويف ايضا ، حـــتى تستقيم الامور ويخرج الذكر الى مجتمع الذكور و تخرج الانثى الى مجتمـــع الاناث ، وقد تزود كل منهم بامكانات الحياة النفسية فى اطار ما ترسمه الثقافة والمجتمع لكل منهمـــا •

وفى هذا المعنى ،تقدم لنا مارجريت ميد Mead M. * ثلاثـــة

* مارجريت ميد ، باحثة انتروبولوجيـة ، عاشت فى بعض المجتمعات البدائية فى اواسط افريقيا فى الثلاثينات من هذا القرن ، وقامت بدراسات سيكلوجية مستفيضة قدمت نتائجها التى ماتزال تدرس حتى الان باعتبارها نماذج حية لتأثير البيئة الثقافية على الشخصيـــة •

نماذج فريدة فى ثلاثة مجتمعات بدائية فى اواسط افريقيا (غنيـــــا الجديدة — New Gwnea) عام ١٩٣٠ وقدمت هذه الدراسات عام ١٩٣٥ لتدلل بها على اثرعملية التنشئة الاجتماعية فى تشكيل الادوار الجنسية (الذكورة — الانوثة) لدى الاطفال • وقد ركزت مارجريـــت ميد على ثلاثة قبائل تمثل ثلاثة مجتمعات بدائية هى :

١— مجتمع الارابش •

٢— مجتمع المندوجمور

٣— التشامبولـــى •

وفيما يلى نقدم ملخصا بنتائج هذه الدراسة الرائـدة :•

أولا : مجتمع الارابش : The Arapesh

وجدت مارجريت ميد ، فى هذا المجتمع ، كثير من الملامح التى تميز الذكور بخصائص الاناث كما تبدو فى النعومة و رفض العنف و الخشونـــة ، وفيما يلى أهم هذه الملامح :

١— يشترك كل من الرجال و النساء فى السلوك الانثوى " النعومـــة والليونة " فالجميع فى هذا المجتمع يتسمون بالمسالمة ورفض العدوان بشتى صوره •

٢— أن الرجال و النساء ، على حد سواء ، يتميزون بحب التعـــاون ، مع رفض أى نزعة الى التنافس •

٣— أن المرأة هى التى تختار الرجل الذى تود الزواج به ، وليـــس العكس كما يحدث لدينا مثلا الرجل اهو الذى يختار شريكة حياته •

٤ـ المرأة تختار الرجل الوديع و تأنف من الرجل الخشن ، وهذا هو المثل الاعلى لديهم فى الاختيار الزواجى .

٥ـ أن الدافع الجنسى ـ ومن ثمة الرغبة فى الاشباع الجنسى ـ متساوى بين الذكور و الاناث ، وليست هناك أى موانع اجتماعية تحول دون الاشباع الجنسى قبل الزواج . وعلى هذا تحذر الاسرة الاطفال الذكور من اغواء الاناث لهم (وهو عكس مايحدث لدينا اذ نحذر عادة الفتاة من اغواء الذكور لها) .

وقد وجدت مارجريت ميد أن هذه الادوار الاجتماعية التى حددتها هذه الثقافة تنتقل الى الاطفال عبر عملية التنشئة الاجتماعية وبفعل قوتها ، كما أن الاطفال يمارسون هذه الادوار فى لعبهم اليومى .

ثانيا : مجتمع المندوجمور : The Mondugumor

ولقد وجدت مارجريت ميد فى هذا المجتمع انه يزكى السلوك الذكرى العدوانى لدى جميع افراده ذكورا و اناثا . وقد سجلت الملامح التى نلخص اهمها فيما يلى :-

١ـ ان الرجال و النساء يتصفون جميعا بالسلوك الذكرى الذى يتميز بالصلف و الخشونة و العدوان . وهم يتعاملون معا فى تفاعلهم اليومى بهذا النمط السلوكى لافرق بين رجل و امرأة ، فمعاملة المرأة بشىء من الاحترام باعتبارها مخلوق أضعف من الرجل فيه اهانة للمرأة و تحقير لشأنها .

٢ـ انه وان كان الرجل هو الذى يختار شريكة حياته (المرأة التى يود الزواج بها) الا انه ينتقى من بين النساء المرأة القوية المفتولة العضلات ، العنيفة و الخشنة ولا ينتقى المرأة اللطيفة اللينة أو الرقيقة المشاعر ؟

٣ ـ تتميز الملاطفة التى تتم بين الرجل و المرأة قبل الزواج (فترة الخطوبة) بالطابع العدوانى و الخشونة و العنف ، من جانب الرجل و المرأة على السواء .

وتدعم عملية التنشئة الاجتماعية هذه المظاهر السلوكية ، سواء داخل حدود المنزل أو فى المجتمع العام ـ خارج المنزل ـ فى لعب الاطفال اليومية .

ثالثا : مجتمع التشامبولى : The Tchambuli

ويمتاز هذا المجتمع بخصائص سلوكية تختلف عن كل من الارابش والمندجمور فيما يتعلق بتبادل الادوار الاجتماعية المنوطة بالذكور و الاناث كل على حدة على النحو الذى يعكس تقمص الذكور لدور الاناث و العكس بالعكس على النحو الذى نلخصه فيما يلى :-

أ ـ بالنسبة للرجال : يتميز الرجال سلوكيا بما يلى :

١ـ عدم الشعور بالمسئولية .
٢ـ السلبية و العجز .
٣ـ الاعتمادية (المرأة هى التى تعول الرجل و تعمل و تكد وتنفق عليه) .

٤ـ القيام بالاعمال المنزلية (من طبخ و نظافة و حياكة و جميع أشغال المنزل) ٠

٥ـ القيام بمهام تربية الاطفال (وارضاع الاطفال وما الى غير ذلك) ٠

٦ـ فى الاحتفالات و الاعياد و المناسبات يرتدى الرجال اقنعة وملابس النساء ويقلدون أدوار النساء ٠

ب ـ بالنسبة للنساء : يتميز النساء سلوكيا بما يلى :

١ـ القيام بالمسئولية الكاملة نحو اعالة الرجل و الانفاق عليه ٠

٢ـ تقوم المرأة بالاعمال المختلفة فى المجتمع (من صيد ورعى وتجارة ٠٠ الخ) ٠

٣ـ السيطرة و التحكم فى الاسرة و حتى على الرجل وليس الابناء فحسب ٠

٤ـ تلعب النساء ادوار الرجال فى الاحتفالات الدينية و المناسبات المختلفة حيث يرتدين زى الرجال و اقنعتهم ٠

ولقد وجدت الباحثة ايضا أن عملية التنشئة الاجتماعية تلعب دورا بارزا فى المحافظة على نقل هذه الخصائص السلوكية من جيل الى جيل ، فى المنزل وفى خارجه ، والاطفال الصغار يمارسون هذه الادوار فى لعبهم اليومى بتوجيه من الكبار ، فالاطفال الاناث يلعبون ادوار الذكور و الاطفال الذكور يلعبون ادوار الاناث كما هو حادث فى المجتمع الاصلى ٠

وفى هذه الدراسات يمكن القول أن لكل ثقافة طابعها المميز ، وبالتالى اثرها الفريد فى تشكيل سلوك ابنائها ، من جيل الى جيل ، وان لها اثرها الفعال ايضا فى تحديد الادوار الاجتماعية الخاصة بالذكور و الاناث ، كما أن الشخصية الانسانية لا يمكن فهمها بمعزل عن فهم الثقافة التى نشأت فيها و تفاعلت مع كل مفرداتها .

الشخصية و الاطار الثقافى (الحضارى) :

الشخصية نتاج البيئة الثقافية التى يعيشها الفرد ، بما تحتوى من ضغوط اسرية و اجتماعية تدفع الفرد لان يتطابق لمتطلبات الواقع الاجتماعى وأن ينصاع له ، فالطفل يتمثل بطريقة غير واعية فى مقتبل حياته المعايير الثقافية السائدة دون تمحيص أو نقد أو مناقشة أو رفض ، ذلك لأنه يحاكى سلوك الراشدين المحيطين به دون مراجعة أو تفحص لما يحاكيه من انماط سلوكية .

غير أن هذا الرأى ليس صائبا فى بعض مكوناته ، ذلك أن الشخصية ليست نتاج للبيئة الثقافية فقط وأن بدا الامر كذلك ، لأن العوامل الوراثية تتدخل لتدعيم هذا إنصياع الراشدين لضوابط المجتمع أو تفسده و تعوقه ، فالشخصية اذن دالة لكل من العوامل الوراثية و العوامل البيئية المختلفة .

صحيح ان العلاقة بين الشخصية والثقافة علاقة دينامية تبادلية يتم من خلالها تشكيل الافراد الجدد حديثى الولادة ، خلال التفاعل بينهم وبين

الكبار من ناحية وبينهم وبين النماذج الاجتماعية المختلفة فى البيئة المحيطة من الناحية الثانية ، وهذا هو لب عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية .

فكل طفل جديد يمر خلال هذه العملية ،فيتحول بفضلها من كائن حى بيولوجى الى كائن حى اجتماعى . وعملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى هذه هى المسئولة عن اكساب الفرد انمطا سلوكية معينة . وهى مسئولة عن تكوين الشخصية الانسانية ذات الطابع العام والخاص ، وهذه الشخصية الانسانية يختلف تكوينها من ثقافة لاخرى وداخل الثقافة الواحدة من ثقافة فرعية لثقافة فرعية أخرى (٩ : ١٢٢) .

وكنتيجة للتفاعل القائم والمستمر بين الفرد وغيره من افراد المجتمع ، او بعبارة أخرى أكثر دقة بين الشخصية والثقافة ، يصبح المجتمع مسئولا عن اكساب افراده انماط السلوك المختلفة السائدة فيه ، بما فيها بطبيعة الحال جميع مظاهر واشكال السلوك المنحرف المعوج . وفى هذا المعنى يؤكد اريك فروم على أن جميع مظاهر الانحراف المعروفة بدءا من الاضطرابات السلوكية البسيطة الى الاضطرابات الاكثر تعقيدا كالامراض النفسية والعقلية والاضطرابات السيكوسوماتية وانحرافات الاحداث والبغاء وتعاطى المخدرات والمسكرات ، كل هذه المظاهر يعد المجتمع مسئول عنها فى المقام الاول .

غير أنه لم يوجد حتى الان من يجرؤ على تحميل اى مجتمع انسانى تلك المسئولية ، بل العكس من ذلك تماما أن اغلب الباحثين والعلماء يحملون الافراد انفسهم هذه المسئولية ، وبهذا يصبحون ضحية المجتمع وضحية

العلماء . أو يصبحون بمعنى آخر اكثر دقــة هم المجنى عليهم وهم فــى الوقت ذاته المذنبون أو الجناة .

ويؤكد على هذا المعنى الذى يقدمه (اريك فروم) ، فرانك اذ يقــول بما نصه ان الطابع الخلقى للفرد ، وهو يقصد به " الشخصية " ان هــى الا نتاج للخبرة فى بيئة معينة . فالأنا الأعلى أو الضمير الخلقى للفرد، يتكون من خلال تعارض رغباته مع المحرمات الاجتماعية، فالحدث الجانح نتـــاج حتمى للصراع الاجتماعى و الاحباطات التى يفرضها نظام المجتمع ، ذلـــك لان البيئة الاجتماعية قد فشلت فى تزويده بنماذج طيبة و ايجابية من القواعد السلوكية المرعية و القيم الايجابية المطلوبــة .

واذا ما تأملنا فى الظروف القاسية التى يعانيها كثير من الاطفالـــــــ المشردين أو الذين فقدوا رعاية الوالدين بسبب أو آخر لادركنا ما يحملـــه الطفل المشرد ، الذى يطارده رجال الشرطة حيثما حل ، من حق ومـــن خوف وحنق مكبوت تجاه مجتمعه . وماذا نتوقع فى مثل هذه الاحـــوال ، من هؤلاء الافراد وهم صغار ؟ . وماذا نتوقع منهم عندما يكبرون ؟!

ونحن نتساءل فى حالة الحدث الجانح الذى ينشل حافظة شخص سالم فى مكان مزدحم أو فى وسائل النقل العام هل هناك ثأر قديم بين هـــذا الطفل الصغير وبين الضحية ،؟ بالطبع لا ... غير أن هذا الطفل انما ينتقم من المجتمع المحيط فى شخص هذا الفــرد أو ذاك . هو اذن تعلـــم داخل نطاق الاسرة نقص الحب و الحنان و التوجيه السليم وعانى الحرمـــان ونقص الاشباع ، وهو لا يستطيع أن يفرق بين بيئته الاسرية المحــدودة والبيئة الاجتماعية المتسعــة .

نحن نعلم أولادنا - (خلال عملية التنشئة الاجتماعية) - عن طريق الثواب و العقاب انماطا سلوكية معينة ، ندعم لديهم السلوك المرغوب فيه من وجهة نظرنا ومن وجهة نظر البيئة الثقافية التى نعيشها ، ونختزل لديه أنماط السلوك الاخرى غير المرغوب فيها بنفس الكيفية ، نلقنه فى كل يوم الفرق بين ما يملكه هو وما يملكه اخيه ، وانه ينبغى عليه الا يجور على ملكية غيره ، وان يحترم ملكية الغير . ومن خلال مجموعة الأوامر و النواهى تكسبه الضمير الخلقى و المظاهر السلوكية المرغوب فيها من قبل المجتمع . غير أن فاقد الشىء لا يعطيه .. فكيف السبيل لوالدين فقدا الأمان فى حياتهما و أحسا انهما ضحية مجموعة من الاحباطات،كيف أن يوصلا ابنهما الى بر الأمان ؟ ولعل هذا المثال يصلح فى كثير من المواقف الاخرى التى تحدث عنها اريك فروم . فالظواهر الاجتماعية المعتلة ، مسئول عنها المجتمع فى الأساس وفى المحل الأول .

مظاهر التنشئة الاجتماعية للأطفال الجانحين :-

تعتبر دراسة جيلوك Glueck مثالا رائعا لدراسة مدى تأثير الخبرات الاولى فى تنشئة الاطفال ، وفى هذه الدراسة التى اجريت على الف طفل نصفهم من الجانحين (مجموعة تجريبية) و نصفهم الاخر من غير الجانحين (مجموعة ضابطة - مناظرة للمجموعة التجريبية فى السن و التعليم و الذكاء والجنس .. الخ) . وقد كشفت الدراسة عن وجود عدة فروق اساسية بين الاطفال الجانحين و الاطفال غير الجانحين تتمثل فيما يلى :-

١ـ الدفء العاطفي مقابل الرفض : بمعنى أن الاطفال الجانحين ذوى آباء غير عاطفيين ، رافضين للابن (سواء شعوريا أولا شعوريا) وان رفض الاباء للابناء ذا أثرأقوى من رفض الامهات للطفل .

٢ـ نمط التدريب : بمعنى أن الاطفال الجانحين أكثر عرضة من الاطفال غير الجانحين لاسلوب تدريبى قاس من قبل الوالدين يتميز بالخشونة و العقاب البدنى أو العكس يتميز بالضعف و التراخى التام كما اتضح ان عدم الوفاق العائلى سببا هاما من أسباب النجاح .

٣ـ التسلطية : بمعنى أن تسلط الوالدين تسلطا شديدا على الابناء من العوامل الهامة فى احداث الجناح ، وليس معنى هذا — أن التراخى المبالغ فيه من قبل الوالدين (والاباء على وجه الخصوص) يساعد على تنشئة الاطفال تنشئة سوية ، بل على العكس من ذلك فقط ثبت أن السماح بقدر مرتفع من الحرية أو التسيب للابناء ، يؤدى الى نفس مظاهر النجاح .

٤ـ الانهيار العائلى : ويعنى تصدع الاسرة سواء بغياب احد الوالدين نتيجة للخلافات أو الطلاق أو الهجرة ، او وجود صراع دائم بين الوالدين ، فكلها عوامل هامة تؤدى الى جناح الاحداث.

٥ـ الاضطراب النفسى : بمعنى أنه اذا كان احد الوالدين أو كلاهما مصابا باضطرابات نفسيه أو عقلية أو مدمن على الكحوليات أو المخدرات أو متخلف عقليا ، فان هناك احتمال كبير فى جنوح الابناء .

ولعل هذه أهم ملامح عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية المرتبطة بالجناح أو التى تعد من المسببات الاساسية له.ويعدد ميشيل ارجايل انواعا عدة من جناح الشخصية وعلاقاتها بالتنشئة الاجتماعية منها الجناح الكاذب الذى يرتبط بالاهمال العائلى وضعف القدرة على التدريب ، وكذلك السيكوباث ، الذى يرتبط باهمال عائلى و العقاب البدنى و التفكك الاسرى و الفقر و الحاجة الى الامن وما الى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق .

دور المدرسة فى عملية التنشئة الاجتماعية :

رأينا من العرض السابق أن الاسرة هى القالب الذى ينصب فيه الطفل ليخرج الى الحياة الاجتماعية على غرار من دربوه ولقنوه كل صنوف السلوك . لكن هل الاسرة وحدها هى المؤثر الوحيد فى سلوك الطفل مستقبلا ؟ بطبيعة الحال لا . انما الطفل يستمد ايضا من خلال الجماعات الثانوية التى ينضم لها الكثير : جماعات الاصدقاء فى المنزل الواحد او الجيران فى الشارع أو الحى (أو الحارة) أو جماعات الاندية أو الساحات الشعبية و من احتكاكه بهذه الجماعات يكتسب منها انماطا سلوكية أخرى .

وقد يحدث أن تتفق هذه القوى (الجماعات) المختلفة التى يتعرض الطفل لتأثيرها مع الانماط السابقة التى تعلمها فى الاسرة وقد تختلف . ويؤدى الاتفاق اذا كانت المؤثرات سوية الى خلق شخصية معدة اعدادا جيدا كما يؤدى الاختلاف الى اعداد شخصية غير معدة الاعداد المطلوب الذى يؤهل الشخص للحياةفى المجتمع بطريقة التى تجعله اكثر انتاجا واكثر سعادة واستقرارا ومتوافقا مع معايير ثقافته (٦ : ١٢٠) .

وقد رأينا كيف ان الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفـرد يؤثـر عليه تأثيرا كبيرا . فهو يصنع له شخصيته ثم يخلعها عليه خلعا علـى مراحل متصلة (بعملية التنشئة الاجتماعية) ، في كل مرحلة من مراحل حياته من الطفولـة المبكرة وحتى الرشد ، ومن خلال الاسرة وهي اول جماعة اولية ينضم لها بالمولد والمنشأ ثم بقية الجماعات الثانوية التي ينتمي اليها ، ومن خلال هذه الجماعات تتحدد له ادوار اجتماعية في ضوء المعايـير السائدة في الثقافـة ، ومن خلال توقعات الاسرة لمستقبله التعليمي ومستوى طموحه المرجو له ، ومن خلال الطبقة الاجتماعية التي ينمو فيها ثم أخـيرا من خلال المعايير الاجتماعية العامة لثقافة المجتمع الكبـير الواسع الذي يخرج اليـه (٦ : ١٢١) .

الفصل الرابع

المعايير الاجتماعية

مقدمـــة :

تعرضنا في الفصل السابق لعملية التنشئة الاجتماعية وتبين لنا كيف يكتسب الانسان من خلالها انماط سلوكية معينة دون غيرها ، وكيف تتحدد له اهدافه في الحياة ووسائل بلوغ هذه الاهداف . فهو يكتسب بالتنشئة الاجتماعية اتجاهاته وقيمه (الى جانب العادات السلوكية المختلفة) وهذه الاتجاهات والقيم تحدد للفرد فلسفته الخاصة في الحياة . ومع اختلافنا داخل الثقافة الواحدة في كثير من العادات وانماط السلوك الا اننا جميعا نشترك في خصائص عامة . وقلنا أن عملية التنشئة الاجتماعية هي المسئولة عن بروز الاختلافات الشاسعة فيما بيننا تبعا لاختلاف الثقافات الفرعية التي ننتمي لها والتي نعيش فيها ، وهي ايضا مسئولة عن وجود قدر كبير من الاتفاق فيما بيننا (داخل حدود ثقافتنا المصرية) في مظاهر سلوكية وعادات وتقاليد وقيم واحدة ، هي في النهاية معايير اجتماعية .

صحيح ان الطفل يكتسب انماط سلوكه من الاسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لكن هذه الانماط سائدة في الثقافة العامة . فنحن لا ننشأ طفلنا داخل الاسرة ليعيش في الاسرة فقط ، وانما ليعيش في المجتمع كله . ومن ثمة فنحن ندربه في الاسرة لكي يتكيف للحياة في مجتمع واسع له معايير محدده لا يمكن الخروج عليها . كذلك فان الفرد لا يكتسب من الاسرة كل شيء (جميع خصائصه السلوكية) بل يدعم دور الاسرة كمؤسسة دور مؤسسات اخرى لا تقل أهمية عن دور الاسرة ، كالمدرسة والمسجد أو الكنيسة هذا الى جانب الجماعات الاخرى (الثانوية) التي ينتمي لها عبر حياته .

وجميع هذه المؤسسات موجودة في ثقافة واحدة ، ومن ثمة فان الفرد يتعرض دوما لمؤثرات متشابهة هي المسئولة عن وجود قدر من التشابه في مجموعة من الخصائص السلوكية التي تسمى بالمعايير الاجتماعية كالعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم . غير انه ما دام الجزء الاكبر من التراث الثقافي ينتقل الى الفرد عن طريق الاسرة ، فقد يحدث أن تغير الاسرة في بعض جوانب هذا التراث المنقول الى الابن بما يتماشى مع التكوين النفسي والاجتماعي للوالدين من ناحية ، وبما يتفق مع متطلبات الحياة في مستوى اجتماعي واقتصادي معين. هذا هو الذي يفسر وجود تشابه في السلوك بين ابناء الثقافة الواحدة ، وفي نفس الوقت اختلاف أبناء الثقافة الواحدة في بعض انماط السلوك طبقا للثقافة الفرعية التي يعيشها كل منهم وطبقا للمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي ينتمي اليه كل منهم ، على اننا نستطيع القول أن التشابه بين ابناء الثقافة الواحدة في السلوك يعكسه مجموعة من المظاهر التي نطلق عليها العادات والتقاليد والمبادئ والقيم ومعايير السلوك ، أو ما نسميه بالمعايير الاجتماعية التي يعد الخروج عليها من جانب فرد خروج على المجتمع بما يستوجب عقابه في بعض الاحيان أو نهره وتوبيخه من جانب ممثلي المجتمع من افراد وجماعات .

المعايير الاجتماعية :

لا يمكن أن يعيش الانسان بنفسه ولنفسه فقط . بل تتطلب حياته دوما أن يعيش عضوا في جماعة ، سواء جماعة الاسرة (الجماعة الاولية) أو جماعات الاصدقاء والرفاق والنادي .. الخ (الجماعات الثانوية) وعادة ما تحدد كل جماعة لنفسها مجموعة من المعايير وتطلب من الفرد الذي يود الانتماء لها

قدرا من المسايرة أو الانصياع لمجموعة من انماط السلوك ، بل تطلب اتفاق اعضاء الجماعة على الامال والآلام والاهداف (٢ : ١١٨) وتعرف هذه المطالب التي تحددها الجماعة (بالمعايير) التي ان وافقها الفرد واتفق معها اصبح مقبولا من الجماعة وان تحداها ورفضها اصبح خارجا على الجماعة .

ولقد قدم مظفر شريف مفهوم المعايير الاجتماعية ليدل على مايقبله المجتمع من قواعد وعادات واتجاهات وقيم وغير ذلك من محددات (١٦ : ٧٩) ، وتعتبر هذه المعايير أطر مرجعية ، يرجع اليها الفرد كي ترشده لما ينبغي أن يسلكه في المواقف المختلفة . فما هي اذن الاطر المرجعية وكيف تتكون ؟

الاطار المرجعي :

مامعنى الاطار المرجعي ؟ ولكي نعرف معنى الاطار المرجعي ، نضرب المثال التالي : قد يأتي الى القاهرة قروي من الريف المصري ، فيقف مشدوها امام عمارة شاهقة الارتفاع ... ويعبر عن دهشته لعظمة ذلك المبنى المرتفع الذي يطاول في نظرة السحب .. ثم يمر هذا القروي في حال سبيله ، ليأتي بعده بلحظات سائح امريكي من مدينة نيويورك ، ليقف أمام نفس المبنى ويعبر عن ضآلته أو ليرى ان ارتفاعه عاديا ؟ ... اذن ما الذي حدث ، هل المبنى عاليا شاهقا أم هو ضئيل عادي ؟ او بعبارة أدق ما هو هذا الحكم و من أين أتى .. الاجابة الاطار المرجعي . لقد حكم القروي على أن العمارات شاهقة بالرجوع الى اطار حدد مدركات سابقا هو المنازل المتواضعة في الريف .. وبنفس الكيفية حكم الامريكي على ضآلة نفس هذه المنازل بالرجوع

الى اطارحدد مدركاته الخاصة بالمنازل الامريكية فى مدينة نيويورك (ناطحات السحاب) فقارن هذه العمارات بما تعود عليه من منازل موجدها صغيرة .بالمثل ترى الشمس وهى فى الشروق والغروب اكبر ــ نسبيا ــ مما هى عليه فى كبد السماء ، بينما هى فى الواقع بحجم واحد فى كلا الحالتين . وانما فى حالة الشروق والغروب نقارنها بما ندركه حولها من منازل واشجار وبحر ومنازل وجبال نعلم حجمها واشكالها (اطار مرجعى) اما وهى فى كبد السماء فالاطار المرجعى من نوع اخرفضاء كونى لا نعلم عنه شيئا (اتساع السماء كما نراه) فتبدو الشمس ضئيلة نسبيا .

وبالمثل نجد شخصان أتيا للقاهرة فى زيارة لمدة اسبوع ، احدهما من بلد عربى والاخرمن بلد أوربى ، كل منهما يدرك من معالم القاهرة ما يتماشى مع اطاره المرجعى من ناحية ومن ناحية ثانية كل منهما يسلك السلوك الذى يتماشى مع اطاره المرجعى ، وبالطبع يختلف سلوك كل منهما عن سلوك الافراد فى مصر ، لانه ليس من الضرورى بالنسبة لهم ــ من وجهة نظرهم ــ الالتزام بالمعايير السائدة الا بما تقتضيه حدود المجاملة أو آداب السلوك كما يتصورها كل وفق اطاره المرجعى .

ومعنى هذا أن الاطار المرجعى يتضمن كل من العوامل الموضوعية والذاتية التى تؤثرفى ادراك موضوع ما ، الا أنه يقصد به غالبا جانب واحد فى الارضية الادراكية يعتقد انها تؤثرفى الادراك الكلى (١٠ : ٢٧) .

اذن فالمعايير الاجتماعية تحدد للفرد الاساليب السلوكية المطلوبة والمقبولة من جانب المجتمع . ويشمل هذا المفهوم الاتجاهات والقيم، ففى الغرب يعبر الرجل عن احترامه لشخص آخر بأن يرفع قبعته من على رأسه مع انحناءة خفيفة من

الرأس . بينما نحن هنا نعبر عن احترامنا بأن نصافحه و نعانقه .. كما لبس القبعة في بعض المجتمعات الاوربية يعد مظهرا من مظاهر الاحترام .. وكان لبس الطربوش في مصر الى عهد قريب (حتى ثورة يوليو ١٩٥٢) مظهرا اساسيا لاحترام الرؤساء . وبالمثل تختلف المعايير الخاصة بالزواج من ثقافة لثقافة اخرى و هكذا لمجموعة العادات والتقاليد الخاصة بكل مناسبة وباسلوب التحية والعادات السلوكية اليومية ، التى تيسر للافراد تعاملهم بعضهم مع بعض ، والتى تسهل تفاعلهم الاجتماعى .

تكوين المعايير الاجتماعية وتأثيرها :

كيف تتكون المعايير ؟ وما تأثيرها على الفرد ؟ ، هذه المسائل شغلت تفكير العديد من الباحثين فى مجال علم النفس الاجتماعى ، ووجد حلها مظفر شريف من خلال تجارب معملية على سلوك الافراد . وفى احدى دراساته الرائدة فى هذا المجال ، اختار مظفر شريف لتجربته مثيرا غامضا وهو نقطة ثابتة من الضوء اذا رؤيت فى حجرة مظلمة تماما تدرك على انها تتحرك (ظاهرة الحركة الذاتية ـ (Auto Kinetic) ولما كانت هذه النقطة ثابتة ولا تتحرك ابدا فان اى تقدير لمدى حركتها يعد تقديرا ذاتيا نتيجة خداع بصرى يتحدد بعوامل داخلية فى الفرد (١٠ : ٤٦) .

وقد احضر الباحث عددا من الافراد وطلب الى كل منهم ان يقدر مدى حركة النقطة المضيئة بالبوصات ، وكرر التجربة على كل فرد على حدة عدة مرات وكانت تقديرات كل فرد تميل الى الثبات ثباتا يفيد أن كل فرد كون لنفسه معيارا للحكم الشخصى ، الاول ٣ بوصات (فى المتوسط) والثانى ٧ بوصات

(فى المتوسط) وهكذا ... وقد نوع شريف فى الجزء الثانى من التجربة الى ان يجعل الافراد يقررون مدى حركة النقطة المضيئة وهم معا فى جلسة واحدة ، وقد وجد الباحث ان الجماعات وصلت الى حكم معيارى (قسرب بين الافراد) يختلف عن معيار كل فرد على حدة . ومعنى هذا أن الافراد الذين بدأوا فرادى وكون كل منهم معيارا خاصا به ، حين اجتمعوا معا لاصدار حكم بتقديراتهم ، بدأت هذه المعايير الفردية تتقارب وتصبح معيارا جماعيا (١٠ : ٤٨) .

وقد انتهى شريف من عدد التجارب الى تقرير أن معايير الاحكام عند الفرد تتأثر بسماعة لاحكام الاخرين وبتعبيره هو عن احكامه امام الآخرين . وقد علق لويس كامل ملكية على نتائج هذه التجارب بقوله " ان المعيار هو الاطار المرجعى الثابت نوعا ما سواء كان هذا الاطار المرجعى ذا طبيعة كمية أو كيفية فى تأثيره . فالافراد فى تجربة شريف كون كل منهم بمفرده معيارا فرديا يقدر فى ضوءه حركة النقطة المضيئة . كما انهم حين اتصلوا بعضهم ببعض فى جماعة توصلوا الى استخدام نفس الاطر المرجعية فى اصدار احكامهم الجماعية (١٠ : ٥٠) .

ومعنى هذا اذن أن المعايير الجماعية ما هى الا اطرا مرجعية مشتركة تنتج عن اتصال الافراد فى جماعة واحدة أو فى مجتمع واحد .

وتشير نتائج تجارب مظفر شريف ، والتى استكملها سولمون آش الى عدة حقائق عامة نوجزها فيما يلى :-

٣ـ ان يتسع مدى الاختلاف فى الرأى بين الفرد والجماعة التى ينتمى لها .

٤ـ ان تقل ثقة الفرد بصحة ما لديه من معلومات ومدركات .

كما تشير نتائج هذه البحوث وغيرها من بحوث قام بها لفيف من علماء النفس الى أن الفرد يميل الى الالتزام بمعايير الجماعة والاتفاق معها فى الرأى كنتيجة الى وجود بعض السمات والخصائص النفسية لديه ، مثال ذلك ان يكون الاتفاق مع الجماعة بمثابة حل لصراع داخلى (٢ : ١٥٤) . كما ان عضوية الفرد فى جماعة يشعر بفخر الانتماء لها تجعله سعيدا بالتنازل عن رأيه واستعداده لتقبل رأى الجماعة فى مقابل استمتاعه بالانضمام لعضوية هذه الجماعة . وبهذه الكيفية تتضح عدة حقائق اهمها ان كل جماعة تحرص على الاحتفاظ بمعايير محددة لها وللسلوك فى اطارها تلتزم بها كل عضو ، هذا على مستوى الجماعة الصغيرة المحددة وايضا على مستوى الجماعات الكبيرة والمجتمع العام .

مؤداها أنه طلب من بعض الافراد ان يزيفوا احكامهم امام شخص (لا يعرف بهذا الاتفاق بين هؤلاء الافراد والباحث) فيما يتعلق بالحكم على اطوال ثلاثة خطوط غير متساوية الطول ، فكان كل فرد يلقى بحكمه علانية امام الجميع بان الخطوط الثلاثة متساوية وفى ضوء تجربة شريف كان لابد لهذا الشخص ان يوفق بين حكمه واحكام افراد جماعته : أو مع معيار الجماعة . لكن هذا الشخص قد واجه حكما جماعيا خاطئا فهل ينصاع له ، حتى لو كان يتنافى مع منطق حواسه ؟ كرر آش التجربة على اعداد كبيرة من ٥٠ فرد فوجد أن بعض الافراد ظل محتفظا برايه مهما تعرض لاحكام اغلبية الجماعة (بالنسبة للاحكام الخاطئة) وهذا البعض قدر بحوالى ثلثى افراد التجربة (١٠ : ٥١) .

ويعلق لويس كامل مليكة على نتائج هذه التجربة بقوله أن البعض فى هذه التجربة قد ظل واثقا من حكمه الخاص دون حكم الجماعة بينما اظهر البعض الاخير حيرة امام اجماع الاغلبية على حكم ترفضه حواسه ولكن مع هذه الحيرة انصاع لرأى الجماعة (١٠ : ٥١) .

وتشير هذه النتائج الى أن الفرد يميل الى تقبل رأى الاخرين فى ظل ظروف معينة هى :-

١- ان تكون آراء الاخرين مقنعة بسبب اتفاق جماعى منهم على هذا الرأى وخاصة اذا كان هؤلاء الاخرين يمثلون للشخص مصدرا للثقة التامة وعلى شريطة الا تتعارض احكامهم تماما مع منطق الاشياء ..

٢- ان تكون آراء الفرد غير مدعمة بدلائل قوية أو هى مدعمة بدلائل غامضة .

بنفس هذه الكيفية تتكون المعايير الاجتماعية برمتها .... العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات ومظاهر السلوك المختلفة التي هي في نهاية الامر مجموعة من المعايير . فالافراد — على اختلافهم — في المجتمع، يكتسبون من خلال تواصلهم وتفاعلهم مجموعة من المعايير يتقاسمونها فيما بينهم ولا يخرجون عنها أو عليها. فهم يلاحظون على التزامهم بها من قبل المجتمع وممثليه من افراد (الأب أو الأم في عملية التنشئة الاجتماعية في الاسرة) أو الجماعات (المؤسسات المختلفة في المجتمع من مدارس ودور عبادة وجماعات منظمة) وهم يعاقبون اذا خرجوا عليها بنفس الكيفية ، وفي حالات الخروج المتطرف فهم يعاقبون بواسطة القانون وممثليه (النيابة والبوليس) . ومن الناحية السيكلولوجية ، لا يسعى الفرد للخروج على المعايير الاجتماعية الا في حالات اظهار الرغبة في الاختلاف وهذه الرغبة غير سوية . ذلك لان الفرد يسعى دوما لأن يحفظ نوعا من التوازن السيكولوجي (المواءمة بين مطالبه وحاجاته ومطالب الواقع الاجتماعي وشروطه لتحقيق هذه الرغبات) .

العوامل المؤدية الى الالتزام بالمعايير الاجتماعية :

لقد وجدنا في تجربة مظفر شريف أن الفرد يغير من حكمه (المعيار الفردى) في مقابل أن يقبل حكم الجماعة (المعيار الجماعى) . لكن هل هذه قاعدة ذهبية لا يمكن الخروج عليها ؟ بمعنى ان القرار أو الحكم الجماعى لو كان خاطئا يتحدى كل منطق حتى منطق الاشياء المحسوسة ؟ بالطبع لا ، وقد حاول سولمون آش أن يختبر صحة هذا الافتراض بأن اجرى تجربة

١ـ ان الفرد قد يصل الى رأى خاص به عندما يواجه موقفا يشوبه الغموض فاذا ما اجتمع مع غيره من افراد واطلقوا حكمهم على هذا الموقف فان آراءه (أو احكامه) السابقة تميل لان تتعدل في ضوء الرأى الجماعى . واستنادا الى هذا قد نحكم على شئ أو على فرد حكما معينا نتيجة لوضوح الموقف بالنسبة لنا ، ثم نعدل رأينا او حكمنا على هذا الشئ أو الفرد نتيجة لصدور احكام مخالفة لحكمنا من مجموعة كبيرة من الافراد وبخاصة اذا كانوا يمثلون جماعة تنتمى لها ونشعر بالفخر والسعادة لعضويتنا فيها . مثال ذلك : قد يحكم احدنا على فرد آخر بأنه سئ أو منافق أو غيرموضوعى .. الخ . وقد يحكم افراد جماعتنا عليه بانه شخص ناضج وسليم وموضوعى .. الخ هنا يمكن ان نغير حكمنا السابق و نقبل الحكم الذى أصدرته الجماعة (التنازل عن المعيار الذاتى لقبول معيار الجماعة) أو قد نحاول التوفيق بين حكمنا السابق وحكم الجماعة بأن نخفف من حكمنا ونمد له فى اتجاه حكم الجماعة .

٢ـ ان المعايير الاجتماعية تتكون نتيجة التواصل و التفاعل الاجتماعى الذى يحدث بين الافراد .

مثال ذلك : نفس المثال السابق ، فالفرد الذى تنازل عن حكمه على ذلك الشخص (المعيار الفردى) وتقبل حكم الجماعة (المعيار الجماعى) لم يتقبل هذا الحكم بسهولة ، وانما من خلال المناقشة والحوار والاخذ والعطاء الذى هو فى نهاية الامر اتصال بين افراد الجماعة والتفاعل معهم .

مراجع الباب الثانـــــــــــــى

اولا : مراجع عربيـــة :

١- السيد محمد خيرى و محمود الزيادى : محاضرات فى علـــم النفس الاجتماعى ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢- احمد عبد العزيز سلامة وعبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٣- احمد فؤاد فائق : دراسة تجريبية فى وظيفة ووظيفية جماعـــة صغيرة ، فى : لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفـــس الاجتماعى فى بلاد العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الفصل الثانـــــى والعشرون ص ص ٣٥٢ - ٣٧٢ .

٤- انستازى ، وفولى : سيكولوجية الفروق بين الافراد والجماعات الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٥- براون ، أ : علم النفس الاجتماعى فى الصناعة ، ترجمــــة السيد محمد خيرى وآخرين ، دار المعارف ، ١٩٦٠ .

٦- حامد عمار : التنشئة الاجتماعية فى قرية مصرية : سلوا - اسوان ، فى : لويس كامل مليكة : قــراءات فى علم النفــس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الدار القومية للطباعـــة والنشر ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الفصـــل السابع ، ص ص ١٢٠ - ١٣٢ .

٧- نجيب اسكندر وآخرين : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١.

٨- سامي محمود علي : دراسة في الجماعات العلاجية ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٢ .

٩- سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشخصية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

١٠- لويس كامل مليكة : سيكولوجية الجماعات والقيادة : ديناميات الجماعة ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١١- لويس كامل مليكة : قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية تنسيق وإعداد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الجزء الاول ، ١٩٦٥ .

ثانيا: المراجع الاجنبية :

12. Allen, P.S.: The Leadership patterns, Ame. Soc. Rev. 1952, I, vol. 17 P.P. 95-105.

13. Aghc, S.E.: Social psychology, prentic-Hall inc, N.Y. 1952.

14. Brown, J.A.: The Social psychology in Industry. A. pelican Books 1956.

15. Carrell, I.E. : Personality correlates of socio-metric status. J. Appl. psychol., Apr. 1959.

16. Sherif, M. And Cantril, H: The Psychology of Ego envolvements.

الباب الثالث

سيكولوجية الجماعات والقيادة

الفصل الخامس

دراسة في تحديد مفهوم الجماعة

مقدمـــة :

لقد بينا فى الاجزاء السابقة كيف أن الانسان كائن حى اجتماعى ، لا يستطيع أن يعيش فى معزل عن غيره من الافراد المحيطين به من كل جانـــب ، وهؤلاء الافراد يعيشون فى تجمعات أو جماعات . و التجمعات الانسانية كثيرة وتتنوع فى ميزاتها وخصائصها ، كما تختلف فى درجة تأثيرها على الاعضـــاء المنتمين لها ، فبعضها له تأثير طفيف على سلوك اعضائها وبعضها ذا تأثـــير كبير على سلوكهم . وبعض التجمعات وقتى عارض ، غير منتظم ، كما يحـــدث مثلا ان يتكون تجمع من الناس فى الطريق العام اثر حادثة ما قـــد وقعـــت ، وقد يكون التجمع ذا استمرار زمنى ويصبح بمثابة كيان مهم فى حياة الفرد وفى شخصيته ويشعر بالراحة و السعادة بالانتماء لهذا الكيان .

فالفرد قد ينتمى لطبقة أو فئة الموظفين — صغارهم أو كبارهم — وقد يتصرف بطريقة معينة أو وفقا لنماذج معينة تسود فيما بين أفراد هذا التجمع ، ولكـــن تأثير هذا التجمع قد يكون طفيفا أو سطحيا ، ولكننا لو انتقلنا الى التجمعـــات العمالية أو بمعنى ادق (جماعات العمال) نجد الصورة قد اختلفت اذ أن مثل هذه التجمعات انما تباشر تأثيرات قوية على اعضاء مثل هذه التجمعات . و من هنا يطلق على مثل هذا التجمع لفظ جماعة - Group - لعوامـــل كامنة فى طبيعة هذه التجمعات منها الاستمرارية و التفاعل المباشر القـــوى وخصائص كثيرة سنشرحها فى شتى الفصول التالية . فالفرد (س) العامـــل بقسم الكريستال بشركة النصر لصناعة الزجاج و البللور — مثلا — انما هـــو عضو Member فى هذه الجماعة (قسم الكريستال) ، يتأثـــر بأفراد هذه الجماعة ويؤثر فيهم ، فهو يتعاون — أو يتنافس — معهم ، ، يتجاذب معهم الحديث و النكات أو قد يتشاجر معهم ، يدعمهم أو يخلفهم

أو يحبهم سرا أو علانية الخ .. انماط السلوك المختلفة التى تنشأ بفعل تأثير هؤلاء الاعضاء بعضهم نحو بعـــض .

ماهى الجماعة اذ ن ؟ .. وما الفرق بينها والتجمع العفوى أو الوقـــتى لقد اختلف رأى علماء النفس فى الاجابة على هذا السؤال ، لكنهم كادوا أن يتفقوا على لزوم توافر شرطين اساسيين لاعتبار التجمع على انه (جماعة) .

هذين الشرطين هما :

أ ــ الشرط الأول : وجود نمط من التفاعل الدينامى بين الاعضاء : أى أن الاعضاء يتفاعلون بعضهم مع البعض (كل عضـو مع بقية الاعضاء) فى مختلف المواقف اليوميـــة . وهذا الشرط الاساسى يرتبط به عدة شروط فرعيـــة أهمها [illegible] معا فى الزمان و المكان .

ب ــ الشرط الثانى : ان كل عضـ[illegible]ـاعة يجب ان [illegible] نفسه على انه فعال [illegible] عضو فى هذه [illegible] وعلى ذلك يجب ان يسلك سلوكا يعبر عن مضمون هذا الادراك .

تحديد معنى الجماعـــة :

تعنى الجماعة : علاقات مختلفة بين الافراد ، هذا من ناحيـــة و مــــن ناحية اخرى تعنى تنظيمات فى مستويات مختلفـــة من البساطة و التعقيد (٨ : ٣ ــ ٤) وقد نفهم مصدر الخلط فى هذا التميز اذا رجعنا الى انواع ثلاثـــة من العلاقات تدل عليها كلمة جماعة يحددها أشى Asche علـــى النحو التالـــى :-

١ـ النوع الاول : العلاقات بين الافراد الذين لا يتفاعلون معا وفى آن واحد فى مكان واحد ، على الرغم من وجودهم فى مكان واحد ووقت واحد . و مثال هذا النوع من الجماعات يطلق عليه لفظ تجمع Collection وهذا النوع يخلوا من العلاقات الاجتماعية المتبادلة التى يظهر فيها التفاعل الاجتماعى ومثال هذا التجمع (مظاهرة) أو تجمع من الافراد على اثرحادثة فى الطريق .

٢ـ النوع الثانى : العلاقات بين افراد يشتركون فى خصائص معينة ولكنهم مع ذلك لا يجتمعون معا . مثال ذلك كبار السن أو العميان أو ذوى العاهات . فمثل هذه الخصائص لا تتطلب منهم أن يتواجدوا معا أو يتصل بعضهم ببعض الا فى حدود بعض المؤسسات الاجتماعية (وهنا الموقف يختلف) .

٣ـ والنوع الثالث : العلاقات المتبادلة بين الافراد فى المكان و الزمان مع الاستمرار وهذا النوع الثالث يطلق عليه آش بالجماعة الاجتماعية حيث يعتمد كل عضو (نتيجة التفاعل الاجتماعى بينهم) على بقية الاعضاء فى وجوده و استمراره .

والجماعة ، فى رأى كريتش وكيرتشفيلد (٢١ : ١٨) هى التى تتكون من فردين أو أكثر . يحمل كل منهم للآخر علاقة سيكلوجية صريحة . اذن فالجماعة لا تعنى مجرد تجمع من الافراد الذين تجمع بينهم سمات مشتركة . وعلى هذا فان افراد حزب واحد أو أى تجمع زراعى أو حرفى لا يسمى جماعة وانما يسمى فئة أو طبقة أو جمع أو تجمع .. الخ .

ومعنى هذا أن الجماعة لاتكون (جماعة) لمجرد أن العضو المنتمى لها يدركها — من وجهة نظرة ، على انها كذلك • أى انه قد يكـــون هناك فرد تربطه ببعض الافراد ارتباطات من نوع ما • وهو يحاول أن يـــدرك هؤلاء الافراد على انهم جماعة هو عضو فيها •

ويرى كريتشى وكرتشفيلد أن هناك فرق بين الجماعة والتجمع ، وهـــو يميز بينهما بأن يطلق على الجماعة اسم (الجماعة السيكلوجيـــــــة — (Psychic Group) وعلى النوع الثانى من التجمعات اســـم التنظيمات الاجتماعيـــة — (٢١ : ٣٦٨) وهناك معيارين أساسيين للتأكد والمفاضلة بين الجماعات والتنظيمات هما :-

١ — المعيار الأول : أن يكون الافراد موجودين فعلا ، كل فــــى المجال السيكلوجى للاخرين ، أى لابد من ادراك الفرد للجماعـــة وادراك الجماعة للفرد ، وان يتم حدوث استجابات تشير الى ذلك •

٢ — المعيار الثانى : ان مختلف الافراد لابد أن يدخلوا فى علاقـــات دينامية متبادلة (كل من جانبه نحو الاخرين) ويميز الباحثان الجماعة على اساس ثلاثة ابعاد رئيســـية :

أ — الحجم Size

ب — الاستمرار Duration (الاستمرار فى الزمان والمكان)

جـ — اللارسمية Informality

والتجمعات التى لا ينطبق عليها هذا التميز لاتعد وأن تكون تنظيمـات اجتماعيـــة •

والجماعة فى نظرنيوكمب New Comb هى التى تتكون من شخصين فأكثر لهم معايير مشتركة تربطهم رابطة قوية وتساعدهم فى الوصول لاهداف معينة . وبحيث تتشابك الادوار — Roles التى يقوم بها كل منهم كنتيجة لوجودهم معا (كل منهم فى المحيط الادراكى للاخرين) فى الزمان والمكان طيلة الوقت،الامر الذى يسمح لهم بالتفاعل الدينامى .

والواقع ان هذا التعريف الذى يقدمه نيوكمب لا يختلف كثيرا عن التعريف الذى قدمه كريتش وكرتشفيلد ، بل على العكس من ذلك هو يقترب كثيرا من تعريفهما المشار اليه فيما سبق . وربما وجه الاختلاف الوحيد بين تعريف نيوكمب ، وتعريف كريتش وكريتشفيلد أن التعريف الاول (لنيوكمب) فقد ثلاثة شروط فرعية ، لكنها هامة فى التميز بين الجماعة والتجمع ، الا وهى الحجم والاستمرار واللارسمية ، وان كان تعريف نيوكمب هذا قد المح اليها فى عجالة وبدون تحديد قاطع .

والرأى عندنا أن الجماعة هى اذن التى تتكون من شخصين على الأقل ، ولكننا لا نستطيع أن نترك الباب مفتوحا على مصراعية لحجمها ، فنتركه ليصبح عدة مئات أو الآف ، كما اننا لا نستطيع أن نضع حدا قاطعا فنقول انها لا تزيد عن العشرين مثلا ، لأن ذلك يدخلنا فى تحديد معنى الجماعة الصغيرة ، وهذه سوف نطرقها بشئ من التفصيل فى الاجزاء التالية . لكن الظروف وحدها هى التى يمكن أن تتحكم فى العدد .. فاذا توافر الشرطان التاليان : اللارسمية والاستمرار بما يسمح بسهولة التفاعل الدينامى (الحركى) بين مختلف الافراد بدون الانشقاق أو الانقسام الى شلل (Cliques) (أى جماعات صغيرة داخل الجماعة الواحدة) وهو بداية لتصدع بناء الجماعة الذى سوف نشرحه بالتفصيل فى

الجزء التالى ، فاننا يمكن اعتبار جميع افراد هذا التجمع على انهم جماعة . ونحن نسمع عن جماعات كبيرة العدد — نسبيا — على انهم جماعة . كما كنا نسمع عن جماعة الشباب المسلمين أو جماعة " البوليزاريو " أو جماعة الشبان المسيحية (Y. M. C.) وهى جماعات يقدر عددها بالمئات أو الآلاف ... لكن لتحقيق التفاعل والتشابك وما الى غير ذلك من عوامل وشروط ، فأن المسئولين عن قيادة هذه الجماعات ، يقسمون اعضاء الجماعة الواحدة الى عدد من الجماعات الصغيرة نسبيا ، مع اختلاف التسميات ، حيث تسمى بالخلية فى الاحزاب السياسة غير الرسمية ، أو بالشعبة أو السرية أو المجموعة الخ هذه التسميات التى تحدد عددا محدودا من الافراد ، يتجمع فى مكان واحد ، يتعارف الاعضاء فيه تعارفا كاملا ، بما يسمح بوجود الشروط الاساسية للجماعة أى (الاستمرار فى التواجد فى الزمان والمكان معا ، والتفاعل المباشر) اما خاصية اللارسمية ، فاننا نقصد بها أنه ليست هناك عوامل إجبارية أو قهر فى الانتماء للجماعة . بل ان عضوية الفرد لها انما تكون فى الواقع نتيجة الاختيار الحر المباشر المدفوع بدوافع شخصية .

وعلى هذا قد تكون الجماعة ثقافية ، أو سياسية ، أو علمية ، أو دينية ، أو رياضية .. الخ الجماعات ، التى ينتمى لها الفرد طواعية وعن طيب خاطر وبمحض ارادته وبدافع داخلى للوصول الى هدف عام ، أو هدف شخصى لا يختلف كثيرا عن الهدف العام للجماعة التى ينتمى لها ، وحيث يتحقق له فى اطارها التفاعل التام مع اعضاءها ، ويتقاسم معهم الادوار والنشاط والمكاسب المختلفة .

لكن مثل هذا التحديد لمعنى الجماعة ، يخرج من دائرته كل الجماعات الرسمية التى تفرض على الانسان عضويته لها فرضا ، كجماعة طلاب السنة الثانية بقسم على النفس بالكلية ، فهذه جماعة من حيث من حيث توافر شروط التواجد فى الزمان و المكان ، و التفاعل الدينامى الخ .. الشروط ، لكنها مع ذلك جماعة رسمية ، قد يتكون داخلها جماعات غير رسمية اخرى (كجماعة أسرة بن سينا) أو (الجمعية النفسية) أو ما شابه من جماعات يتحقق فيها بقدر أكبر الشروط السابقة (التواجد و التفاعل مع الاستمرار) . ولسوف نرجئ مناقشه الفرق بين الجماعة الرسمية و الجماعة غير الرسمية للاجزاء التالية لتجيب عليه .

بناء الجماعـــــة

يرى بعض علماء النفس ان افراد الجماعة يتمايزون ، تبعا لوظائفهــم فى الجماعة أى بادوارهم ، وانهم جميعا يعملون (برغم هذا التمايـــز) لتحقيق هدف عام مشترك قد يكون للجماعة دورا أو ادوار محددة أو تـــد تتغير الادوار فيها تبعا لمراحل تحقيق اهدافها وتغاير هذه الاهداف . وقد تتوزع المسئوليات على افراد الجماعة (كل له دوره) ، وفى احيان اخرى يتم تبادل هذه الادوار فى سبيل تحقيق ذلك الهدف العام .

وقد يكون للجماعة (فى تصورجيز للى وبراون) قائد يقودها أو قـــد لا يوجد مثل هذا القائد (١٤ : ٤٧٩) . غير انهم يؤكدون على ان الجماعة المقودة (أى التى لها قائد) هى الجماعة ذات البناء المحـــدد ــ أو المنظمة البناء ــ والتى يتحدد فيها لكل عضو دور متمايز . أما ستوجديل R. Stogdill فيرى ان الجماعات المنظمة تنظيما قويا ، أى التى لهـا تنظيم محدد أو بناء محدد (مثل جماعات العمال) فهى التى تتحدد فـــى داخلها الادوار والوظائف الخاصة بكل عضو تحديدا دقيقا . فالجماعـات العمالية ، تتحدد فى داخلها الواجبات الوظيفية ، وتتوزع عليها المسئوليات المختلفـة ، ولكل عضو دوره ووظيفته ومسئولياته المحددة بوضوح (٣٢ : ١ــ١٤) . ومعنى هذا أن الجماعات غير الرسمية Informal groups أو التنظيمات غير الرســـــمية Informal organization. قد لا يكون تنوع الادوار فيها على نفس الدرجة من الوضوح كما هو الحال فـــى الجماعات الرسمية المحددة البناء (١٤ : ٤٨٠) . والواقع انه مـــن

الصعب تحديد النقطة الفاصلة ، أو الحد الفاصل ، الذى تصبح عنده الجماعة ذات بناء منظم . وعلى هذا الأساس يصبح الأمر فى نظر ستوجديل هو أن التميز بين الجماعات الرسمية و الجماعات غير الرسمية تميز من حيث المصطلحات الخاصة باختلاف الادوار التى يلعبها افراد كل جماعة .

ويضيف الى هذا التحديد «لويس كامل مليكة» تحديدات اخرى موداها أن بناء الجماعة انما يتكون من الاجزاء أو المراكز المتميزة فيها وترتيبها بعضها بالنسبة للبعض الاخر . ومعنى هذا أن التميز بين الجماعات يمكن أن يتم على اساس المقارنة بين الافراد (اعضاء الجماعة) من حيث :-

١- المركز Status أو المكانة التى يحتلها الفرد فى الجماعة .
٢- درجة التوحد مع الجماعة .
٣- القوة أو التأثير على الآخرين فى الجماعة .
٤- مركز الفرد فى شبكة الاتصال فى الجماعة .

وعلى هذا فان بناء الجماعة من وجهة نظر لويس كامل انما ينشأ ويتكون نتيجة لعدة عوامل أهمها :

١- ضمان كفاءة الجماعة من الناحية الموضوعية (أى درجة نجاحها فى تحقيق اهدافها الجماعية) .
٢- ضمان كفاءة الجماعة من الناحية الذاتية (أى درجة انجاحها فى تحقيق الرضا و الاشباع لاعضائها كل فى موضعه) .

ومع هذا فهناك عوامل اخرى تؤدى الى قيام بناء متمايز للجماعة ومن هذه العوامل وجود الاختلافات و الفروق بين الافراد فى خصائص نفسية وقدرات مختلفة منها :-

١ـ اختلاف الدوافع .
٢ـ اختلاف القدرات .
٣ـ اختلاف الخصائص المزاجية .

وعلى هذا الاساس نجد أن هذا الاختلاف يحقق لكل فرد فى الجماعة دوره فيها ورغبته للاستمرار فيها فاختلاف الافراد فى القدرة القيادية مثلا ـ يجعل البعض يسعى لمواقع القيادة و البعض الاخر يسعى لمواقع الانقياد و البعض بين هذا وذلك كل له دوره (٨ : ١١٩) .

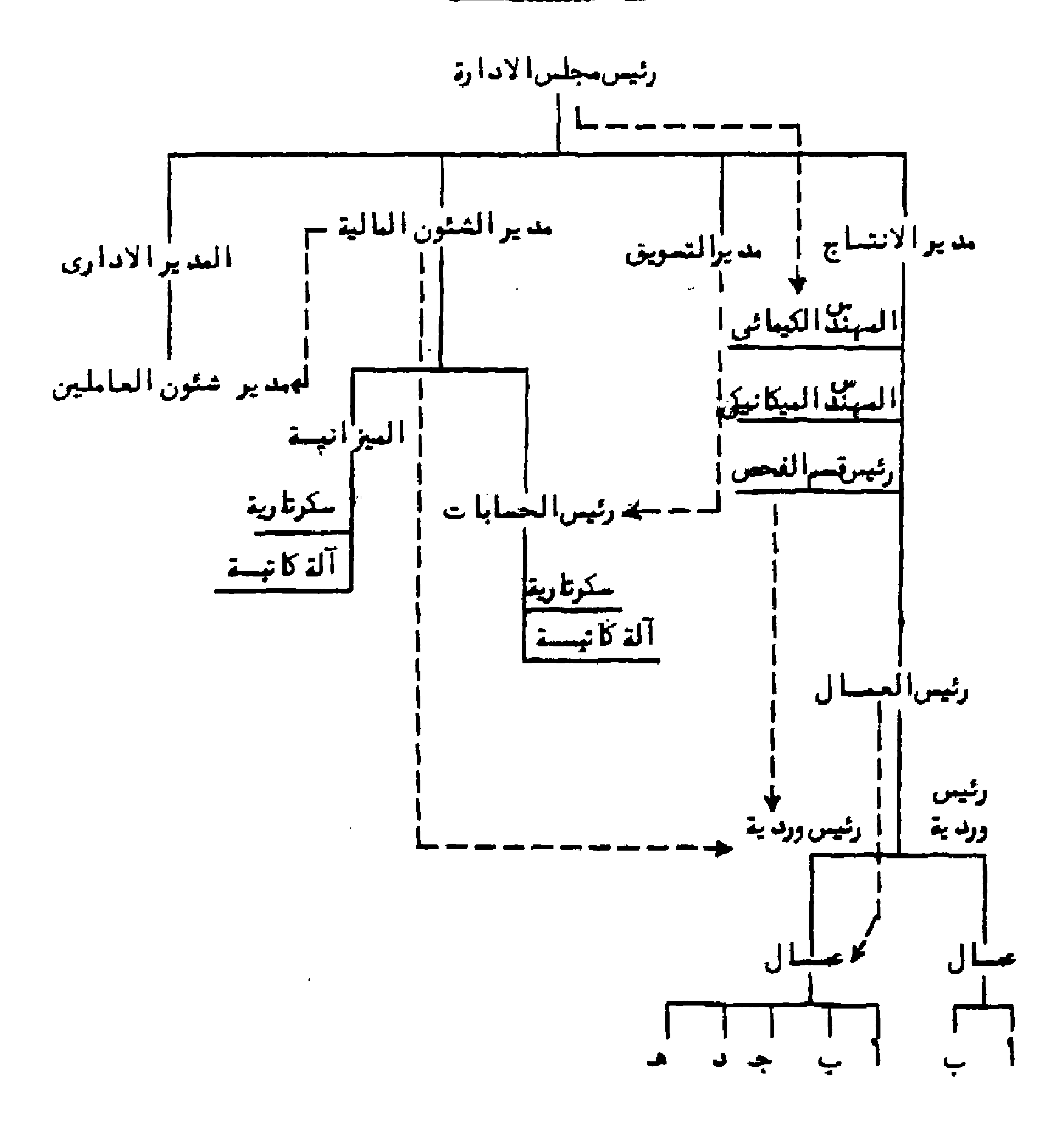
ولعلنا نصل من المناقشة السابقة الى أن مايحدد الجماعة هو وجود نمط من التفاعل الدينامي Dynamic interaction بين افرادها وهذا التفاعل الدينامي يعنى وجود علاقات صريحة ـ أو ضمنية ـ بين افراد الجماعة بما يجعلها بالفعل جماعة سيكولوجية ، وليس مجرد تنظيم من الافراد . غير أن هناك ايضا اختلاف فى تنوع الطرق التى يتفاعل بها الافراد داخل الجماعة ، ذلك لان كل جماعة لها مجموعة خاصة من الاهداف التى تميزها عن غيرها من الجماعات . كما أن الجماعات لا تختلف فقط من حيث اهدافها ، بل تختلف ايضا من حيث بناء كل منها . فالبناء التنظيمى لجماعة ما يعنى (أ) طبيعة أعضاء الجماعة ، (ب) صفات أعضاء الجماعة ، (جـ) مميزات اعضاء الجماعة ، (د) طرق العلاقات المتبادلة بين اعضاء الجماعة ، (هـ) وتوزيع الادوار بين أعضاء الجماعة (١٤ : ٤٥) .

وعلى هذا الاساس فقد يكون لجماعتين نفس الاهداف ولكن لكل منهما بناء مختلف و متمايز عن الاخرى ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى لابد من التمييز بين الجماعات على اساس البناء الرسمى أو البناء غير الرسمى .

البناء الرسمى و البناء غير الرسمى للجماعات

داخل كل تنظيم رسمى (سواء كان هذا التنظيم مؤسسة حكومية أو صناعية ، أو مؤسسة خاصة) توجد شبكة من العلاقات الرسمية المحددة تحديدا واضحا يهدف تنظيم العلاقات بين افراد هذا التنظيم ويمكن التعبير عن تلك العلاقات فى صورة هيكل تنظيمى يوضح علاقات السلطة والمسئولية و مواقع اتخاذ القرارات ومسارها ، و كذلك شبكة الاتصالات الرسمية . ولكن الهيكل التنظيمى الرسمى يتداخل مع هيكل غير رسمى يتكون بين الافراد فى اى منظمة عمل نتيجة للتفاعل بين افرادها .

(شكل يبين التنظيم الرسمى ، والعلاقات غير الرسمية داخله)



ويوضح الشكل السابق توزيع الاختصاصات و المسئوليات و الواجبات — الوظيفية لكل عضو فى هذا التنظيم ، وطرق الاتصال (شبكة الاتصال) ويأخذ هذا التنظيم عادة شكلا هرميا ، رأسه المدير العام أو رئيس مجلس الادارة — (أو القائد العام للجيش فى التنظيم العسكرى — أو الوزير فى الوزارة) .. وقاعدته هى العمال أو الموظفين . بحيث تكون الواجبات الرئاسية الهامة فى أعلى الهرم و الواجبات الوظيفية التنفيذية فى أسفل (قاعدة) الهرم . و الواقع أن تنوع الاعمال Tasks والوظائف و المسئوليات هو الذى يحدد التنظيم الرسمى للجماعة فالعمل هو الذى تتوقعه من العمال (فى المؤسسة الصناعية) و نظام العمل هو الذى يفرض على هؤلاء العمال أن يتفاعلوا معا فى سبيل اداء هذا العمل المطلوب . ولو لم يوجد العمل ذاته لما وجد هؤلاء الافراد (العمال) فى مكان العمل ، وبالتالى لم يكن من المتاح أو الممكن أن يتم بينهم أى تفاعل على الاطلاق .

ومع أن علاقات افراد التنظيم الرسمى محددة تحديدا قاطعا وواضحا من اعلى الى اسفل (تعليمات المدير العام أو رئيس مجلس الادارة) ومن اسفل الى أعلى (شكاوى العمال أوطلباتهم أو مقترحاتهم) ، الا انه من الممكن ان تنشأ داخل أى تنظيم رسمى مجموعة اخرى من التفاعلات التى تؤدى الى تكوين علاقات غير رسمية informal Relation تتجاوز — كما أشرنا — التنظيم الرسمى للجماعة .

وقد سبق أن اشرنا ، فى الشكل السابق ، للعلاقات الرسمية بخطوط مستقيمة على حين اننا قد ميزنا العلاقات غير الرسمية بخطوط متقطعة للتوضيح .

فالعلاقات بين رئيس مجلس الادارة والمهندس الكيميائى علاقات غير رسمية لا يحددها التنظيم الرسمى . كذلك الحال بالنسبة للعلاقات بين مدير الشئون المالية ومدير شئون العاملين أو بين مدير التسويق ورئيس الحسابات ، أو بين رئيس العمال واحد العمال ، فالتنظيم الرسمى يفرض على الافراد (على كل عضو) الاتصال باعضاء محددين تحديدا واضحا وقاطعا . ولكن مع ذلك قد يقوم بعض الاعضاء بأدوار Roles اخرى غير محدد لهم القيام بها ، فقد يتصل عضو باعضاء آخرين غير محدد له رسميا ان يتصل بهم كما رأينا فى اتصال رئيس مجلس الادارة بالمهندس الكيميائى (فى الشكل السابق) . بل فى كثير من الاحيان ما يفرض التنظيم غير الرسمى وجوده بشكل واضح وملموس على التنظيم الرسمى ، بل قد يبسط نفوذه على التنظيم الرسمى فى الحالات التى يفشل فيها ذلك التنظيم الرسمى فى تحقيق اهداف غالبية الاعضاء . كذلك الحال بالنسبة للقائد The Leader . فالتنظيم الرسمى قائدة (المدير العام أو رئيس مجلس الادارة) ، ولجماعة العمال قائدها (المشرف أو رئيس الوردية) .. غير أنه فى بعض الاحيان يختلف البناء داخل التنظيم الواحد للجماعة ، بمعنى أن التنظيم الواحد للجماعة قد يضم التنظيمان معا وفى آن واحد (الرسمى وغير الرسمى) ، ويصبح القائد غير الرسمى شخص آخر غير الرئيسى الرسمى (المشرف) . وقد يكون القائد غير الرسمى اقوى نفوذا من الرئيس الرسمى .

وعلى هذا ، فالبناء الرسمى هو الطريقة الرسمية لتنظيم أى مصنع أو أى شركة أو أى مؤسسة حكومية أو غير ذلك من المنشآت الرسمية ، على حين أن البناء غير الرسمى هو ما يتكون بين الافراد ـ فى الجماعة الواحدة ـ

من مظاهر الصداقـــة و التعاون و التقارب و التجاذب .. الخ المظاهـــر التى تعبر عن بناء علاقى قـــوى .

العوامل المحددة لبناء الجماعـــة

يتحدد بناء الجماعة (كما يبدو من خلال العلاقات المتبادلة بيـــين افراد الجماعة ، ومن خلال الوظائف التى يؤديها كل منهم داخل الجماعة) عن طريق عدة عوامل ، وتتفاعل هذه العوامل معا وفى آن واحد بشكل بالـــغ التعقيـد ، بحيث يصعب القول ان بناء جماعة العمال فى قسم الكريســـتال بشركة النصر للزجاج — مثلا — يتحدد بالعامل (س) وليكن هذا العامـــل التنظيم أو التجانس أو أى عامل من العوامل المحددة لبناء الجماعة و الـــتى سيرد وصفها فيما بعد . كذلك يصعب القول ان هذا العامل من العوامـــل ذات تأثير أكبر بدرجة كذا ، أو ضعف تأثير العامل الثانى من العوامـــل وهكذا . فالتفاعل الدينامى الذى يحدث بين افراد الجماعة الواحـــدة (والادوار التى يؤديها كل عضو) يتغير من وقت لآخر (١٤ : ٤٥٢) .

ويمكن ايجاز العوامل المحددة لبناء الجماعة على النحو التالى :

أ — الدرجة التى تدرك عندها الجماعة نفسها على انها جماعة .
ب — الاغراض (الاهداف) التى تقوم من اجلها الجماعة .
جـ — مدى استقلالية الجماعة .
د — درجة تجانس الجماعـــة .
هـ — نمط قيادة الجماعـــة .
و — حجم الجماعـــــــة .

وفيما يلي نتناول هذه العوامل بالتفصيـــل :

أ ـ الدرجةالتي تدرك عندها الجماعةنفسها على أنها جماعة :

قد يكون العامل الاساسي المحدد لبناء الجماعة هو هذا العامـــل (الدرجة التي تدرك عندها الجماعة نفسها على انها جماعــــة) فالدرجة أو المدى الذى يدرك فيه الاعضاء انفسهم ادراكا حقيقـــا على انهم بالفعل اعضاء فى جماعة واحدة من الاهمية بمكان لاستمرار الجماعة وتماسكها • فقد يكون هناك عدد من الافراد (العمال مثلا) يعملون فى تنظيم واحد (قسم من اقسام مصنع أو ادارة فى شركة ما) ومع ذلك يشعر كل منهم بانه يعمل كفرد منفصلا عن بقية الافـــراد الاخرين • وهذا مايميز بالفعل الجماعات المنشقة أو المنقسمة البناء أو المتصدعة البناء وبالعكس فقد تدرك الجماعة (أى يدرك افرادها) ادراكا حقيقيا انهم جماعة يعملون معا فى تنظيم واحد تحقيقا لهـدف مشترك يسعون اليه • وهذا ما يميز الجماعات المتماسكة البناء •

فالجماعات المنشقة المتصدعة البناء • يكون بناؤها قليل الاهمية ،بل قد لا نستطيع التكلم عن بناء محدد لها طالما هى منقسمة و متفككـــة الى هذا الحد • وبالتالى فلن يكون لها هدف عام تسعى الى تحقيقة انما سيكون هناك اهداف كثيرة متعارضة،فقد يكون لكل شلة من الشلـــل التى تنقسم اليها هذه الجماعة هدفا خاصا بها •

ب ـ اغراض الجماعـــة :

ان طبيعة عمل الجماعة Task واغراضها عامل هام يحــــدد

بناؤها • فالنشاط الذى تقوم به بعض الجماعات يتطلب فى الواقع تفاعلا قويا ومتينا بحيث يظهر نشاطهم الفردى المتشتت فى بوتقة واحدة ـ وعلى سبيل المثال فان جماعة طاقم الطائرة التى يتطلب وجودهم فى رحلة جوية (Task) تفاعلا قويا وتاما بين انشطتهم الفردية (بين القائد ومساعديه والمضيفين والمضيفات) وصولا الى هدف عام هو وصول الرحلة الى نهايتها بسلام (وهكذا فى كل رحلة) أى فى جميع الاوقات التى يعملون فيها كجماعة ـ هذا على حين أن كل عضو فى هذا الطاقم له اعماله الفردية his tasks المحددة والخاصة به التى لا يشاركه فيها احد ولكن هذه المهام الفردية لا يمكن ان تنطلق او تؤدى فى فراغ وانما هى كل متكامل ويجمعها كلها هدف واحد مشترك • .

جـ ـ استقلالية الجماعة :

كذلك تعد درجة استقلالية الجماعة عامل هام من العوامل المحددة لبناء الجماعة وعلى قدر ما تشعر الجماعة بذاتيتها أو استقلاليتها على قدر مايتحدد بناءها (١٤ : ٤٥٢) ففى بعض الجماعات حيث تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية ـ النسبية ـ عن الجماعات الاخرى نجد أن بناؤها يتمايز ويتحدد تحديدا واضحا وهذا ينعكس أثره عليها وعلى انتاجها • فالجماعة عندما تستقل ببناءها تنمو بسرعة اكبر من غيرها • وعندما تفشل فى ذلك تظل تعيش كالنباتات المتسلق على اكتاف جماعات اخرى معتمدة عليها فى استمرارها ووجودها •

د ـ تجانس الجماعـــة :

وبالمثل فان مدى تجانس الجماعة ـ من حيث بعض المتغـــيرات كالسن و مدة الخدمة فى العمل الواحد ودرجة الخبرة و المهارات ، والاتجاهات ، كل هذه العوامل ذات تأثير على الجماعة بحيث لـــــو كانت الجماعة غير متجانسة Hetrogenosus من حيث نفـــس الخصائص السابقة فان بناءها يكون عرضه للتصرع السريع و من ثم تنقسم الى جماعات صغيرة أو الى شلل Cliques .

وتجانس الجماعة من العوامل الهامة التى تساعد على تماسكها و علـــى بقائها ، ويساعدها ذلك على تحقيق اهدافها .

هـ ـ نمط قيادة الجماعة :

ان نمط القيادة المتبع فى الجماعة هو ايضا احد العوامل الا ساســـية المحددة لبناءها . فالجماعة غير المتجانسة التى يقودها قائد قـــــوى ومتفهم أعضاء الجماعة ، يستطيع أن يجمع شتاتها على هدف واحـــد ، ويجمعهم جميعا بتأثيره الشخصى فى وحدة واحدة ، هذه الجماعـــة قد تنهار فور ترك مثل هذا القائد لها .

ويرى بعض علماء النفس أن الجماعة التى يتولى قيادتها قائد ضعيف ، كجماعة العمال التى يتولى الاشراف عليها مشرف أو رئيس غير كفء ، سرعان مايظهر من بين اعضائها قائد غير رسمى يتولى مهام قيادتها بالفعـــــل كمحاولة لتحقيق الاهداف التى لم تستطع تحقيقها فى ظل القائـــــد الرسمى الضعيف ، و الا فانها تنزع الى التصرع و التفكك الى شـــــلل

Cliques تصارع حول الاهداف واسلوب تحقيقها . فالمشرف المتسلط — Authoriterian — يعمل على تجديد بنـاء الجماعة بحيث يؤكد لكل عامل (كل عضو فى الجماعة) دوره المحـدد والمنوط به فحسب . أما القائد السمح Permissive فانـه يهيء الفرص المناسبة لتكوين نمط من البناء اللين — Fluid — المرن للجماعة ، بحيث يسمح بقدر من التداخل فى الواجبات والوظائف التى يضطلع بها افراد الجماعة وصولا لاهدافها فى انسجام ووئـام . وهذا يساعد الجماعة على تماسكها ومن ثم على وجودها واستمرارها .

و — حجم الجماعـة :

من العوامل الهامة الاخرى المحددة لبناء الجماعة " حجم الجماعة " فجماعة عمل صغيرة مكونة من ستة افراد أو ثمانية افراد تجعل بناء الجماعة غير محدد . ذلك . أنه يتعين فى مثل هذه الجماعة ان يتولى كــل عضو عددا من المهام والواجبات والادوار . وفى مثل هذه الحالـة يضطر افراد الجماعة أن يغيروا دوما من ادوارهم بسرعة لانجاز المهـام والواجبات الملقاة على عاتقهم . كذلك يختلف نمط الاتصـال Communication بين اعضاء الجماعة الصغيرة عنه فى الجماعـة الكبيرة نسـبيا .

وعلى هذا يرى بعض علماء النفس انه كلما كان حجم الجماعة صغيرا ساعد ذلك فى توحدها Identification مع شخصية من يقودهـا ، وهذا يساعد بدوره على تحديدها لبنائها ، بينما يرى البعض الاخـر من علماء النفس انه كلما كانت الجماعة صغيرة كلما أدى ذلك الى ظهـور

شخصية متمايزة تقودها ، لكنها ليست القائد الرسمي للجماعـــة ، وانما هي شخصية القائد غير الرسمي ، حيث يتأثر افراد الجماعـــة الصغيرة عادة بالمعطيات غير الرسمية اكثر من تأثيرهم بالمعطيـــات الرسمية . ولذلك نجد أن جماعة عمل صغيرة تسهل على أحـــد افرادها (القائد غير الرسمي) مهمة قيادتها ، بحيث يقودهـــا الى تحقيق اهدافها التي فشل القائد الرسمي (المشرف) في تحقيقها وبطبيعة الحال ، اذا نجح القائد الرسمي (المشرف) في أن يحتـل من افراد جماعته منزلة القائد غير الرسمي ، فانه يستطيع معها وبها أن يحقق قمة النجاح في تحقيق اهدافها العامة في سرعة وكفاءة عاليـــة .

الفصل السادس

وصف الجماعة

مقدمـــة :

ثمة أسئلة تحتاج أن نجيب عليها كى نكون قادرين على وصـــف الجماعة • ومن تلك الاسئلة : كيف تتكون الجماعة ؟ وكيف تعمـــل ؟ وكيف تسيرمن مرحلة الى اخرى نحو تحقيق اهدافها ؟ ••• الخ . ولابد لنـا كى نجيب عن مثل هذه الاسئلة من اتباع اسلوب موضوعى لوصف العلاقـــات المتبادلة بين افراد الجماعة ، وبالتالى يمكن لنا أن نقيس هذه العلاقـــات. ولكن قبل أن نتعرض لقياس تلك العلاقات لابد من أن نتناول عـددا مـــن الموضوعات وثيقة الصلة بوصف الجماعة وما يقوم بين اعضائها من علاقات اجتماعيـة متبادلـة • وسنبدأ بنوعية العلاقات بين افراد الجماعة ثم نتناول انـــواع التنظيمات (أو الابنية) غير الرسمية ، وأخيرا سنحاول أن نلقى ضــوءا على معنى الجماعة الصغـــيرة •

نوعية العلاقات بين افراد الجماعة

الواقع ان العلاقات التى تحدث بين افراد جماعة ما ، انما هى مـــن الكثرة و التعدد و التشابك و التعقيد بحيث لا يسهل تتبعها • ويميز بعـــض علماء النفس بين نوعين من التفاعلات التى تحدث داخل الجماعة على النحـــو التالـــى :•

النوع الأول : التفاعل الذى يحدث نتيجة للعلاقات الجانبية Relation - ship suporidnat غير المباشرة بين الاعضاء •

النوع الثانى : التفاعل الذى يحدث نتيجة لعلاقات المواجهة المباشرة والتعاون Co-ordination relation ship. بين الاعضاء .

ومن امثلة العلاقات البيانية تلك التى تقوم بين العامل و المشرف الذى يضعه التنظيم الرسمى للمصنع أو الشركة على رأس مجموعة من العمال ، أو بالمعنى العلمى " جماعة " من العمال يقودها هذا المشرف لتحقيق اهداف محددة للمنشأة .

اما النوع الثانى من العلاقات المباشرة و التعاون فنجده واضحا فى العلاقات المختلفة التى تقوم بين العمال اثناء تعاونهم للقيام بالانجاز الفعلى للعمل حيث المسئوليات و الواجبات محددة تحديدا دقيقا فى اطار التنظيم الرسمى .

وبالاضافة الى ما تقدم نجد ان التنظيم "غير الرسمى " لجماعة العمال مثلا قد تغلب عليه العلاقات الجانبية ، فى كثير من الاحيان ، وهى تحدث ايضا عندما تستميل " الادارة " بعض العمال ، نظرا لطول مدتهم فى العمل وخبرتهم به فتميزهم عن غيرهم " من بقية الاعضاء " لاغراض خاصة بها ، وهنا يعتبرهم بقية العمال " كشخصية المشرف " مفروضين عليهم من جانب الادارة (وفقا للتنظيم الرسمى) بالرغم من انهم يتناولون معهم الطعام ويقتسمون معا رغيف الخبز و يقضون معهم وقت الراحة ، وقد يتشاركون فى النشاط الاجتماعى و الرياضى و ما الى غير ذلك من تفاعلات ، لكننا لو قسنا العلاقات الاجتماعية فيما بينهم لاتضحت لنا هذه الحقيقة : أن بقية افراد الجماعة ينظرون الى مثل هؤلاء الافراد النظرة الهامشية أى الجانبية .

انواع التنظيمات غير الرسمية

ويميز بعض علماء النفس ثلاثة أنواع للتنظيمات - أو الابنية - غير الرسمية (٤ : ١٣٤) على النحو التالي :

١- النوع الأول : ويشمل مظاهر تجمع بعض الافراد لاسباب عارضة ، كالتعصب الذى يديه العمال و المظاهرات و الاضطرابات الجماعية وحالات التمرد على أوضاع سائدة فى البيئة العمالية و على سياسة الشركة - أو المصنع .

٢- النوع الثانى : الشللية Cliques التى تقوم بين جماعات العمال و التى تعتمد اساسا على تقاربهم فى العمل و مدة خدمتهم بالشركة و تجاورهم فى السكن (الحى - أو القرية أو المدينة) .

٣- والنوع الثالث : الجماعات القائمة على اساس من المودة و الوفاء وتحقيق اهداف اعضاءها و تحقيق اشباعات سيكولوجية لكل منهم .

ويوضح براون أن هناك مفارقة قوية بين الجماعة الرسمية و الجماعة غير الرسمية ، مؤداها ان قائد الجماعة الرسمية هو الذى يضع المعايير المحددة لعمل الجماعة ، كأن يضع معايير الاداء و الانتاج ، بينما فى الجماعة غير الرسمية تكمن القوة الحقيقية للجماعة فى العمال انفسهم (أى أعضاء الجماعة) (٤ : ١٣٧) .

وتعد تجارب هاوثورن أول دراسة منظمة للجماعات غير الرسمية ، فقد اثبتت أن تعاون العمال و مساعدتهم ، بعضهم لبعض وتجاوبهم من خلال

التفاعل الاجتماعى الذى يباشرونه من تجاذب الحديث الودى و الخصاص والمزح والنكات ، وممارسة انواع النشاط غير الرسمى .. الخ كل هذه الامور التى تتجاوز كل القواعد الصريحة التى تضعها مؤسسة العمل وهى العامل الدينامى الحاسم فى تحقيق تماسك الجماعة ، غير أن رؤساء العمل عادة لا يهتمون بمثل هذه المظاهر ولا يعملون على تدعيمها ، أن لم يكن الاسوأ من هذا انهم يرفضونها ويعتبرونها عوامل معوقة للانتاج . ولقد اوضحت تجارب هاوثورن كيف أن هناك أعضاء فى جماعات العمل تركوا العمل و استبدلوا به عملا آخر نتيجة لعدم توافر هذه العلاقات الانسانية الهامة فى مجال العمل .

الجماعات الصغيرة

أشرنا فى مقدمة هذا الفصل الى ان الجماعة هى التى تتكون من فردين أو أكثر ، يحمل كل منهم نحو الاخرين علاقة سيكولوجية صريحة . وقد رأينا كيف أن الجماعات ذات البناء الرسمى قد تصل الى بضعة مئات أو الا آلاف (كعمال المصانع) ، غير أن الامر بالنسبة للجماعات ذات البناء غير الرسمى يصعب أن توجد ، وأن وجدت يصعب أن تستمر ، لو زاد عددها عن ٢٠ شخصا من وجهة نظر كثير من علماء النفس . هذا اذا تجاهلنا رأى قلة من المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى يرون ان الجماعة لا ينبغى أن تزيد عن ٨ أو ١٠ أعضاء حتى يسهل عليهم تبادل علاقات المواجهة التى يتم فيها التفاعل الحقيقى بينهم .

وقد دعى الاختلاف بين علماء النفس حول تحديد الحد الاعلى لعدد أفراد الجماعة الى التمييز بين نوعان من الجماعات ، الجماعات الكبيرة العدد والتى غالبا ماتكون ذات ابنية رسمية ، والجماعات الصغيرة التى غالبا ماتكون ذات ابنية غير رسمية .

وتتميز الجماعة الصغيرة بأن افرادها (اعضائها) يعرفون بعضهم البعض معرفة تامة وعن قرب ، ويؤثرون بعضهم فى البعض عن طريق التفاعل المباشر . ومع انه ليس من السهل تقديم تعريف محدد أو تحديد دقيق لمعنى الجماعة الصغيرة Small Group الا أنه لاغراض البحث والدراسة يمكن تحديد مفهوم الجماعة الصغيرة بانها " الجماعة التى تتكون من فرد ين كحد ادنى وعشرين فرد كحد أعلى ، يعملون معا من اجل تحقيق اهداف مشتركة ، ويدخلون فى تفاعل مستمر ينتهى بانتهاء هذه الاهداف (١٢ : ٦٢٧) .

وظيفة الجماعة الصغيرة :

ان الجماعة تقوم كى تخدم اغراض اعضاءها ، أى لتحقق اهدافهم — أو يحققوا اهدافهم من خلالها ، أى أن للجماعة وظيفة Function سيكولوجية فالجماعة ، عندما تتكون ، انما تتكون لتمثل مجالا تتحقق فيه رغبات واهداف الاعضاء المنضمين لها . كما أن للجماعة كيان مستقل يقوم اعضاءها ببنائه ليخدم للجماعة وظيفة خاصة بها وهو ما سماه بعض المشتغلين بعلم النفس : وظيفة الجماعة Functioning of the Group. (٣ : ٢٥٢) وقد عنوا بهذا المصطلح " أن كل فرد فى الجماعة انما يساهم بنشاطه لكى تستمر الجماعة فى تكوينها (وتماسك البناء) حتى تحقق لهم اهدافهم . هما اذن معنيان متداخلان الوظيفة

والوظيفية ، يكمل احدهما الاخر واذا انتفى احدهما انتفى الاخر . فوظيفة الجماعة هى : تحقيق اهداف اعضائها ، ووظيفة الجماعة هى : أن يحافظ كل عضو فى الجماعة على استمرارها لتحقيق هدف الاهداف . (٣ : ٣٥٢)

وعلى الرغم أن علماء النفس قد توصلوا الى هذه التحديدات ، بناء على دراساتهم لجماعات محددة كالطلبة أو العمال ، الا أن هذه التحديدات تنطبق على كل الجماعات الصغيرة " غير الرسمية " فجماعات الأسر (أو فرق العمل) انما هى الوحدات الطبيعية الاولى للمجتمع (٨ : ١٥٢) وهى تتضمن الاساسيات الاولى للنظام الاجتماعى Social system ففى هذه الجماعات يتم التعاون و تقسيم العمل و الاعتماد المتبادل inter dependence حيث تتقاسم الجماعة اهداف واحدة تسعى لتحقيقها ، وتتقاسم معايير سلوكية واحدة يلتزم بها كل عضو كما يتقاسم اعضاؤها عمليات الضبط المختلفة و الادوار المتعددة من قيادة و تبعية .

ويرى آش Asch أن لدينا من الاسباب الوجيهة مايدعونا لافتراض أن الظروف الموجودة فى المجال الاجتماعى هى التى تحدد بالفعل نوع التفاعل Contact والتواصل اليومى Communication سواء كان ذلك داخل الاسرة أو فى مجال العمل أو الاصدقاء أو زملاء العمل . (٨ : ١٥٤)

فالجماعة الصغيرة اذن حلقة ضرورية بين الافراد و الظروف الاجتماعية الواسعة . فالفرد يرتبط باعضاء جماعته بعلاقات نفسية اجتماعية ، وبقدر تعدد الجماعات التى ينتمى لها ، يرتبط بعدد أوسع من هذه العلاقات ،

أى يرتبط المجتمع • و نحن نكتسب من جماعاتنا التى ننتمى لها خصائص جديدة قد لا نكون قد اكتسبناها من الجماعة الاولية (الاسرة) فى عملية التنشئة الاجتماعية • ومن بين هذه الخصائص العادات السلوكية والاتجاهات و القيم و غيرها كثير • ولهذه الاسباب فقد زاد الاهتمام بدور الجماعات الصغيرة منذ منتصف هذا القرن على وجه التقريب •

أهمية دراسة الجماعات الصغيرة

مما سبق يتبين لنا أن دراسة العلاقات الاجتماعية بين افراد الجماعة مسألة هامة لكى نفهم الخصائص البنائية للجماعة ، وذلك للوصول الى فهم أفضل و ادق لوظيفة الجماعة ووظيفتها فى الوقت نفسه • فقد نلاحظ جماعة من العمال ملاحظة سطحية عابرة ••• و هنا يكون من الصعب علينا أن ندرك أن لها روحا معنوية عالية أو منخفضة ، أو انها تتميز بميزات متماسكة أو مفككة ، ذات انتاجية عالية أم منخفضة •• الخ وقد نجد فى احدى الجماعات انها تمتاز بعلاقات التنافر و الخصام و النزاع ، وقد نصل من قياس العلاقات الاجتماعية للجماعات ، وفهم الجماعة ، الى فهم أفضل بطبيعة عوامل و اسلوب التناحر و التنافر و الخصام ، أو الى العوامل التى ادت الى الانسجام و التقارب ••• فقد ينشأ النفور و التخاصم داخل الجماعة ، وقد يكون بسيطا أو معقدا أو عنيفا وقد ينقلب هذا النفور الى سلوك عدوانى موجه ضد فرد بعينة داخل الجماعة أو ضد الجماعة ككل ، وقد يأخذ هذا العدوان شكل لفظى (الفاظ وعبارات نابية و جارحة) أو سلوك فعلى " عراك" و " مشاجرات " •

والواقع اننا لا ينبغى أن نتوقع دائما أن العلاقات التى تنشأ بين فردين أو أكثر (جماعة) أن تظل متماسكة ومتسقة أو ثابتة . فقد تجد فردين يظهر كل منهما نحو الاخر علاقات الود والصداقة . وفى ظروف معينة قد ينشأ بينهم خصام أو عداء .. ولهذا لابد أن نفهم هذه الظروف كى نقدم التفسير الحقيقى لما نشأ بينهم من اختلاف وتغاير كما سبق أن فهمنا وفسرنا العوامل التى ادت الى التقارب والتماسك . وسبيلنا فى الحالتين هو قياس العلاقات الاجتماعية Sociemetry وقبل ان نتكلم عن الوصف السوسيومترى (القياس الاجتماعى للعلاقات) يحسن أن نقدم نبذة عن هذا الاسلوب فى الفصل التالى .

الفصل السابع

قياس العلاقات الاجتماعية

مقدمـة :

يعد القياس الاجتماعى (السوسيومترى — Sociometry) نظريـة وموضوع بحث وطريقه للتحليل،كما انها اداة لجمع البيانات (الاختبار السوسيومترى) (٩ : ٤٤٣) .

ويعد مورينو — Moren o, J. L. — مؤسس هذه النظريـــة ، فهو يراها على انها الوسيلة الوحيدة المتاحة لقياس العلاقات الاجتماعيه على تنوعها قياسا موضوعيا (٢٣ : ٥٥) .

وبرغم ان المجال هنا لايتسع لعرض النظرية السوسيومترية — برمتها — الا اننـــا سوف نعرض — بشىء من الايجاز — لاهم الاسس التى تقوم عليها . ان فهم هذه — النظرية من الاهمية بمكان فى فهم موضوعات كثيره فى اطار علم النفس الاجتماعـــى ، مثل : فهم شبكات العلاقات الاجتماعية Net werks من تجاذب أو تنافر او تجاهل او اختيار او نبذ ، وفهم البناء غير الرسمى infermal structure والتنظيم غير الرسمى infermal organizat-ien. والقائد غير الرسمى infermal lrzfrt والمكانه السوسيومترية Seciemetric Status لكل فرد من أفراد الجماعة ، وذلك بصوره تتسم بالحساسية والموضوعيـة .

النظرية السوسيومترية

يعتبر مورينو أن مفهوم الابتكار Creativity ومفهوم التلقائيـــــة Spentaniety هما حجر الزاويه فى نظريته . وهما فى نظره مفهــــوم واحد ذا شقين او وجهان لعمله واحدة (٢٤ : ٨ — ١٠) . ويرى مورينــــو أن الحياة الاجتماعيه ان هى الا " جماع " للابتكارية والتلقائيه . وحتى لا نقــــع فى منزلق التفسيرات الغيبية فقد توصل مورينو لتعريفات اجرائيه لكل من الابتكاريـــة

والتلقائية . فهو يرى انهما مفهوم واحد يعبر عن ثراء العلاقات الاجتماعية (تعددها وتنوعها وتغايرها) (٢٤ : ٩) فهو يرى أن الانسان - باعتباره كائنا اجتماعيا - يملك رصيد من الابتكارية والتلقائيه وهذا الرصيد يتغير بتغير المواقف الاجتماعية ويتنوع بتنوعها ، والابتكارية والتلقائية بهذا المعنى وظيفه من وظائف الانسان وبالتالى يسهل قياسها ، عن طريق الاختبار السوسيومترى . وهو يستطيع اى الاختبار السوسيومترى ، أن يقيس العلاقات بين الافراد كما وكيفا . وحتى نستطيع أن نقيس هذه العلاقات الكميه والكيفية بين الافراد يتعين ان نفهم " الذرة الاجتماعية Social Atom. فى تفاعلها مع غيرها من الذرات الموجود ة فى دائرة معارفها أى دائرة معارف الانسان .

الذرة الاجتماعية Social Atom

ويقوم مورينو تصوره للذرة الاجتماعيه ، وتنظيمها ، على نحو يرى فيه ان المعارف والمعلومات التى يمتلكها الفرد فى موقف ماتحتم عليه أن يختار او ينبذ أى فرد (أو اى افراد) من جماعته . ويكشف عن هذا الاختيار او النبذ الاختبار السوسيومترى الذى يعد موقفا مصطنعا يكشف عن ديناميات المواقف الحقيقيه المشابهه . ففى هذا الاختيار يتذكر الفرد معلومات ومعارف كثيره عن الاشخاص الذين تقابل معهم وتفاعل معهم فيما سبق فى هذا الموقف المصطنع (الاختبار) ، وبالتالى يتعين عليه ان يختار أو ان ينبذ بعض هؤلاء الافراد . وقد يكون بين هؤلاء الافراد اشخاص لايهمونه بالمره ولا يعنون له شيئا على الاطلاق وقد يكون هو ايضا لا يعنى لهم اى شيء .

غير أن مورينو يعود فيؤكد على انه فى ظروف معينه فان هذه المعلومات والمعارف قد تعنى شيئا هاما وبالنسبه لجماعه صغيره على وجه التحديد . فقد يكون هذا الشخص الذى نبذ داخل الجماعة فى موقف ما ، هاما وجذابا لها فى موقف آخر . وبالمثل قد يكون الشخص جذابا ومحبوبا فى جماعه وفى الوقت نفسه

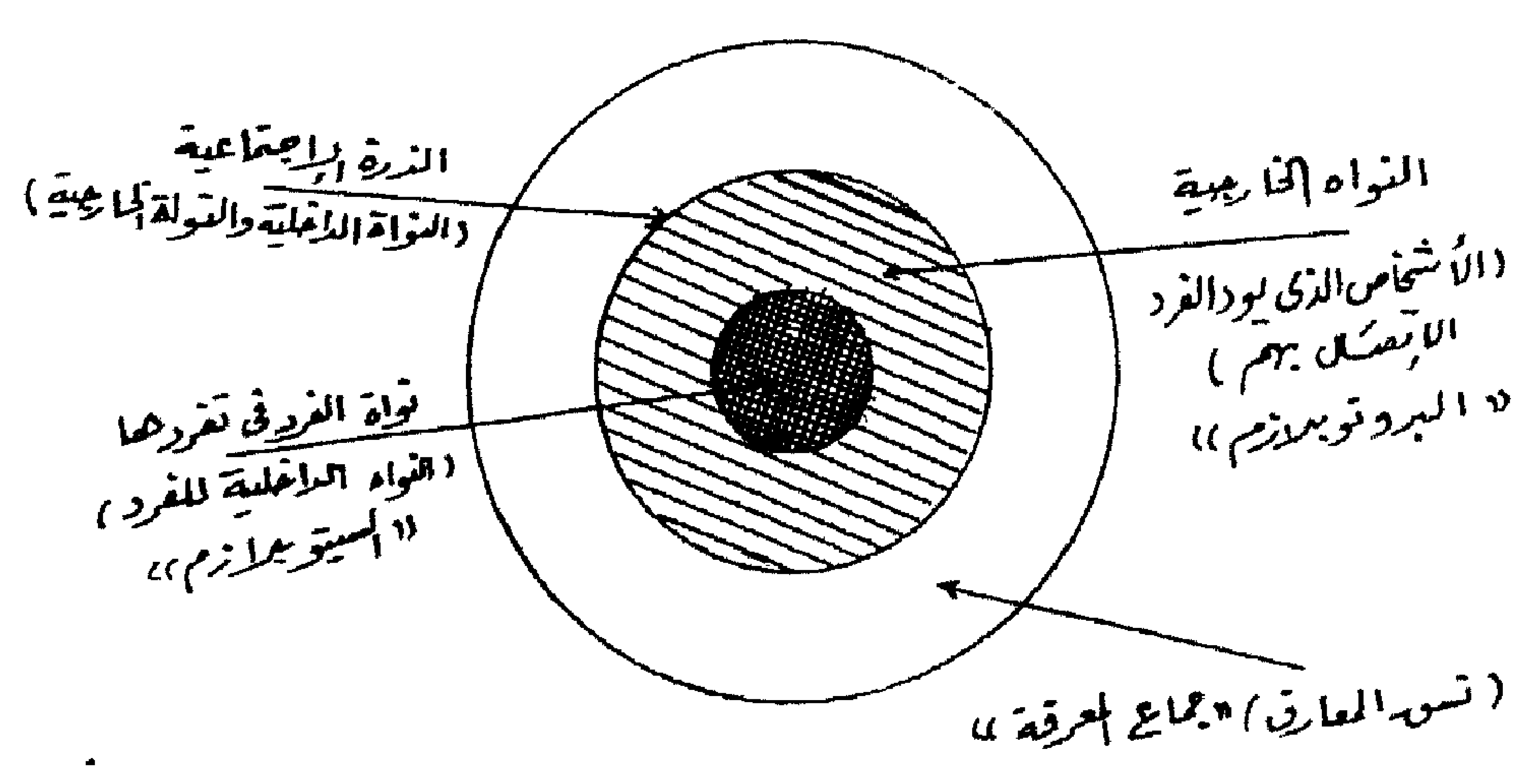
منبوذا فى جماعة اخرى . وبالمثل ايضا قد يكون محبوبا ومنبوذا بالنسبة لجميع افراد جماعته (فى وقت ما) او بالنسبة لبعض (او قلة) من جماعته . والعكس بالعكس . فقد ينبذ هو عضوا او اكثر فى موقف ويقبلهم فى موقف آخر ويختارهم فى موقف ثالث .

وينقل مورينو هذا الوصف من الموقف الاجتماعى الى الموقف الفسيولوجى الذى يستعير بعض مصطلحاته ليوضح بها المتصور من تحليله للعلاقات الاجتماعية فيربط بين وصف الذرة فى الموقف الاجتماعى ووصف الخلية cell فى الموقف الفسيولوجى فكما ان الخلية تتكون من النواة Nucleus والبروتوبلازم والسيتوبلازم تتكون الذرة الاجتماعية .

جماع المعرفة Acquaintance - Volume :

غير أن مورينو يؤكد على ان جماع المعارف التى قد لايكون لها معنى للفرد فى موقف ما ، ماهى الا السيتوبلازم Cyteplasme (أى المادة الهيلامية حول النواة) ، كما ان المعارف التى تصبح لها اهمية فى هذا الموقف التى تمثل النواة فى الخلية .

ويرى مورينو أن الحدود الفاصلة بين نواة الفرد ونواة الاخرين ، انما هى حدود مطلقة (٢٣ : ٥٩) .



(شكل يوضح حدود الذرة الإجتماعية - Social Atom)
نقلاً عن مورينو Moreno (٤٣ : ٥٧)

والشكل السابق يوضح فكرة مورينو . فمن الممكن ان تمثل العلاقة بين فرد واخر مستوى القشرة الخارجية للنواة (وهذه علاقات سطحية) بينما يمكن ان تتحول هذه العلاقة الى ديالكتيك بين فرد واخر وفى هذه الحالة تكون العلاقة على مستوى النواة الداخلية لكل من الذرة الخاصة بكل منهم .

فالافراد المنتمون (او المرتبطون ببعض) برابطة عاطفيه انفعاليه قوية وبالتالى يحكم انتمائهم علاقة نفسيه اجتماعية قوية يمثلون النواة فى الذرة . بينما الافراد غير المرتبطين بهذه الرابطة او المفترقين عن بعضهم البعض يمثلون جماع المعرفة او بمعنى ادق يحتلون جزءا من جماع معرفة كل منهم . فالعلاقة التى تحكمهم ليست العلاقة النفسيه الاجتماعية الحميمة وانما المعرفة فى أى صورها . فليس كل من يعرف الاخر يدخل معه فى علاقه نفسيه او يحتل منه مكان النواة .

ومعنى هذا ايضا ان الاشخاص المنتمين (المرتبطين برابطة انفعالية قوية) تحتل نواة كل منهم نواة الاخر (انظر الشكل السابق) وتقترب هذه الذرات حتى

الاساس فى عملية تماسك الجماعة .

وتعد نقطة الانطلاق من تعريف مورينو للذرة الاجتماعية ، الانتقال من نمط العلاقات العابرة الى مستوى العلاقات العاطفية الانفعالية . والانتقال من مستوى العلاقات العابرة الى المستوى الانفعالى انما هو انتقال له معنى وحكمة حتمية سيكولوجية . وبدراسة عديد من الذرات الاجتماعية ، اتضح لمورينو وجود خط فاصل وحدود قاطعة بين نمط المعرفة العاديه (السيتوبلازم) وبين المعرفة العميقة ذات المعنى السيكولوجى (النواة الاجتماعية) . وقد شبه مورينو هذه الحدود الفاصلة بين السيتوبلازم والنواة (أى بين العلاقات العادية والعلاقات السيكولوجيه) بالعتبة الفارقة التى اطلق عليها بالفعل (العتبة الاجتماعية — Social Thereshold (٢٣ : ٥٦) .

ففى اللحظة التى اريد فيها معلومة معينة عن شخص ما (س من الناس) — بهدف الاقتراب منه او لاكون معه علاقة من نوع ما (عمل — صداقة — الخ) فـأن هذا الشخص يكون قد تخطى حدود العتبة الاجتماعية لذرتى الاجتماعية فـى تفردها (انظر الشكل السابق) كما اتعدى انا حدود العتبة الاجتماعية لذرته فى تفردها .

وكذلك يمكن القول ان الافراد الذين يودون الدخول فى علاقة معك ، بصرف النظر عما اذا حققت لهم هذه الرغبة أم لا ، فانهم قد تخطوا العتبة الاجتماعية لذرتك الاجتماعية — شئت أم ابيت — وعلى هذا فهناك اشخاص يتخطون دائما العتبة الاجتماعيه لذرتك الاجتماعية سواء وافقت ام عارضت ، طالما قد اختاروك (اختيارا سوسيومتريا) ، فقد صاروا تنتمى لذراتهم الاجتماعية واصبحت ترتبط بهم بروابط اجتماعية واضحة المعنى والتحديد .

والواقع الاجتماعى لتفاعلنا يكشف عن ذلك دوما ، فقد يختارنا افراد فـى مواقف معينه ، وقد نظن ان مثل هؤلاء الافراد لا يمكن ان يختارونا او العكس

قد نختار بعض الافراد فى موقف ما وهم لا يتصورون اننا يمكن أن نختارهم .

ويقسم مورينو الذرة الاجتماعية الى جزئين : (انظر الشكل السابق) :

١) الجزء الاول : جزء خارجى للنواة (السيتوبلازم) وهو يتكون من الرغبة فى اقامة علاقة مع اخر — او اخرين .

٢) الجزء الثانى : جزء داخلى للنواة (البروتوبلازم) وهو يتكون من الفرد الحقيقى فى نقائه الخالص بغير علاقة مع أحد (وهو فرض لا وجود له الا فى حالة الموت أو المرض العقلى) .

اذن ، فالتيار العاطفى (الانفعالى) الذى اخترق الذرة الاجتماعية هو فى الواقع تيار متنوع الشدة ، ومتغاير الطبيعة فى حد ذاته ، وبذلك يرى مورينو ان النبذ او الاختيار لا يكونان مطلقين ، بمعنى ان هناك مستويات متعددة للاختيار ومستويات متعددة للنبذ . وبذلك أتوجه " كفرد " بعلاقاتى لمختلف الافراد بدرجات مختلفة من الرغبة فى اقامة هذه العلاقات ، فاختار ثلاثة او عشرة أفراد او اكثر ولكل واحد منهم درجة فى هذا الاختيار (التفضيل) وكذلك احجم عن اقامة علاقات مع عدد من الافراد ، ولكل منهم احتفظ بمسافة معينة من الابتعاد (النبذ) . وهذا التعدد والاختلاف فى درجات (الاختيار) او درجات (النبذ) هو ما سماه مورينو (بشدة التيار العاطفى) او التيار الانفعالى ، الذى يخترق الذرة الاجتماعية (النقية) فى تفردها سواء أكان ذلك بالنسبة لذرتى الاجتماعية او للذرة الاجتماعية للشخص الذى اود ان ادخل معه فى علاقة انفعالية ، أى سيكولوجية .

وفى دراسة لمورينو عن العوامل المحددة لعدد الاختيارات السوسيومترية (التفضيل او النبذ) ، وجد ان غالبية المبحوثين تميل لان تستخدم الحد الاقصى من اختيارات التفضيل او النبذ ، فهناك اشخاص يتخطون المسموح لهم

للاختيار الموجب (التفضيل) أو الاختيار السالب (النبذ) وهو خمسة اختيارات اما النسبه القليلة من المبحوثين فيبدو انه تميل الى ذكر ثلاثه اختيارات (موجبة او سالبة) او الاقتصار على اختيارين فقط (٢٣ : ٥٨) .

وقد خلص مورينو من هذه التجربة بنتيجة هامه مؤداها ان الشخص لا يستطيع المساواة بين ذرتين اجتماعيتين فى موقف واحد . اذ ان كل الافراد (المبحوثين) فى تجربة مورينو قد قاموا بترتيب الاشخاص الذين يعرفونهم على مقياس متدرج الواحد تلو الاخر ب بعد (أ) ، وهكذا ... ولم يحدث ابدا ان ذكر احد المبحوثين ان الذرتين (أ) ، (ب) فى مستوى واحد من التفضيل او النبذ .

والواقع ان العلاقات الاجتماعية ، على تنوعها وتنوعها ، ان هى الا نتاج للتفاعل الدينامى بين التلقائية بوجه عام ، كما يتضح لنا ان وجود " ذرة " .. اجتماعية نقيه نقاءا خالصا حالة لا وجود لها الا فى العدم (الموت) او الموت السيكولوجى للفرد (المرض العقلى) الذى يبدو فيه الفرد منطويا على ذاته وحتى هذه الحالة الاخيرة مستحيلة فى ضوء فهم نظريه التحليل النفسى ، حيث يعلمنا " فرويد " ان الانسان فى هذه الحالة (التقوقع على الذات) يقيم علاقة (ديالكتيكيه) مع اخر (أو اخرين) مدمج فى ثنايا الذات اى بتعبير مورينو قد حدث ادماج لنواة الذات مع نواة ذات اخرى (الاخر) .

النظرية السوسيومترية والبناء الاجتماعي

مما تقدم ، يتضح لنا أن مورينو يعتبر أن النظرية السوسيومتريه هي العلم الذى يدرس الذرة الاجتماعية فى تفردها وتفاعلها مع جماع الذرات الاجتماعيـة الاخرى . وهو يقدم لنا مفهوم الجغرافيا السوسيومترية فى تناولة لاى بناء اجتماعى ذلك لان البناء الاجتماعى لاى جماعة (سواء أكانت جماعة طلبة او جنود او اعمال) ان هى فى النهاية الا مجموعة من النوايات او بتعبير مورينو (الذرات) الاجتماعيـة التى يتفاعل بعضها مع بعض فى حدود الجماعـة .

ورغم أن مورينو يستعير مفهوم " الذرة الاجتماعية " من علم الاحيـاء ، الا أنه لايتكلم عنها كفرض تجريدى او كمفهوم غيبى ، كفكرة الليبيدو عند فرويد ، انما الذرة الاجتماعية فى تصوره حقيقة واقعة يمكن الاستدلال عليها بقياس العلاقـات الاجتماعية بينها وبين بعض عن طريق الاختبار السوسيومترى .

صحيح ان مورينو يستخدم فى عرض فكرته هذه عن الذره الاجتماعيـة تشبيهـة يستعيره من المجال الفسيولوجى الا أنه لايتكلم عن الذرة كما لو كانت شيئا مجـردا او مفهوما غيبيا كالليبيد وعند فرويد ، وانما الذرة الاجتماعية فى تصوره حقيقـة واقعة يمكن الاستدلال عليها من قياس العلاقات الاجتماعية عن طريق الاختبـار السوسيومترى .

فالذرات الاجتماعية تترابط فيما بينها لتكون شبكات معقدة من العلاقـات Net works عن طريق الاتصال Télé (٢٥ : ١٧) ويطلـق مورينو على مفهوم الاتصال بأنه " العملية السابقة على أى تكوين اجتماعى ، فهـى التى يتم بها التجاذب او التنافر او التجاهل بين عدد من الذرات الاجتماعيـة . والاتصال بهذا المعنى عملية اجتماعية فى طابعها تعمل على اساس من التوحـد Identification والطرح الجانب الوجدانيا هو المسئول عـن زيـادة

التفاعل بين اعضاء الجماعة وتبادل الاختيار او التجاهل او النبذ .

ومعنى هذا ، وطبقا لما تم عرضه من افكار مورينو ، يتضح لنا أن تبادل العلاقات (الاختيار او النبذ) داخل جماعة من الافراد انما هو المظهر الذى يجعلها جماعة بمعنى كلمة جماعه . اما اذا لم تصدر عن الافراد علاقات متبادلة او حتى من طرف واحد ، فانها لاتصبح جماعه وانما يمكن تسميتها جمعا Crewed او تجمع Collection من الافراد .

كذلك فان تبادل علاقات الدور Role تظهر بشكل واضح فى البناء السوسيومترى (البناء العلاقى) للجماعة ، حيث يكون لكل فرد فى الجماعة دوره الخاص ، وحيث يمكن تبادل الادوار فيما بين اعضاء الجماعة الواحدة باختلاف مراحل سيرهم نحو تحقيق اهدافهم (أهداف الجماعة) وقد ناقشنا هذه النقطة فى الفصل السابق مناقشة مستفيضة .

نقد نظرية مورينو :

ان نظرية مورينو تركز على الاهتمام بالتنظيم النفسى والاجتماعى للجماعة وليس على الافراد كأفراد . وبرغم القيمة الهامة لهذه النظرية فانها لم تسلم من أوجه النقد .

وابرز جوانب النقد التى يمكن ان نوجهها لهذه النظرية انها تتميز ... بالسطحية الى حد ما ، ذلك انها تعتمد على الاختبار السوسيومترى فى فهم العلاقات النفسيه الاجتماعية الا أن العلاقات الاجتماعية اعمق من ذلك ، فهى متشعبة الجوانب ولايمكن ان يفسرها الاختبار السوسيومترى وحده ، وان كان ذا قدرة على قياسها ووصفها . فالاختبار السوسيومترى اداة جيدة لقياس العلاقات الاجتماعية ، وعن طريقه يمكن ان نكشف عن طبيعة الاختيار والرفض

(النبذ) بين اعضاء الجماعة الواحدة ، كما يمكنا ايضا من الكشف عن محددات هذا الاختيار او النبذ . غير أن المسألة لايمكن ان تقف بنا عند هذا المستوى ، او بعبارة ادق لايمكن ان نقف عند هذه الحدود ، وذلك اننا نحتاج الى أكثر من مجرد اداة تقيس العلاقات الاجتماعية . نحن فى حاجة الى وسيلة تمكنا من كشف العوامل النفسية المتداخلة فى العلاقات الاجتماعية المختلفة .

الاختبار السوسيومترى

رأينا كيف ان مورينو يعتبر الاختبار السوسيومترى أداة تستهدف تحديد القدرة الاجتماعية المميزة للفرد ، من خلال فهم انماط التجاذب (الاختيار) أو التنافر (الرفض والنبذ) بين الفرد وغيره من الافراد داخل الجماعة الواحدة . وقد تكون العلاقة بين الفرد وغيره من الافراد علاقة فعلية Actual اى محققة فى الحياة اليومية ، او يكون مرغوب فيها ، أى يسعى الفرد لتحقيقها دون ان يحققها فعلا (١٧ : ٥١٦) .

اذن فالسوسيومترى كنظرية او اختبار ، لايدرس الفرد منفصلا عن غيره من الافراد داخل الجماعة التى ينتمى لها ، ولايدرس الجماعة فى استقلال ومعزل عن اعضائها . وانما هو يدرس العلاقات المختلفة بين الافراد والانماط البنائية المميزة لهذه العلاقات . وبمعنى آخر لايمكن فهم الفرد الا من خلال الجماعة التى ينتمى لها ، كما لايمكن فهم الجماعة الا من خلال علاقات افرادها .

استخدامات الاختبار السوسيومترى :

الاختبار السوسيومترى يستخدم فى مجالات عديدة ، لتحديد ووصف العلاقات الاجتماعية بين افراد الجماعات ، سواء كانت جماعات العمال او الطلبة او الجنود او غير ذلك من جماعات ، ويهدف محدد هو اعادة بناء الجماعات فى

ضوء نتائج الاختبار . ذلك أن هذا الاختبار يمكن أخصائى القياس الاجتماعى (او السوسيومترى المهنى) — Sociometricien من معرفة مدى تماسك الجماعة ويكشف عما بها من شللية Cliques وتكتلات أو تصدع . كما يتعرف على الشخصيات السائدة فيها . ويساعد على انتقاء المشرفين (قادة الجماعات) . كما يمكن الاختبار السوسيومترى المشرف على الجماعات من اختيار افراد الجماعات على اساس التآلف والتلاؤم والتعاون . كما يستخدم ايضا فى المجال الاكلينكى (العيادى) لدراسة جماعات المرضى وتكوين جماعات العلاج النفسى الجمعى .

ولقد ادخل تكنيك السوسيومترى . الى مجال علم النفس فى بدايــة الثلاثينات من هذا القرن . واستخدم فى ثلاثة مجالات هامة استخداما واسع الانتشار وهذه المجالات هى :—

أ — المجال التعليمى والتربوى (لدراسة جماعات الطلاب والمعسكرات الصيفية) .

ب — المجال الصناعى (لدراسة جماعات العمال) .

جـ — المجال العسكرى (لدراسة جماعات المقاتلين) .

اذن فالاسلوب السوسيومترى (متمثلا فى الاختبار السوسيومترى) يسمح لنا بتكوين فكرة ونظرة ثاقبة على نماذج التفضيل والنبذ بين افراد الجماعات وبالتالى نستطيع ان نحدد بوضوح مكانة اى عضو فى الجماعة وهو ما يمكننا من التمييز بين الاشخاص المحبوبين فى الجماعة والاشخاص المكروهين فيها .

محددات الاختبار السوسيومترى :

نخرج من المناقشة السابقة بعدد من المسلمات الهامة يمكن صياغتها على النحو التالى :

١) ان الاختبار السوسيومترى هو أداة لقياس مدى التجاذب او التنافر بين افـراد الجماعة الواحدة . سواء كانت هذه الجماعة جماعة عمال او طلبة او جنود اوأ ى جماعة أخرى .

٢) ان الاختيار السوسيومترى يشمل جميع افراد الجماعة الواحدة ككل حيث يطلـب فيه من كل عضو ان يبدى رأيه فى بقية الاعضاء ان اختيارا (أى يود اقامـــة علاقات معهم) أو نبذا (أى يود تجنبهم) .

ويضع مورينو عدة شروط يجب توافرها فى الاختبار السوسيومترى على النحو التالى:

١) توضيح حدود الجماعـة :

لابد أن يفهم اعضاء الجماعـة حدود الاشخاص المسموح لهـــم بالاختيار من بينهم حتى لاتتوزع الاختيارات خارج حدود الجماعة ، علـى الرغم من اننا نرى ان توزيع الاختيارات خارج حدود الجماعـة الاصليـــة للفرد امر له دلالته . ذلك أن عضو من الجماعـة (أ) يتجاهل كل افـراد هذه الجماعة ويتوجه باختياره لفرد من الجماعة (ب) هذا الامر معناه أنـه قد نبذ جماعتـه (جميع اعضاءها) ضمنا .

٢) تحديد محكات للاختيار :

لابد من تحديد عدد من المواقف يتم اختيار الاعضاء على اساسهـا ويجب ان تكون هذه المواقف حية وطبيعية ، وليست مشوهة او مصطنعـــة حتى يتم اختيار حقيقى لازائف . وهذه المواقف (المحكات) لابد أن يترتب عليها اعادة بناء الجماعة اى لايجب استخدام الاختبار السوسيومترى ثـــم لايترتب عليه اى نتيجه للجماعـة .

٣) تحديد عدد الاختيارات :

يرى مورينو انه ينبغى ان يسمح للفرد " عضو الجماعة ، ان يختـــار

اى عدد يراه مناسبا فى كل موقف (على كل محك) . غير أن ذلك يصعب عملية تحليل البيانات . ولذلك فاننا نرى ان عدد الاختيارات يجب أن يتحدد بخمسة اختيارات او ثلاث اختيارات فقط لتسهيل عملية حساب درجات الاختيار او درجات النبذ .

نموذج للاختبار السوسيومترى :

اثبتت كثير من الدراسات الاجنبية والمحلية ان الاختبار السوسيومترى يجب ان يشتمل على ثلاثة محاور اساسية :-

١) العلاقات داخل حدود الجماعة فى الزمان والمكان (مثال ذلك علاقة العمال بعضهم ببعض داخل العمل) .

٢) العلاقات خارج حدود الجماعة فى الزمان والمكان . (مثال ذلك علاقة العمال بعضهم ببعض خارج مكان العمل) .

٣) مواقف قيادة الرأى : مثال لذلك اخذ رأى عضو الجماعة (أو اكثر من عضو) فى مسائل مصيريه هامة .

وفيما يلى عينة من الاسئلة التى ترد فى الاختبار السوسيومترى (٦ : ٥ ٢٠)

أولا : فى مجال العلاقات الخارجية (خارج العمل) :

١) لو المصنع عمل لكم رحلة وحبيت تروحها . مين من زمايلك اللى ترتاح لسه قوى لما يروح الرحلسه معاك ؟

أ - مين أول واحد :

ب - ومين بعده :

جـ - ومين كمان :

١ - س - ومين من زمايلك اللى لو عرفت انه حايروح الرحلة دى تلغى الرحلة ولاتروحهاش ؟

أ — مين أول واحد :

ب — مين اللى بعده :

جـ — ومين كمـــان :

ثانيا : فى مجال قيادة الرأى :

١) فى الانتخابات الجديدة للنقابة ، مين من زمايلك اللى فى القســم معاك تحب تنتخبه علشان يتكلم عنكم ويعبر عن مطالبكم ؟

أ — مين اول واحد :

ب — ومين اللى بعده :

جـ — ومين كمـان :

١ — س — ومين اللى لو عرفت انه حايرشح نفسه تبقى متضايق منه قـــوى وتعمله دعايـة سيئه علشان يسقط ؟

أ — مين أول واحـد :

ب — ومين اللى بعده :

جـ — ومين كمـان :

ثالثا : فى مجال العلاقات الداخلية (داخل العمل) :

١) لو حبيت تاخد راى حد من زمايلك فى مشكلة فى العمل ، مين أولـــ واحد فى زمايلك اللى تروح تسأله وتثق فى كلامـه ؟

أ — مين أول واحـد :

ب — ومين اللى بعده :

جـ — ومين كمـان :

١ ـ س ـ ومين اللى تفضل انك تسكت ولا تاخذ ش رايـه ابدا ؟

أ ـ مين أول واحـد :

ب ـ ومين اللى بعده :

جـ ـ ومين كمـان :

وكما هو واضح ان كل سؤال يجد د بثلاثة اختيارات ، يعكس ترتيبهـا اهمية الاختيار او مستوى التفضيل بحيث يكون الشخص

(أ) أهم الاشخاص يليـه الشخص .

(ب) ثم يلى هذا وذلك الشخص .

ولهذا ينبغى أن تتضمن تعليمات تطبيق الاختيار على توضيح هذا الترتيب فى عمليـة الاختيار كأن يقال " فيما يلى عدد من المواقف التى تتعرض لها عـادة فى مجال العمل ، ومطلوب منك فى كل موقف ان تختار ثلاثة اشخاص تفضلهـم لمشاركتك فى هذا النشاط وثلاثة اشخاص آخرين تفضل تجنبهم على ان ترتـب الاشخاص ترتيبـا يعكس تفضيلك الحقيقى ، فالفرد (أ) يجب أن يكون هو أهـم شخص تفضله ، والشخص (ب) يليه فى الاهمية مباشرة ، والشخص (جـ) يلـى الشخص (ب) مباشرة . وكذلك الحالـة بالنسبة للاشخاص الذين تود تجنبهم " .

التقدير :

يعطى الاختيار الاول ٥ درجات ، والاختيار الثانى ٣ درجـات والاختيار الثالث درجة واحدة ، سواء فى التفضيل او النبذ ، (وهناك بعض الباحثين يفضل استخدام ٣ درجات ، ثم درجتان ثم درجة واحدة) . وفـى هذه الحالة تكون المسافة بين أ ، ب = ٢ درجة ، والمسافة بين ب ، جـ هى ايضا ٢ درجة أى ان المسافات بين كل فرد والذى يليه مسافات متساويـة البعد .

تحليل نتائج الاختبار السوسيومترى :

يقدم لنا مورينو عدة طرق لتحليل نتائج الاختبار السوسيومترى يمكن عن طريقها وصف الجماعة وتحليل انماط العلاقات السائدة بينها ، من هذه الطرق :

١) المصفوفة السوسيومترية

٢) السوسيوجرام

١) المصفوفة السوسيومترية : Sociometrix

تعد المصفوفة السوسيومترية وسيلة دقيقة لحساب الدرجات السوسيومترية التى حصل عليها كل فرد (كل عضو) فى الجماعة ، فاذا ماسمحنا لكل عضو ان يختار ثلاثه افراد من جماعته ، مع ترتيبهم أ ، ب ، جـ ، حسب افضلية اختياره لهم ، يعطى الفرد (أ) خمسه درجات ، والفرد (ب) ثلاثه درجات ، والفرد (جـ) درجة واحده ، طبقا لنوع الاختيار . وبناء على ذلك فأن كل عضو فى الجماعة سوف يحصل على عدد من الاختيارات (وقد يحدث أن احد الاعضاء او اكثر لايحصلون على اى اختيار من الجماعة) ، وبالتالى طبقا لوزن هذه الاختبارات سوف يحصل كل منهم على عدد من الدرجات السوسيومترية المعبرة عن وزن هذه الاختيارات (مجموع هذه الدرجات يعبر عن مكانة العضو فى الجماعة) .

وفيما يلى مصفوفة سوسيومترية توضح اختيارات جماعة عمال بشركة النصر للزجاج فى احد الدراسات (٦ : ٢٦٤) كمثال على ذلك .

مصفوفة سوسيومترية توضح اختيارات جماعة عمال والدرجـــــــات السوسيومترية لكل عضو (نقلا عن ٦ ص ٢٦٤)

	اعضاء الجماعة	١ غ	٢ ز	٣ ع	٤ أ	٥ هـ	٦ م	٧ م ع	٨ ن	٩ ع م	١٠ ص	١١ ح م	١٢ ح
١	غ	—	٥		٣						١		
٢	ز	٥	—	٣							١		
٣	ع		٥	—						٣	١		
٤	أ	٣	١		—					٥			
٥	هـ	٣	١			—	٥						
٦	م	٥	٣				—				١		
٧	م ع		٣	١				—		٥			
٨	ن		١						—	٥	٣		
٩	ع م	٥	١		٣					—			
١٠	ص	٣	٥		١						—		
١١	ح م				١					٥	٣	—	
١٢	ح	١	٣							٥			—
	الدرجة السوسيومترية	٢٥	٢٨	٤	٨	صفر	٥	صفر	صفر	٢٨	١٠	صفر	صفر

ملحوظـــة :

(الأرقام تشير الى عدد اعضاء الجماعة والحروف الابجدية تشير الـــى اختصار اسماء اعضاء الجماعة ـ لضمان سرية البيانات) .

ومن الشكل السابق يتضح ان العمود الرأسى الاول يشمل افراد الجماعة (وعددهم ١٢ فردا) وهم القائمون بتوجيه الاختيارات (كل منهم لثلاثة اعضاء) اما الخانه الانقية الاولى (أعلى) فتشمل نفس الاعضاء ولكن حين يتلقون الاختيارات (كل منهم يتلقى اختيارات افراد الجماعة)، وقد يختار عضو منهم أو اكثر من كل او اغلب افراد الجماعه وقد لايختاره اى عضو .

ومن المثال السابق نجد ان الفرد الاول (رأس) غ قد اختار ثلاثة افراد هم " ز " اختيار أول (ووزنه ٥ درجات) ثم ا اختيار ثانى (ووزنه ثلاثة درجات) ثم ص اختيار ثالث (ووزنه درجة واحدة) ، بينما نجد نفس هذا الفرد (غ) قد تلقى اختيارات متعددة الوزن من كل من ز ، أ ، هـ ، م ، ع ، ص ثم ح . وبالتالى حصل على ٢٥ درجة سوسيومترية كذلك نجد أن الفرد (هـ) قد حصل على درجة سوسيومترية " صفر " ومعناها انه لم يتلقى اختيارا من أحد ، اى لم يختاره اىعضو فى الجماعة .

وتنتهى قيمة المصفوفة السوسيومترية عند مستوى ترجمة الاختيارات السوسيومتريه الى درجات سوسيومترية . وهنا تأتى قيمة السوسيوجرام ليعطينا الدلالة والمعنى لهذه الدرجات .

٢) السوسيوجرام : Sociogram

من المصفوفة السوسيومترية السابقة ، يمكن رسم السوسيوجرام ويعد السوسيوجرام بيان اجتماعى او بروفيل للعلاقات الاجتماعية كما ظهرت فى الاختيار السوسيومترى ، وهناك طرق عدة لرسم السوسيوجرام نوضح منها طريقتان على النحو التالى :

١) الطريقة الاولى :

وهى تعتمد على تمثيل اختيارات افراد الجماعة (علاقة كل عضو ببقية افراد الجماعة) بخطوط متجهة من الفرد (الذى تمثله دائرة تحمل اسمه او رقمه او اختصار اسمه أو رمز له) الى غيره من افراد الجماعة . سواء كان هذا الاختيار موجب (أى تفضيل) أو سالب (نبذ) . ويمثل للاختيار الموجب بخط مستقيم فى نهايته سهم يشير الى اتجاه الاختيار :

مثال ذلك : (أ) ———> (ب) الفرد (أ) يختار الفرد (ب) .

كما يمثل للاختيار السالب (النبذ) بخط متقطع فى نهاية سهم يشير الى اتجاه النبذ :

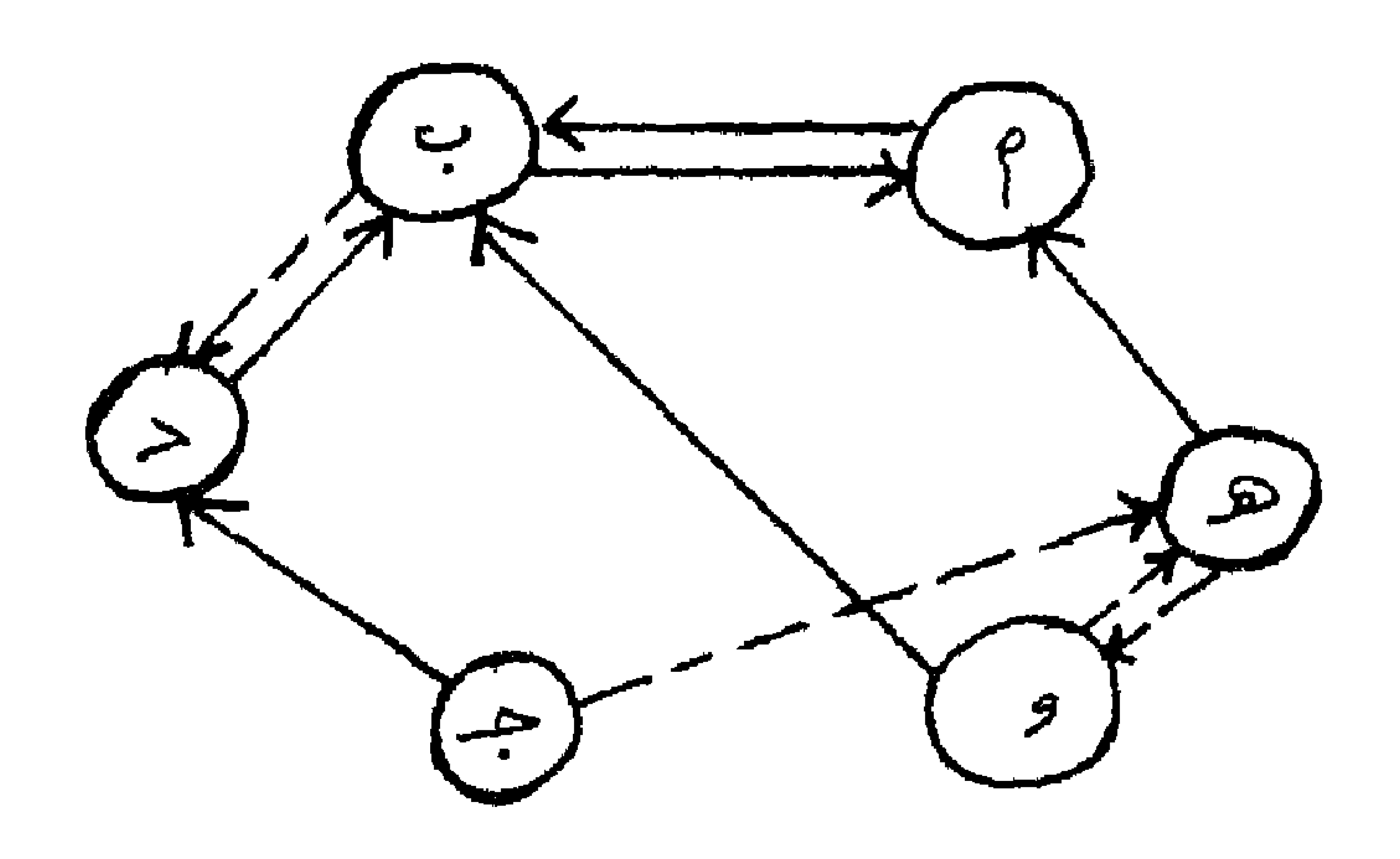
مثال ذلك : (أ) - - - -> (ب) الفرد (أ) ينبذ الفرد (ب)

اما الاختيار الموجب (التفضيل) المتبادل بين فردين فيمثل له بخطين مستقيمين فى نهاية كل منهما سهم (عكس بعض) يشير الى اتجاه التفضيل على النحو التالى :

(أ) <===> (ب) فالفرد أ يختار ب والفرد (ب) يختار (أ)

فى نفس الوقت . وبالمثل فى حالة الاختيار السالب (النبذ) .

وعلى هذا الاساس يمكن أن نجد فى تحليل السوسيوجرام انماط متعددة من الاختيار والنبذ نوضحها فى الشكل التالى :



ومن الشكل السابق يتضح وجود انماط الاختيارات التاليـة :ـ

النوع الاول : أ يختار ب وفى نفس الوقت ب يختار أ

(كما هو الحال بين أ ، ب فى الشكل السابق) .

النوع الثانى : أ يختار ب وفى نفس الوقت ب يتجاهل أ

(كما هو الحال بين الفرديين أ ، هـ فى الشكل السابق) .

النوع الثالث: أ يختار ب وفى نفس الوقت ب ينبذ أ

(كما هو الحال بين الفرديين ب ، د فى الشكل السـابق) .

النوع الرابع : أ يتجاهل ب وفى نفس الوقت ب يتجاهل أ

(كما هو الحال بين الفرديين جـ ، و فى الشكل السابق) .

النوع الخامس: أ يتجاهل ب وفى نفس الوقت ب ينبذ أ

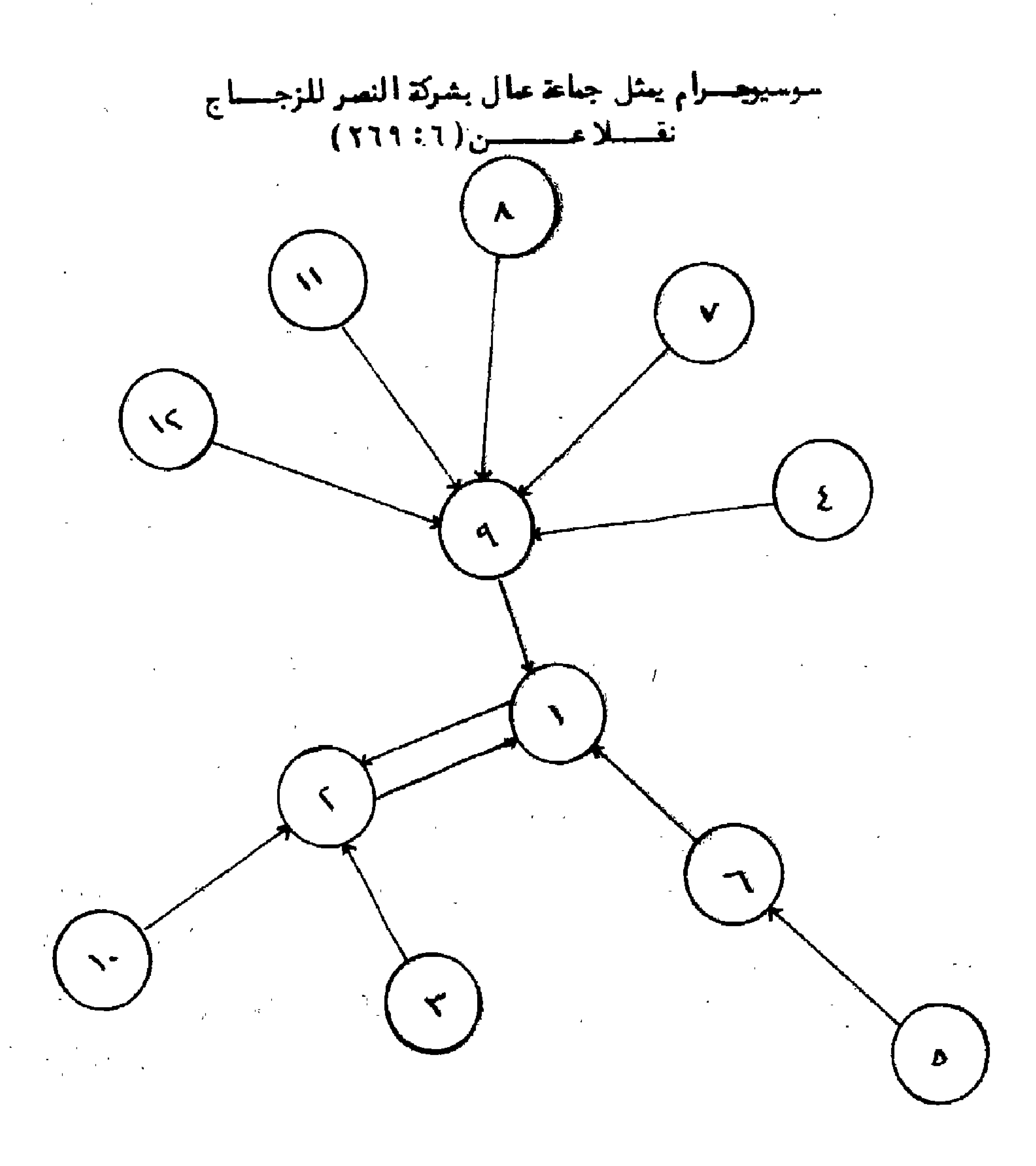
(كما هو الحال بين الفرديين جـ ، هـ فى الشكل السابق) .

النوع السادس: أ ينبذ ب وفى نفس الوقت ب ينبذ أ

(كما هو الحال بين الفرديين هـ ، و فى الشكل السابق) .

وهكذا يوضح لنا السوسيوجرام شكل (العلاقات المختلفة داخل الجماعة ، من اختيار او نبذ او تجاهل ، غير اننا وجدنا ، في دراسة لنا على جماعات عمال المصانع في مصر أن مسألة النبذ مسألة حساسة وصعب التعبير عنها ، ولذلك نقدم السوسيوجرام التالي لنفس الجماعة التي اشرنا اليها في المصفوفة السوسيومترية السابقة ليوضح هذه الاختيارات خلوا من الاختيارات السالبة (النبذ) (٦ : ٢١٦) .

سوسيوجرام يمثل جماعة عمال بشركة النصر للزجاج
نقلا عن (٦ : ٢٦٩)



ومن الشكل السابق يتضح لنا مايلى :

ان هذه الجماعة بقسمه الى اكثر من جماعة اصغر ، او بتعبير آخر ادق بقسمه الى مجموعة من الشلل Cliques ، فالافراد ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ يتوجهون باختيارهم الاول الى الفرد رقم (٩) الذى يحتل منهم منزله هامه جدا ، على حين ان هذا الفرد (٩) قد تنكر لهم جميعا واتجه باختياره الى الفرد رقم (١) .

ان هناك شلة صغيرة ، مكونة من الافراد ٢ ، ٣ ، ١٠ تتجه ايضا باختياراتها نحو بعضهم البعض ويتصلون عن طريق الفرد (٢) بالفرد رقم (١) الذى يمثل حلقه اتصال بينهم وبين بقية الجماعة .

ان هناك أفراد هامشيين لايمثلون شلة ولايمثلون فى نفس الوقت انفصال تام عن الجماعة هم ٥ ، ٦ ، حيث يتجه الفرد ٥ نحو الفرد ٦ الذى يتجه بدوره نحو الفرد (١) الذى يمثل بحق حلقه الاتصال بين جميع افراد الجماعه ، والذى تتعصب عنده جميع العلاقات الموجودة بين افراد الجماعة والذى يصلح لان يجمع هذه الجماعه على هدف موحد ويزيد من تماسكها .

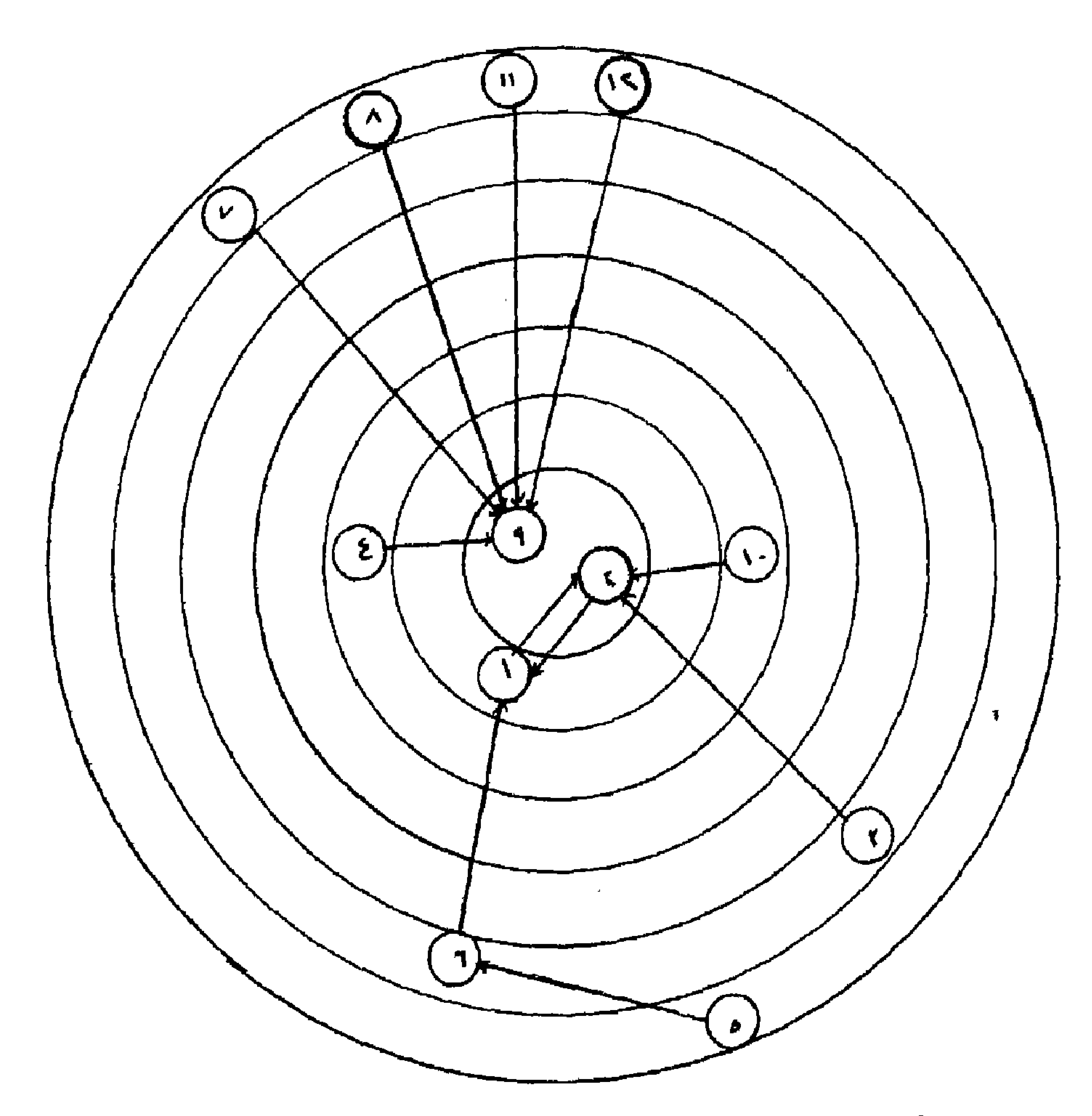
أن هذه الجماعة (برغم وجود تصدع واضح فى علاقه افرادها بعضهم ببعض) متماسكه على نحو ما ، ولكن هناك احتمال لان يتصارع الافراد ١ ، ٢ ، ٩ فيما بينهم على زعامة الجماعة .

ومن العرض السابق يتبين لنا مدى امكانيه وصف وتشخيص العلاقات المختلفة بين افراد الجماعة الواحده ، وصفا دقيقا ، ولو أن بعض علماء النفس يعيبون على الاسلوب السوسيومترى خلوه من تقديم تشخيص دينامى لطبيعة العلاقات الاجتماعية بين افراد الجماعة ووقوفه عند مستوى الوصف دون التفسير او التشخيص .

٢) الطريقــة الثانيــة :

اما الطريقة الثانية ، فهى طريقــة الد وائر المتداخلةأو كما تسمــى احيانا سوسيوجرام الهدف Target Sociogram (٩ : ٥٥٤) بحيث توضح مجموع هذه الدوائر حدود الجماعه واتساعها وتمثل اصغر دائرة فى الداخل قلب الجماعــة أو مركزيــة مكانة الفرد فى الجماعــة بناء علــى درجات كل فرد السوسيومترية فأكبر درجة سوسيومترية تجعل صاحبها يحتــل مركز القيادة والتأثير فيها وصاحب اصغر درجة سوسيومترية يحتل مكانـــــة هامشية أوقد لايحتل اى مكانــه ، اذ يصبح على هامش الجماعه أو قـــد يقــع خارج جميع دوائر السوسيو جرام فيكون منبوذا من الجماعة أو متجاهلا منها على اقل تقدير .

وفيما يلى تقدم الشكل التالى ليوضح هذا النوع من السوسيوجرام ، لنفـــس الجماعــة السابقــة :



شكل يبين سوسيوجرام الهدف لنفس الجماعة السابقة

نقلاً عن سيد عبد الحال (٦ : ٢٦٧)

ويمكننا هذا النوع الثاني من السوسيوجرام من تقديم وصف ادق لطبيعة العلاقات القائمة بين افراد الجماعة الواحد ، اذ يعتمد في الاساس على الدرجة السوسيومترية الى جانب اتجاه الاختيار ، وبالتالي تمثل الخطوط اتجاه العلاقات او الاختيارات ، بينما تمثل الدرجات وضعيه كل فرد من افراد الجماعة ، أو بمعنى أدق مكانه كل فرد من الجماعة ، وهو يسمى بالمكانة السوسيومترية .

ومن سوسيوجرام (الهدف) السابق يتضح لنا مايلي :

أولا : الاشخاص المركزيين :

استنادا الى الشكل السابق نجد أن الذرة رقم (٢) وكذلك الذرة رقم (٩) قد حازتا على اكبر درجات سوسيومترية وبالتالي فهما يمثلان شخصين مركزيين ذوي فعالية في الجماعة وذو تأثير قوى على افرادها . ولو انهما قد يتنافسان على زعامة الجماعة كل يساند ه مجموعه من الذرات الاخرى . ولما كان الفردين ٢ ، ٩ قد حازا على درجات سوسيومترية متساوية (٢٨ درجة) (راجع المصفوفة السوسيومترية) فأن كلاهما يحتل منزله واحدة من الجماعة . الا أن الذرة رقم (٩) قد حازت على مجموع درجاتها من اختيارات اغلبها من النوع الاول .. لذا تعد هذه الذرة (الفرد ٩) القائد غير الرسمي للجماعة والذي يقودها نحو تحقيق اهدافها (برغم وجود بوادر تفكك وتصدع تمثله تجمعات ذرات اخرى نحو الذرة (١) والذرة (٢) وذرات هامشية) .

ثانيا : الاشخاص الهامشيين :

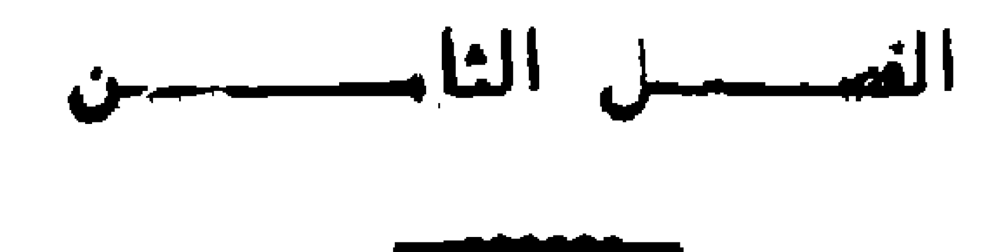
ويمثل الاشخاص ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ اشخاص هامشيون يقعون على حدود الجماعة لضعف درجاتهم السوسيومترية (راجع المصفوفة السوسيومترية) الا أن الاشخاص ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ قد اتجهوا

باختيارهم الاول نحو الفرد (٩) للاحتماء به ولتقويته وضمهم فى الجماعة عن طريقه .

وكذلك الحال بالنسبه للاشخاص ٣ ، ٦ فقد احتلوا مكانه قريبه من الهامشيه الا انهما يرتبطان ايضا باشخاص مركزيين (٣ يرتبط ب ٢ ، ٦ يرتبط ب١)

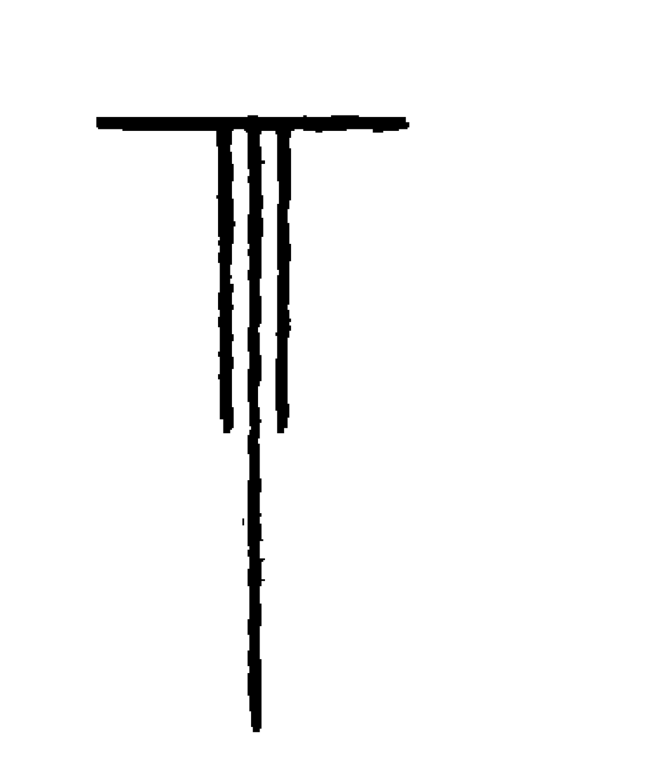
ورغم عدم وجود اختيارات سالبه لافراد هذه الجماعة ، ألا ان هناك اشخاصا متجاهلون من الجماعة او معزولون عنها ، وهم اصحاب الدرجات السوسيومترية الصفرية وهم ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ حيث لم يتجه أحد من الجماعة لاختيارهم اختيارا من أى نوع (الاول أو الثانى أو الثالث) .

اذن كل من المصفوفة السوسيومترية والسوسيوجرام يمكن أن يزود الباحث فى العلاقات الاجتماعية لافراد الجماعة بامكانية تفسير هذه العلاقات وقياسها قياسا كميا دقيقا للدرجة التى ابتدع بعض علماء النفس اساليب احصائيه لحساب مكانه كل فرد من الجماعة سواء مكانه الاختيار او مكانه النبذ ، وهو مالا يتسع المجال هنا للافاضة فيه ويمكننا الرجوع الى المصادر الاساسيه فى ذلك (٢٨ : ٥٧١ ـ ٥٧٩) .



الفصـــل الثامـــــن

((القيـــادة))



((Leadership))

القيادة : Leadership

مقدمــة :

لاشك في أننا نعيش في حضارة الربع الاخير من هذا القرن ، بكــل معطياتها ، والتي تتمثل في التقدم التكنولوجي الهائل في مجالين اساسين هما الانتاج المادى للانسان في حالة السلم والترسانة المخيفة للاسلحة الفتاكة التي قد يستخدمها في حالة الحرب . وسواء كان هذا التقــدم دافعا للانسان لمزيد من البناء ، أو العكس الى البحث عن الفنــاء فانه محكوم وموجه برغبة " قادة " الشعوب والدول المتقدمة أو المتخلفة على السواء . وهذه الرغبة لدى القادة محكومة بمدى قدرتهم على الفهم لابعاد المواقف المحلية والاقليمية والدولية ومتغيراتها .

ان التقارب الامريكي الروسي ، الذى يتمثل في الوفاق القائم الآن ، لاكبر دليل على فهم قادة الدولتين العظيمتين ان التصارع بالسلاح ســوف يقوض دعائم النهضة البشرية الموجودة الآن . لكن نفس هذا الفهم لم يمنع القادة في هاتين الدولتين من أن يحركا مصير الدول النامية المترامية على يمين ويسار كل منهما ، وقد ادى ذلك " بقادة " هذه الدولــة النامية ، وذلك على ضوء فهمه لمتغيرات المواقف الدولية ، فاما الانتماء للاولى والسير في ركابها واما الانتماء للثانية والسير في ركابها ، وقد التزم بعض هؤلاء القادة موقف الحياد الايجابي ، كما سمي ، من هــذا الصراع الدائر ، من منطلق حرصه على الا يتعرض للدمار نتيجة انتماءه لاحدى هاتين الدولتين العظيمتين .

ومن هذا العرض ، يتبين لنا أهمية " القيادة " في توجيه مصائر الشعوب ، الوجهة التي تكفل لها الاستمرار والبقاء في حالة من التعاون أو الصراع أو السيطرة أو أي شكل من أشكال الوجود .

والقيادة السياسية بهذا المعنى السابق ، لا تختلف كثيرا عن القيادة الادارية أو القيادة العسكرية ، أو القيادة في مواقف ابسط من تلك المواقف المعقدة ، كما هو الحال في المدرسة أو النادي أو المنزل .

والقيادة تعني التنظيم والتوجيه والتحكم في كل الظروف والمتغيرات للوصول الى هدف واضح ومحدد . فالقائد العسكري ، ينظم قواته ويوجهها ويتحكم في مسارها الى حيث التفوق العسكري والسيطرة على ابعاد المواقف والوصول بالجماعة (الجنود) وبالمجتمع (الشعب) الى حيث النصر . والقائد العسكري محكوم سلفا بقائد آخر ، هو القائد السياسي (رئيس الدولة) وهكذا الحال في كل مواقف القيادة .

القيادة :

اذن القيادة ظاهرة اجتماعية ، قديمة قدم المجتمعات البشرية ذاتها . فالانبياء والمصلحين الاجتماعيين ودعاة تقدم البشرية ماهم في الواقع الا قادة دفعوا شعوبهم نحو الاصلاح والتقدم . والسؤال الذي يثور دائما في الاذهان هل هناك عوامل موضوعية تتمثل في الظروف الاجتماعية هي التي تجعل منه هذا القائد . ؟ وفيما يلي سوف نحاول الاجابة على هذا السؤال من واقع تاريخ المحاولات التي اخذت على عاتقها وصف وتفسير القيادة :.

أولا : نظرية الرجل العظيم : A Great Man Theory

فى المدينة الفاضلة ، التى حددها افلاطون ، تحدث عن تقسيم شخصية الانسان الى ثلاثة انواع ، او بعبارة اخرى تحدث عن ثلاثة معادن للرجال ، رجال معدنهم الذهب وهم القادة ، ورجال معدنهم الفضة وهؤلاء هم الفلاسفة والعلماء ، ورجال معدنهم النحاس وهؤلاء عامة الشعب (المقودين) . ولقد أسهب افلاطون فى وصف الاساس الفطرى الذى يحكم هذا التقسيم ، بحيث أن كل نوعية من هذه النوعيات الثلاث لا تتخطى دورها المرسوم لها بحكم الوراثة — أو الفطرة — كما تحدث بافاضة عن الظروف والمراحل المختلفة التى يمربها القادة لاعدادهم للقيادة (الحكم) .

ولقد أثرت الفلسفة اليونانية تأثيرا بالغا على علم النفس فى بداية مرحلة انفصاله عنها ، يمثل هذه الافكار ، فتحدث علماء النفس الاوائل ، فى القرن التاسع عشر ، حيث شاعت نظرية الرجل العظيم فى القيادة ، ومفادها أن القائد " مطبوع " وليس " مصنوع " أى أن الانسان الذى تتوافر لديه " ملكة " القيادة يصبح من ثم قائدا فى أى موقف من مواقف الحياة ، وفى أى موقع من مواقع العمل . وقد نفت هذه النظرية ضرورة اعداد القائد أو تدريبه ، فلا حاجة اذن الى تدريب أو تزويد بمهارات القيادة مادام الانسان مزودا بملكات فطرية تساعده على اداء دوره القيادى فى المجتمع فى أى موقف سواء فى الجيش أو فى حكم الشعب أو فى المجال الادارى أو غيره من مجالات الحياة .

غير أن هذه النظرية لم تلبث أن تعرضت للانهيار نتيجة للبحوث التجريبية التى ميزت علم النفس منذ بداية القرن الحالى الى الآن ، والتى انتهت الى أن الموقف هو الذى يصنع القائد وليس القائد هو الذى يصنع المواقف التى تعبر عن قدرته القيادية • فلو ظهر " سعد زغلول " الان من جديد ، لاستحال عليه أن يحتل من الشعب المصرى المعاصر مكانته " القيادية " ، ولو ظهر " هتلر " الآن من جديد ، لاستحال عليه بالمثل أن يحتل موقع القيادة من الشعب الالمانى المعاصر •

ثانيا : نظرية السمات : Trait Theory

ظهرت نظرية السمات فى" القيادة " بعد رفض فكرة الملكات القيادية التى لا تقبل القياس ، على اعتبار أن السمات أو الخصائص النفسية يمكن قياسها فى ضوء تقدم علم النفس فى اوائل القرن الحالى وحتى منتصفه . ولقد وضعت تساؤلات عدة عن معنى هذه السمات القيادية التى تؤدى الى نجاح الفرد فى أداء دورا قياديا متمايزا عن اقرانه نتيجة توافر عدد من الخصائص والسمات النفسية ، كالذكاء والاتزان العقلى والصحة النفسية ، والمهارة والتخاطب والقدرة على الحذم والمرونة وقوة الاعصاب والحساسية للمشكلات والمواقف والحماسة ، والمودة والصداقة ، والحزم والايمان والثقة الخ ... السمات والخصائص منها الجسمى ومنها العقلى ، ومنها النفسى •

وقد تنوعت السمات وتباين عددها من باحث لاخر ، وأصبحت عملية التوفيق بين الباحثين أو حتى المقارنة بينهم فى عدد السمات من الامور الصعبة

وذلك لعدم الاتفاق على السمات المميزة للقائد من ناحية ولعدم تحديد معنى السمة تحديدا قاطعا يسمح بقياسهـا من جهة اخرى •

ولكن مع ذلك ، تمكن الباحثون في علم النفس من اعداد المقاييس والاختبارات التي تقيس السمات ودرجة تباينها وشدتها من شخص لآخر ، الا أن عملية القياس نفسها لم تكن من الامور السهلة ، فقد استندت اساسا على التقدير الشخصي سواء كان ذلك عن طريق تقدير الفرد لنفسه او تقدير الافراد المحيطين بالشخص له سواء كانوا زملاء أو رؤساء أو مرؤسين • ولقد اتجهت حركة القياس السيكولوجي بعد ذلك الى وجهة اخرى اكثر دقة في قياس القدرة القيادية اعتمادا على الاختبارات الموقفية والاختبارات الاسقاطية •

وعلى هذا فقد اجمعت اغلب المحاولات التي اعتمدت على نظرية السمات على تحديد هذه الشتات من السمات في ثلاثة سمات رئيسية لازمة لنجاح القائد في اداء دوره القيادي ، وهذه السمات الثلاث هي :

١ــ الذكاء •
٢ــ مهارات الاتصال •
٣ــ القدرة على تحديد اهداف الجماعة •

وعلى هذا الاساس فالشخص الذي تتوافر لديه هذه الخصائص الثلاث يكون من ثم اقدر من غيره على ممارسة الدور القيادي في جماعته •

ثالثا : النظرية الموقفيــة : Situational Theory

أن نتائج كثير من البحوث على الجماعات الصغيرة والقيادة قـــد كشفت عن زيف هذا التصور وخطئه ، فلا وجود لما يسمى بالسمات العامة أو السمة القيادية الثابتة (١٦ : ٥٩) .

فاذا كانت القيادة قدرة عامة General Capacity فـــان المتوقع أن يكون الشخص الناجح قياديا في موقف ، ناجح قياديا فـــى جميع المواقف . وبعبارة أخرى اذا فرض ووضعت مجموعة من الاشخـــاص القياديين في عدد من المواقف القيادية المختلفة ، فمفروض في ضوء هـــذا التصور الخاطىء أن تكون معاملات الارتباط عالية بين كفاءتهم في جميـــع هذه المواقف . ولكن نتائج البحوث الحديثة تشير الى عكس ذلـــك ، ان الشخص قد يكون قائدا في جماعة وتابعا في جماعة اخرى (٣٢ : ٣٥) وعلى هذا الاساس تعد النظريات التى تنادى بوجود سمات عامة للقيادة نظريــات خاطئـــة .

ولابد اذن أن ندرك مغبة الوقوع في مغالطة تحديد الشخص الناجح قياديا ، اى القائد ، بأنه الشخص المؤثر بدرجة اكبر من غيره فـــى افراد جماعة هو عضو فيها . وان كنا نقصد هذا المعنى ، فلا ينبغـــى ان نبادر الى الذهن أن هذا الشخص المؤثر يؤثر في جماعته بناء علـــى خصائص أو سمات عامة تؤهله لذلك . فالشخص قد يكون قيادى فـــى موقف ما ، بناء على طبيعة هذا الموقف وطبيعة الجماعـــة (الـــتى هو عضو فيها) وطبيعة اهداف الجماعة في مرحلة قيادته لها . فالجماعة هي التى تحدد القائد ، وهي التى تحدد له دوره القيادى ، وهـــو يستمد قوته في قيادتها من الجماعة ، فهو يعبر عن مصالحها ، واهدافها فاذا تغير عن ذلك وتهاون في ذلك عزلته الجماعة وتنكرت له . ويتضـــح

ذلك فى الجماعات غير الرسمية بوضوح ، ومن خلال الاختبار السوسيومترى ، حيث تختار الجماعة قائدا لها فى موقف ما وبناء على محكات معينة ، وقد تختاره او تختار غيره فى موقف آخر (٦ : ٢١٦ ـ ٢٩٠) .

وتستطيع الخروج من هذه المناقشة بنتيجة عامة مؤداها ان ليس هناك مايدعو الى القول بوجود قدرة (أو سمة ثابتة) قيادية مفرده ، بل ـ أن هناك عدة قدرات تتجمع و تتحدد معا وبحيث يمكن تسميتها القدرة القيادية المركبة ، مع الاخذ فى الاعتبار ان المواقف الاجتماعية المختلفة داخل الجماعة و خارجها هى التى تبرز هذه القدرة وتدفعها للظهور فى شكل مواقف قيادية متباينة بتباين الاهداف والجماعات والمواقف . وأن القائد يؤدى للجماعة دورا معينا فى ظل شروط وظروف معينة اذا انتهت انتهى دوره القيادة (٦ : ١١٧ ـ ١١٩) .

فالقيادة اذن موقفية ، تبزغ فى موقف معين لهدف معين ، تتجمع الجماعة كلها حول شخص لقودها نحو اهدافها ويتضمن لها تحقيقها ، اذا انتهت من اهداف محققة ، قد تضع اهدافها اخرى مكملة لها أو غيرها ، اذا انتفت الاهداف تماما انتفى القائد ودوره القيادى ، والشخص القيادى (القائد) قد يكون كذلك فى موقف أو مجموعة مواقف متشابهة ، ولا يكون بالضرورة قائدا فى مواقف أخرى غير مشابهة بل قد يكون شخصا عاديا ، أو ذا دور يتأرجح بين القيادة والتبعية ، أو قد يكون تابعا فى جماعة اخرى . اعنى قد يكون الشخص قائدا فى جماعة رياضية ، وقد يكون فى الوقت نفسه تابعا فى جماعات ذات هدف ثقافى أو دينى أو سياسى .

القيادة والرئاسة

تختلف القيادة عن الرئاسة اختلافا واضحا . فالرئاسة تشير الى قوة رسمية تحصل على الموقع القيادى من الجماعة أى كانت (منظمة العمل) عن طريق التعيين وبالتالى فهى تستمد قوتها من هذه المنظمة . وعلى هذا فهى تنتهى بانتهاء العمل . اما القيادة فهى بطبيعتها غير رسمية ، وهى تشير الى شكل من السيطرة القائمة على شخصية القائد الميسرة للجماعة كما تعتمد على تقبل وانصياع الجماعة لهذا التيسير للوصول الى هدف عام للجماعة ، وهى بهذا المعنى ترتبط بحاجات الاعضاء وطبيعة الموقف الذى يتفاعلون فيه وصولا الى تحقيق اهداف الجماعة المقودة .

وعلى هذا الاساس ، فأن التداخل قائم بين القيادة والرئاسة . ومن ثم يجب ان نثير سؤالا مؤداه : هل كل شخص يوضع فى موقع الرئاسة يصبح من ثمة قائدا ؟ والاجابة بطبيعة الحال " لا " . لكن مثل هذه الاجابة ناقصة على نحو ما ، ذلك انه فى بعض الاحيان ما يجمع الرئيس بين صفته كرئيس ودوره كقائد .

وعلى هذا الاساس يمكن القول أن " المدير " فى المصنع أو المؤسسة أو منظمة العمل هو رئيس معين من قبل مؤسسة العمل . لكنه قد يكون مدير رئيس أو مدير قائد . وذلك يعتمد على مدى ممارسته لدوره معتمدا على وظيفته وسلطاته أو ممارسته لدورا معتمدا على توجيه الجماعة الى حيث تحقيق الاهداف العامة للمؤسسة من خلال توفير مطالب الاعضاء واشباع حاجاتهم وما الى غير ذلك من خلال توظيف امكانات الاعضاء .

وبهذا المعنى فنحن نتساءل عن المشرف فى النادى الرياضى أو النادى الاجتماعى أو " الأب " فى الاسرة أو شخص معين فى وسط مجموعة من الشباب (الاصدقاء) هل هذا الدور رئاسى أو هو دور قيادى . أى مثل هؤلاء الاشخاص رؤساء أم قادة ... والاجابة بطبيعة الحال أن الصفة الرسمية غيرمتوافرة ، كما ان الالزام لتقبل قيادة مثل هذا الشخص غير واردة بالصورة القوية كما هو الحال فى المواقف الرئاسية . وعلى هذا فان التفاف الاعضاء حول(شخصية) القائد ، هى التى تعطيه القدرة القيادية ، وأن تتوافر لديه سلف بعض من الخصائص التى تؤهله للنجاح فى دوره القيادى .

فرئيس الجمهورية فى اى دولة (أو الملك) ان هو الا مجرد رئيس لكنه قد يتحول الى قائد تحت شروط معينة . ونحن حين نشير الى القادة بالنسبة للدول ، يأتى فى اذهاننا هتلر — نابليون — ستالين — وهكذا .... وقد يوجد الرئيس والقائد معا فى فترة من فترات الحكم على مستوى الدولة الواحدة ، ففى بداية القرن الحالى كان موجودا فى مصر " الملك فؤاد " وسعد زغلول . الأول رئيس للدولة والثانى قائدا شعبيا لنفس الدولة . وفى الاربعينيات فى هذا القرن كان الملك فاروق رئيسا للدولة ومصطفى النحاس قائد شعبيا (زعيما) للأمة .

واذا ما بحثنا فى الظروف والعوامل التى تؤدى الى الرئيس بأن يتحول الى قائد ، وجدنا ان هذه الظروف تتمثل فى المواقف التاريخية الهامة التى يتعرض لها . شعب من الشعوب (الجماعة المقودة) بحيث يطرح الثقة فيمن يتولى اموره بحيث يحوله شعبه من مجرد رئيس الى زعيم أى قائد

ومعنى هذا اذن ان المواقف هى التى تصنع القواد وليست الخصائص والسمات المتوافرة فى الاشخاص هى التى تصنع منهم قادة . لكن مع ذلك لا تستطيع ان نقلل من شأن الخصائص النفسية اللازمة للنجاح فى الدور القيادى .

وعلى هذا الاساس يرى بعض علماء النفس ان خصائص كالذكاء والقدرة على المبادأة و الوعى و الفهم لابعاد المواقف الجماعية والاجتماعية والقدرة الابتكارية .. الخ هذه الخصائص كان يمتاز بها بعض القواد العظام من امثال هتلر و ستالين ونابليون . (٩ : ٩٥) .

القيادة و القائد :

ثمة خلط آخر بين مفهوم القيادة و مفهوم القائد . وقد نجم مثل هذا الخلط من التأثير بنظرية السمات و التى افترضت أن الخصائص المتوافرة فى الشخص هى التى تجعله قائدا يمارس دوره القيادى فى مجال عمله أو مجال تفاعله مع غيره من الافراد فى جماعة مختلفة . وعلى هذا نجد أن كل من كرتش و كرتشفيلد . ورغم انهما لا يؤمنان بنظرية السمات . يحددان شروطا معيارية يجب توافرها فيمن يتولى الدور القيادى فى جماعة العمل . ومن هذه الشروط ان يكون الشخص اداري Excutire ذا قدرة على التخطيط Planning ووضع السياسة العامة General Pelicy وأن يكون جيدا Expert ومثلا للعلاقات الداخلية للجماعة (متوحدا معها) وضابطا لها فى الوقت نفسه كما يكون ذا قدرة على منح الاعضاء الثواب و العقاب (٢١ : ٤٢٠) .

ثم نجد رأيا آخر للفيف من علماء النفس يمثلهم جنكنيز (١٦ : ٥٦)
يرى أن القيادة هى العمل الذى يمارسه شخص ما لتوجيه سلوك اعضاء
الجماعة نحو الحركة و التصرف فى المواقف المختلفة مستندا على
امكانياته وقدراته و خصائصه .

والقيادة فى نظر جيب Gibb (١٣ : ٢٦٨) عملية تأثير
وتأثر يحدث فيها نوع من التفاعل الاجتماعى الدينامى ، يتم عن طريقه
تشكيل قيم و اتجاهات وسلوك اعضاء الجماعة ، كما أن هذا التفاعل
فى حد ذاته يصقل صفات القائد ويبرز دوره القيادى فى الجماعة .

وهكذا يتبين لنا أن الحديث عن القيادة يجب الحديث عن القائد
والعكس بالعكس صحيح . فالقول الذى اشار اليه كيرتيش و كريتشفيلد
من أن القائد هو الذى يكون ادارى و منظم و مخطط وواضع السياسة ..الخ
التعبيرات التى اشرنا اليها أننا ، انما يستندان فيه الى تحديد
معنى القيادة من خلال ممارسة هذه الوظائف .

والواقع ان احد التعريفات الهامة للقيادة هى التى قدمها مجموعة
المشتغلين بعلم النفس فى جامعة أوهايو Ohio حيث يحددون
معنى القيادة بأنها (العملية التى تؤثر على مناشط الاعضاء داخل
تنظيم معين للوصول الى هدف عام) (٣٢ : ٢٦٨) .

ويعنى هذا المفهوم أن الظروف الاجتماعية التى تسمح بظهور الحاجة
الى قائد يقود الجماعة الى حيث تحقيق اهدافها . و هذا يعنى ضمنا

ضرورة توافر عدد من المتغيرات الاساسية لظهور القيادة فى الجماعة و التى يضطلع بها شخص معين هو القائد ، و اهم هذه الشروط مايلى :

أ ــ وجود الجماعة فى الاساس و المحل الاول : و الا فكيف تكون القيادة ولمن و هذا يفترض وجود القائد و المقودين • لأن القيادة لاتكون فى فراغ و انما تكون موجهة لاشخاص لهم تنظيم معين •

ب ــ وجود عمل أو وظيفة للجماعة : وهو شرط يترتب على الشرط الأول (السابق) و يستند اليه • فالافراد لا يتجمعون بلا هدف ، وطبيعة الهدف تحتم القيام باعمال او وظائف للوصول الى الهدف الذى تتمناه الجماعة •

جـ ــ وجود ادوار Roles مختلفة : وهذا الشرط يعنى تنوع الادوار داخل الجماعة و تحديد دورا متمايزا للقائد ولجميع الاعضاء ، فالعملية الادارية لا تستند فقط الى دور القائد بل الى ادوار المقودين كذلك •

د ــ اختلاف الافراد : وهذا يعنى ضرورة أن تكون هناك فروق واختلافات فى قدرات الافراد ، حتى توظف كل شخصية (بما تملك من قدرات معينة) فى الدور الذى يتلائم معها دون تعارض أو صراع بين الافراد على دور واحد بالذات •

ان هذه المتغيرات الاربعة ، تعمل تآزر تام ، محدثة بذلك العملية القيادية ، أى انها تؤدى بالجماعة لان تصبح من ثمة تنظيما يتطلب قائدا وهكذا تصبح القيادة خاصية من خواص هذا التنظيم •

وهكذا يتبين لنا أن التعريف السابق ، لجماعه أوهايو ، عن القيادة بأنها العملية التى تؤثر فى سلوك اعضاء الجماعة وصولا الى هدف عام وانجازه انما هو تعريف اقرب الى ديناميه عمل القائد ودوره القيـادى . ومن هنا يصعب الفصل بين القيادة و القائد ، فكل منهما مفهوم يرتبط بالاخر و الحديث عن احدهما فى غياب الاخر حديث لا معنى لـه ولا دلالة ، وان كان فى الممكن وضع بعض المواصفات و الحدود لكل علـى اساس أن القائد قد يحتاج الى المهارات و الخصائص و الصفات التى بدونها لا يستطيع أن يباشر دوره القيادى وان توافرت كل الظروف التى تتطلـب القيـادة .

اذن فالحديث عن القيادة يعنى الظروف و الشروط المرتبطة بالمواقف المختلفة التى تتعرض لها الجماعة بما يتطلب شخص يقودها ، كما ان الحديث عن القائد يعنى الصفات و الخصائص التى تتوافر لديه لتحقيق ذلـك . وهكـذا ..

تحديد مفهوما القائد و القيادة :

اذن نخلص من المناقشة السابقة الى ان معنى القيادة يتحدد بأنهـا الدرجة التى يستطيع عندها الفرد أن يباشر تأثيرا قويا على افراد تنظيـم معين هو احد اعضاءه بهدف الوصول بهذا التنظيم الى تحقيق اهدافـه . كما يتحدد مفهوم القائد بانه الشخص الذى يتولى هذا الدور . وبذلـك يمكن لنا أن نتجنب الوقوع فى منزلق الخلط بين القائد و الرئيس أو المشرف .

وعلى هذا الاساس فالقائد هو الشخص الذى يباشر التأثير القوى وانفعال على الجماعة برغبتها دون فرض هذه القيادة بالاجبار أو القهر ، اى أن الجماعة تمنح القائد فرصة قيادته لها أيضا . و هذا المعنى يخرجنا من الوقوع فى بدائن التنظيم الرسمى . فالاشخاص القياديين انما يبزغون وسط جماعاتهم بطريقة غير رسمية حتى وان كان لهم دورا رسميا .

مثال ذلك المدير القائد ، وليس المدير الرئيس ، فى التنظيم الادارى لمصنع أو شركة . وقد يقف عند مستوى الرئيس اذا استخدم سلطاته فى قيادة الجماعة بما يتعارض مع اهدافها و مشاورها و رغباتها ووجدانها . . لكن مثل هذا القول يثير قضية هامة هل القائد الناجح هو الذى يخضع لمشاعر و رغبات الاعضاء و اهوائهم ؟ . . فى هذه الحالة سوف ينقلب الى قائد فوضوى لجماعة فوضوية . . و على هذا الاساس سوف نشير فيما يلى الى انواع ثلاثة من القيادة هى القيادة الديمقراطية و القيادة الاتوقراطية (المستبدة) و القيادة الفوضوية .

انماط القيادة :

القائد هو الذى يقود جماعته الى حيث بلوغ غايتها موثرا فيها و متأثرا بها وبالمواقف التى تعترض الجماعة . و القائد قد يتسم فى حركته هذه مع جماعته بالاستبدادية أو الديمقراطية . وهناك درجات من الاستبدادية ودرجات من الديمقراطية فى تعامل القادة مع جماعاتهم . ولعل هناك اختلاف واحد بين درجة استبدادية القائد و استبدادية الرئيس ، فى أن القائد يظل موجها فى ابتداديته مع الجماعة بدرجة تقبلهم و انصياعهم لها ،

أى لابد أن يظل القائد مرتبطا بجماعته ، ومن هنا فأن درجة استبدادية القائد اقل من درجة استبدادية الرئيس لأن الرئيس مدعم بسلطاته الوظيفية التى تمنحه القوة والبطش فى معاقبة من لا يخضع لاوامره ونواهيه . وبطبيعة الحال تختلف درجة الاستبدادية وكذلك درجة الديمقراطية كما تبدو فى ممارسة القادة لدورهم القيادى على النحو الذى يمكن ان نصفه فى فئات ثلاث هى :

١ـ القائد الاستبدادى :

هو الذى يمارس على الجماعة علاقات السيطرة ، وهو الذى يملك وحده القدرة على منح الاعضاء الثواب والعقاب حين يشاء . وهو يعمل باستمرار على أن يظل المحور الوحيد والاساسى لانتباه الجماعة ، لذلك فهو يعمل على انقسام الجماعة وتقليل الاتصال الجيد والسليم فيما بينهم الى اكبر حد ممكن (فرق تسد) وهو الذى يتحكم دائما فى كل اعمال الجماعة ومسارها .

٢ـ القائد الديمقراطى :

وهو عكس القائد الأول ،حيث يمنح الاعضاء الاشباع والاحترام، واسلوبه فى قيادة الجماعة يتمثل فى قدرته على احداث اكبر قدر من الاتصال والتفاعل بين افراد الجماعة ويعمل على تماسكها ، وذلك عن طريق اشتراك جميع الاعضاء فى المناقشة والحوار الهادف البناء باعتباره واحدا منهم ولهم جميعا مثل ماله من حقوق وعليهم مثل ماعليه من واجبات ، وان كان يمتاز عنهم بقدراته على تحليل المواقف وتقدم الاقتراحات ويملك زمام المبادأة فى توجيه الجماعة الى الحلول السليمة ودون قهرا وأجبارا .

٣ـ القائد الفوضـــوى :

وهو اقرب الى الرئيس منه الى القائد ، وهو الشخص الذى يـــترك لجماعته الحبل على الغارب فيما يفكرون فيه وفيما يضعونه فى حركتهـــم وبذا يصعب القول انه قائد بقدر ما يمكن ان يتصف به من خصائـــص رئاســية ، ومثل هذا الشخص قد يتجده قد وضع على قمة تنظـــيم معـــين .

ومن غير شك ان القائد بما يمتاز به من نزعة استبدادية أو ديمقراطية يتــرك اثره على جو العمل و جماعة العمل التى يعمل معها . ومن أهـــم التجارب التى اجريت فى علم النفس على اثر جو جماعة العمل على الفـــرد وعلى الجماعة تجربة ليبيت Lipite وهوايت Whight حيث قامـــا بتدريب ثلاثة افراد على ممارسة القيادة تبعا للانماط الثلاثة السابقة الاستبدادى — الديمقراطى — الفوضوى ، ثم قام كل منهم بتولى مهام القيادة : فـــى جماعة من جماعات طلاب المدارس يكونوا اندية لممارسة دوره المنوط بـــه فى توجيه سلوك الجماعة نحو هدف عام هو الانجاز و العمل فى الهوايــــات لانتاج بعض الاعمال الفنية ، كالرسم أو النحت أو ماشابه . وفيما يلـــى ابرز النتائـــج :

١ـ الجو الاستبدادى :

لقد زاد انتاج هذه الجماعة عن كل من الجماعتين الديمقراطيــة والفوضوية نتيجة تحكم القائد و استبداده فى مطالبة بوضع الهـــدف وصياغة خطوات التنفيـذ . لكن بعد فترة انخفضت الروح المعنويــة للاعضاء وظهرت عليهم علائم الغضب و الاستياء و الرفض ومظاهر الخلافات ، وسيطرة بعضهم على بعض و المشاكل وسوء السلوك و العدوان .

٢- الجو الديمقراطـــي :

وقد يتميز اداء المجموعة المقودة ديمقراطيا بانخفاض - نسبيا - عن جماعة الجو الاستبدادي في بادئ الأمر ، الا انتاجها قد زاد بالتدريج فيما بعد كما انها تميل الى الاستمرار في العمل حتى في غياب القائد نتيجة لتوزيع الادوار و اشتراكهم في وضـــع الاهداف • كذلك امتاز سلوكهم الشخصي بالتعاون و الحفاظ علـــى المنتجات و المواد الخام ولم تظهر بوادر الصراعات و الخلافات وارتفعت الروح المعنوية وقلت مظاهر الانانية الى ابعد حد ممكن و ازداد - التماسك الاجتماعي فيما بينهم الى ابعد حد ممكن ومتاح •

٣- الجو الفوضـــوى :

امتاز سلوك اعضاء هذه الجماعة بالفوضى في وضع الاهداف وبالتالـي في التنفيذ و العائد (المنتجات) فقد قل انتاجها عن المجموعتين السابقتين • وقد امتازت هذه الجماعة بارتفاع الروح المعنوية ، لكـــن لم يرتبط بهذا الارتفاع ارتفاع مماثل في الاداء •

خاتمـــــة :

من العرض السابق لموضوع سيكولوجية القيادة يتبين لنا اذن أن القيادة لا يمكن ان تتوقف على سمات الافراد (نظرية السمات) ولا يمكن ان تتوقـــف فقط على طبيعة المواقف (النظرية الموقفية) و انما المسألة تتوقف على عـــدد من المتغيرات يمكن ان نجملها فيما يلـــي :

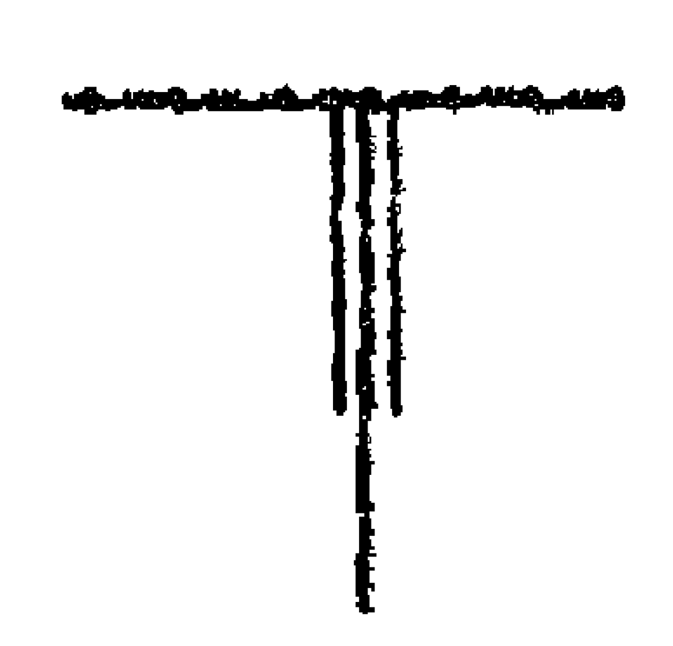
١- القائـــد : وخصائصـــه الشخصيـــة •

٢ـ الاتباع : وحاجاتهم واتجاهاتهم ومشكلاتهم •

٣ـ بناء الجماعة : وخصائص العلاقات القائمة بينهم •

٤ـ المواقف : والعوامل التى تحدد هذه المواقف وطبيعتها •

وان التفاعل الديناميكى التام بين هذه المتغيرات هو الذى يصنع القيادة •



مراجع الباب الثالث

أولا : المراجع العربية :

١ـ السيد محمد خيرى وآخرون : بحث قياس وتشخيص الروح المعنوية لدى العمال الصناعيين ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٢ـ احمد عزت راجح : علم النفس الصناعى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٣ـ احمد فؤاد فايق : دراسة تجريبية فى وظيفة ووظيفية جماعة صغيرة رسالة دكتوراه غير منشورة ، مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٤ـ براون ٠ أ ٠ : علم النفس الاجتماعى فى الصناعة ، ترجمة السيد محمد خيرى وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٥ـ سامى محمود على : دراسة فى الجماعات العلاجية ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٢ .

٦ـ سيد عبد العال : دراسة تجريبية فى العلاقة بين القيادة غير الرسمية ، واتجاهات العمال نحو تنظيم المصنع وادارته ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس القاهرة ، ١٩٧٢ .

٧ـ لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية الدار القومية للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٨ـ لويس كامل مليكة : سيكولوجية الجماعات والقيادة ديناميات الجماعة مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٩ـ نجيب اسكندر ابراهيم وآخرين : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ثانيا : المراجع الاجنبيــة :

9. B) Allen, P.J. : The Leadership patterns : Amer. Soc. Rev. 1952, I, Vol. 17, pp. 95-105.

10. Cartmright, D. And Zander, A. : Group dynamics: Research And Theory; Row Petrson and Co. N. Y. 1953.

11. Carroll, I.E.: Personality correlates of Sociometr Status. J. Appl. Psychol. Apr. 1959.

12. Festinger, L. : A theoryof cognitive Desonance. J. Abrorm. Soc. PSYCHOL., 1957 Vol. I., 68 pp 336 - 359.

13. Gibb, C. : The princples and Traits of Leadership: J. Abrorm. Soc. Psychol. 1947 Vo. 42, PP. 268 - 273.

14. Ghibelli, E.E. and Brown, C.W., : Pesonal and induslrial psychology. Mc. Crom-Hill Book Co. N. Y. 1955.

15. Good Acze, D. M. : The use of A sociometric Test As A predictor of combat unit-effectiveness. In : Mozeno, J. L. (ed) The Sociometry Reacler, Illinois, The Fzee prese, N.Y. 1960. pp. 548-652.

16. Jenkins, W.O.: A review of Leader ship studies With Parlicular reference TO. Military problems. Psychol. Bull. 1957, 44, Pp. 59 - 79 .

17. Jennings, H.H. : Sociometry and social Theory. Amer. Socio. Rev. Vol. VI. 1941 P;P. 516-526.

18. Jennings, H.H.: Leadeship and social Isolation: A study of Personality in interpersonal Relations. Longman. N.Y. 1943.

19. Jennings. H.H. Leadership and sociometric choice. In : Moreno J.L. (ed) The Sociometry Reaction Illinois The Free presss, 1960, P.P. 347-454.

20. Katze, L. : A Metrix Aprroach To. The Analysis of Sociometric Data, In : Moreno, J.L. (ed). The sociometry Reader, Illionis, The Free press, 1960 p.p. 229 - 235 .

21. Krech; D. And Crulsh field, R.C. : Theory And Problems of Social psychology. McGrow-Hill Book Co. N.Y. 1948.

22. Mozeno, J.L. : The Sociometry Reader Illinois, The Free Press, N.Y. ;1960.

23. Mozeno, J.L. : The social Atom: A Definition. In (21).

24. Mozeno, J.L. : Creativity-Spontariety-Cultural conserves. In (21).

25. Moreno, J.L. : Tele: Adefinition in (21).

26. Mozeno, J.L. : Formation of Sociometry sociometry Vol. IV. 1941.

27. Moris, R.T. and Seaman, M. : The pzoblem of Leadership: An introductory. Approach. A mer. J. Social. Vol. 56, L950.

28. Proctor, C.H. and Lomis, C.P. : Analysis of Socometric Data, IN: Jahoda, M. and et all (eds) Research Methods in Social Relations, M.Y. Dzyden, 1951.

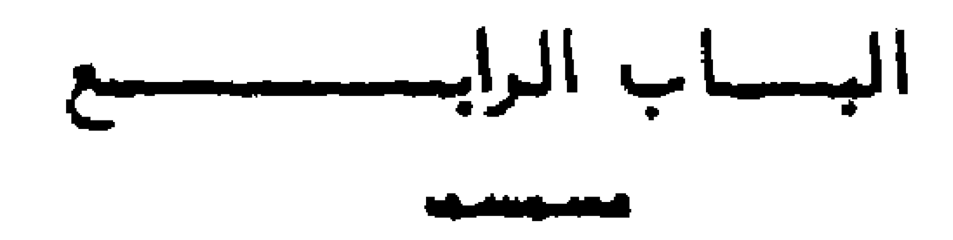
29. Shartle, C.L. : Leadership and excutive performa Personel, 1949. 25, P.P. 370 - 378 .

30. Sherif, M. : Groun influence upon. The formation of Norms and Attitudes, In : New comb, T.M. and $H_a$rtely, E.L. (eds) Reading insocial psychology N.Y. 1947.

31. Sherif, M. And Cantril, H.: The psychology of eog enrolrements. John Willey, 1947.

32. Stogdill, R.M. : Personal Factors Associated with Leadrship : Asurvay of The literature J. Psychol. 1948. Vol. 25, P.P. 35 - 71.

33. Wright and et al. : Introducing psychology: An Experiemental Appzoach. Penguin Books, Ltd. N. Y. 1970.



الباب الرابع

سيكولوجية الاتجاهات

الاتجاهـات Attitudes

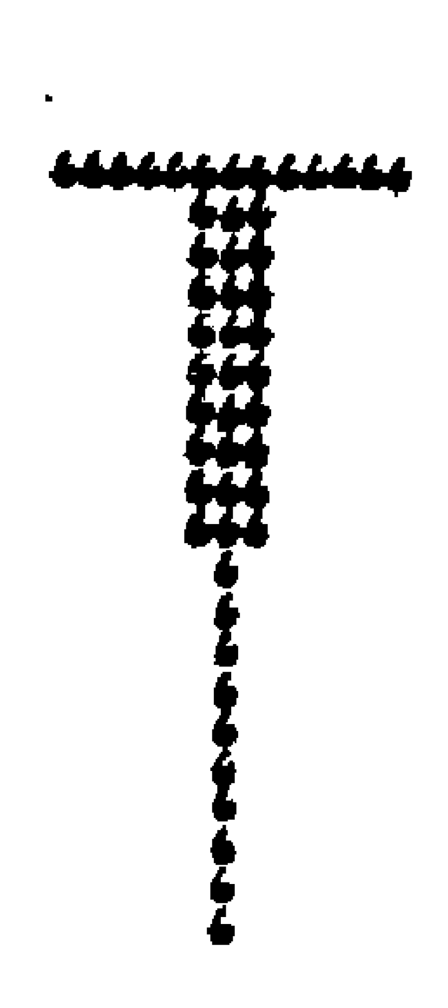
مقدمـــة :

كانت سيكولوجية الاتجاهات موضع اهتمام كبير فى الحرب العالميـــة الثانية و مابعدها . وقد استخدمت نتائج هذه الدراسات بذكاء شديــد جدا للتأثير على اتجاهات الرأى العام ــ و الروح المعنوية ــ للحلفـاء والألمان ، وقد اعدت دراسات كثيرة فى تحليل مضمون الاذاعات (ســواء اذاعات المحور الالمانى او الحلفاء) كان من نتيجتها التعرف على الاتجاهات السائدة فى كل تكتل ، وبالتالى امكن التأثير على هذه الاتجاهات بوسائل الدعاية و الشائعات التى تبادلها المحور و الحلفاء ، وقد لجأت اسرائيـل الى شىء من هذا ، خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، كما استخدمناه نحــن فى خلال حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

ولسوف نستعرض فى هذا الفصل كيف تكتسب الاتجاهات و ماهيـــة الاتجاهات ، وكيف تعدلها أو نغيرها و العمليات السيكولوجية المرتبطـــة بذلك . فنحن نسلك بتأثير اتجاهاتنا وقيمنا ، وقد يعن لنا احيانا أن نؤمن بأن افكارنا انما تقوم اساسا على تفكيرنا ــ أى بعملية عقلية على اساس منطقـى كما قد يتصور البعض . ولكننـــا عندما ندرس الاتجاهات دراســة علميـــة بشىء من التعمق الموضوعى ــ اذا امكن ذلك ــ لابد وأن نغير هــذا الرأى وان نتنازل عنه تماما . ذلك أن الانسان ليس عاقلا بالدرجة الـــتى يتصور نفسه عليها ، ولا هو نزيه وموضوعى بالدرجة التى يرغب ان يكون عليها . فالانسان قد يتمسك دوما بمجموعة من الآراء التى تعبر فى الواقع عـــن آراء ، واتجاهاتـــه هو ، ثم يستخدم الحجج و البراهين المنطقية (من وجهـــة

الفصـــل التاســـع

تحديـــد مفهوم الاتجاهـــات



نظره بطبيعة الحال) للدفاع عن هذه الآراء وقد يظل الفرد متمسكا برأيه حتى على الرغم من اننا قد ندحض كل نقطة من النقاط التى يثيرها دفاعا عن آرائه وقد تكون حججنا التى نسوقها لدحض رأيه ايضا حججا منطقية من وجهة نظرنا ، أى اننا نكون فيها متأثرين بافكارنا وآرائنا واتجاهاتنا ، وهكذا تنتفى الموضوعية التامة ازاء موضوع الاتجاهات . ويعنى هذا الحوار أن تغيير او تعديل اتجاهات الفرد من خلال اى اسلوب دعائى أو اعلامى أو ارشادى انما هو اسلوب خفيف عديم الأثر . فكل ما نفعله لاقناع الفرد بتغيير اتجاهاته لا يعد أن يكون محاولة لاستثارة اكبر قدر من حجج الفرد ومبرراته لتدعيم وجهة نظره ، أى لاثبات صحة اتجاهاته ، وهذا ما يجعلنا نرفض من حيث المبدأ صلاحية أى اسلوب ، مهما كان يتسم بالعلمية ، ينزع الى تغيير اتجاهات الفرد - أو الافراد - أو الجماعات بالاسلوب المنطقى وحده - عن طريق وسائل الاعلام المختلفة أو المحاضرات و الأفلام أو غيرها من الوسائل التى يزخر بها تراث علم النفس الاجتماعى النظرى أو التجريبى الشائع فى الثقافة الامريكية ، انها لاتعدو أن تكون ادعاءات امريكية الصنع لها اهدافها .

غير أن هذا الحوار الذى سقناه لا يعنى أن العقل و المنطق - لا يؤثران على الآراء و الاتجاهات ، وانما اردنا فقط أن نوضح الى أى حد يعتبر " الاتجاه " فى حد ذاته أهم من المنطق المجرد فى كثير من الاحيان فالاتجاه يؤثر فى بعض الآراء عند كل الناس وليس فى كل الآراء عند بعض الناس . ذلك لأن جميع الافراد كما يقول ماير " معقولون فى بعض الموضوعات و متحيزون فى كثير من الموضوعات (٢٨ : ٧٤ - ٧٧) .

ولقد أصبح معروفا في مجال علم النفس أن الاشخاص كثيرا ما يقومون بتبرير آرائهم ، لذا نجد أن الجدل أو الاقناع المنطقي (أى تقديم حقائق جديدة مخالفة للحقائق التي يؤمنون بها مهما كانت سخافة مايؤمنون به ، منطقية الحقائق الجديدة) لا يؤثر كثيرا على تغيير الاتجاهات .

نشأة مفهوم الاتجاه :

ظهر مفهوم الاتجاه ، أول ماظهر ، في الولايات المتحدة الامريكية ووصفه البورت بأنه اكبر مفهوم مميز وضروري في علم النفس الاجتماعي المعاصر (١٧ : ١٧٧) . كما كان توماس وزنانيكي اول من تناولوا مصطلح الاتجاه واستخدموه في دراستهم الشهيرة عن الفلاح البولندي التي نشرت عام ١٩١٨ (٣٨ : ٢٧) . ولقد قدم توماس وزنانيكي لأول مرة في مجال علم النفس الاجتماعي هذا المفهوم بصورة دعت لفيف من علماء النفس للاعتراف به وتقرير صلاحيته . وبعد هذا التاريخ أصبحت دراسة الاتجاهات أحد الموضوعات الرئيسية في علم النفس الاجتماعي التي لا يكاد يخلو منها أى كتاب في مجال هذا العلم . وقد ادى هذا بمظفر شريف (احد علماء النفس الاوائل) لان يطلق على علم النفس الاجتماعي تعريفه المشهور بانه الدراسة العلمية للاتجاهات (٣٦ : ٤٨٨) .

ويرجع البورت شيوع مصطلح الاتجاهات لعدة أسباب أهمها أنه مفهوم حديث نسبيا ولم يخضع منذ ظهوره لأى مدرسة من مدارس علم النفس (— الكلاسيكية أو المعاصرة) كما أنه من المرونة لدرجة أنه استخدم في دراسة الفرد والجماعة (١٣ : ١٨٠) .

ولقد استخدم هذا المصطلح (الاتجاهات) عند دراسة الفـــرد والجماعة فى بحوث كثيرة مما جعله موضع تلاقى اكاد يمى بين علماء النفـس وعلماء الاجتمـــاع •

غير أن هناك عددا من علماء الاجتماع يغالون فى تصورهم لمفهـــوم الاتجاه لدرجة انهم يقصرون ميدان علم النفس الاجتماعى على دراســـة الاتجاهات و هذا النوع من المغالاة مبالغ فيه • فهم يستندون فى ذلـــك الى أن جميع مظاهر الحياة النفسية بسيطة كانت أم معقدة خاصة أو عامــة — انما تخضع فى جوهرها للاتجاهات النفسية بوجه عام (٦ : ٢٤٤ : ٢٤٨) وبصفة عامة فان اغلب علماء النفس يؤكدون على اهمية الاتجاهات النفسـية فى توجيه السلوك و اهميتها القصوى فى بحوث علم النفس الاجتماعى المعاصر •

ومع ذلك فلا يجوز ان يفوتنا أنه مع التسليم بأن الاتجاه أحد المحددات الاساسية للسلوك ، فانه ليس المحدد الوحيد بحال من الاحوال •

معنى الاتجاه : تحديد المفهوم :

تنازعت مصطلح الاتجاه — منذ ظهوره — تحديدات عدة ، بعضهـا يدخل فى نطاق المفاهيم الغيبية ، كما هو الحال بالنسبة لتعريف البورت كما سنرى بالتفصيل خلال الفقرات التالية ، وبعضها يرى أن الاتجاه ميـل أو استعداد قبلى يحدد نمط الاستجابة و البعض الثالث يرى أن الاتجـاه استعداد أو ميـــل مكتسب ولكنه مع ذلـــك يحـدد نمــــط الاستجابـــة •

النوع الاول من التعريفـــات :

لعل خير مثال على النوع الاول من التعريفات ، تعريف البـــــــورت للاتجاه بأنه حالة من التهيوء العقلى العصبى تنتظم عن طريق الخبـــرة ، وتفرض تأثيرا د يناميا موجها على استجابات الفرد بجميع الموضوعات و المواقف المرتبطة (١٣ : ١٨١) • والواقع ان النقد الذى يمكن ان نوجهـــه الى هذا التعريف هو انه يحيطه هالة من الابهام و الغموض • فهو تعريـــف يفترض قوة غامضة يتعذر تحديدها اجرائيا ، ومن ثم لا تخضع للتجريـــــب أو الملاحظـــة ، ومع ذلك فهو يعتبرها المصدر و المحرك للسلوك •

ومن امثلة تعريف البورت عدد من التعريفات المشابهة فى المعـــــنى والصياغة او المشابهة فى المعنى و مختلفة الصياغة • مثال ذلك تعريـــف " ننلى " للاتجاه بانه استعداد قبلى و ميل طبيعى سابق على الاستجابة بالسلب أو الايجاب بدرجات متفاوتة الشدة ، ينمو موضوع معين أوطائفة معينة من الافراد (٣٠ : ١٠٣) • أن تعريف ننلى للاتجاه بأنه قـــوة أو استعداد طبيعى قبلى موثربشكل قاطع وفى جميع الاحوال • هو نفـــس المعنى تقريبا للقوة الغامضة عند البورت مع اختلاف طفيف فى الصياغة •

وهكذا ، مع تعذر الوصول الى تحديد اجرائى للتعريف ، أى الصورة التى تمكن الباحث من الضبط و القياس و الملاحظة و التجريب يصبح التعريف غير ذى موضوع من الناحيـــة العلميـــة •

النوع الثانى من التعريفـــات :

ويمثل النوع الثانى من التعريفات (هورنبى وجاتنبى) (٢٣ : ٥٥) ، حيث عرفا الاتجاه بانه " السلوك المستقر ، نسبيا ، للتعبير عن نمـــط

معين من التفكير) . أو كما يسميه دريفر بأنه حاله من الاستعداد القبلى لتقبل رأى معين أو موقف معين بناء على خبرة سابقة - أو كما تسميه ، انستازى " ميل ثابت للاستجابة بطريقة ملائمة بناء على منبه معين " (١٤ : ٥٤١) ويورد تيفين تعريفه للاتجاه بأنه " نوع من الحالة العقلية يمثل حالة من الاستعداد القبلى لتكوين آراء معينة (٢٩ : ٢٢٠) وهو بذلك يعنى ضمنا أن الاتجاه هو الاطار المرجعى للسلوك .

النوع الثالث من التعريفات :

ومن امثلة النوع الثالث من التعريفات ما أورده ترستون عن الاتجاه بأنه " تعميم للاستجابة تعميما ينحو بالفرد قريبا أو بعيدا عن شىء نفسى خاص وهو بذلك يؤكد ضمنا على انه نمط سلوكى مكتسب يوجه السلوك وكذلك تعريف بوجاردس بأنه " الميل الذى يدفع بالسلوك قريبا أو بعيدا من بعض عوامل البيئة ، ويضفى على هذه العوامل البيئية معايير موجبة أو سالبة تبعا لدرجة اقترابه منها أو نفوره عنها ، وهو ميل ثابت نسبيا وبوجاردس هنا يؤكد على دور البيئة فى اكتساب الفرد اتجاهات معينة وهنا نجد أن التعاريف المذكورة تزداد قربا من التعريف الاجرائى .

التعريف الاجرائى للاتجاه :

ومع هذا التفاوت الكبير ، والاختلافات الواضحة بين علماء النفس فى تحديد معنى الاتجاه ، الا ان هذه الاختلافات قد أدت الى اثراء المعنى وتوضيح المفهوم ،فيما يعرف بالتعريفات الاجرائية التى قدمها لفيف من علماء النفس القدامى والمحدثين . وتكمن اهمية التعريف الاجرائى ، فى

انه نقل المفهوم من حيز الغموض و الابهام الى حيث الوضوح و امكانية الملاحظة و القياس • أى الى حيث الواقع الملموس للمعنى و الذى يمكن ان يستدل عليه من آثاره وبالتالى امكانية قياسه و التحكم في مظاهره ••

وعلى حين ان بوجاردس يرى ان الاتجاه ميل للسلوك ضد أو مع بعض العوامل البيئية التى تصبح بعد ذلك قيما سلبية أو ايجابية راسخة (١٦ : ٥٣) يرى " جرين " أن الاتجاه " مفهوم يخلعه الانسان على شئ ليصف به ترابط الاستجابات المتعددة لفرد واحد ازاء موضوع ما أو مشكلة ما أو افراد معينين " (٢٠ : ٣٣٦) وكان جرين يتصور انه عندما تعرض مجموعة من الاسئلة فى شكل مقياس (القياس الاتجاهات نحو قضية أو موضوع) ليجيب عنها شخص ما ، فانه طبقا لهذا التصور يغلب على استجاباته الانسجام و الاتساق سواء كان ذلك لصالح الموضوع أو ضده (١١ : ٢٩٥) ولهذا جاء التعريف الاجرائى الذى اورده جرين متفقا مع طبيعة العملية التى تحدث فى موقف الاختبار ، أى أن التعريف الاجرائى هنا كان منصبا على مظاهر السلوك وليس على السلوك ذاته •

وعلى الرغم من تعدد التعريفات الاجرائية فان بعضها قد جاء منافيا لمعنى التعريف الاجرائى اذ يعوزه مزيد من الوضوح ، كما هو الحال بالنسبة لتعريف انستازى الذى اوردته اول مرة عام ١٩٦١ بأنه " ميل ثابت للاستجابة بطريقة معينة (١٤ : ٥٤١) أو تعريف نيوكمب بأنه " ميل ثابت نوعا ما للاستجابة بطريقة ملائمة لتنبيهات معينة (١٢ : ٩٢٤) •

وعلى هذا فان مفهوم الاتجاه بهذا المعنى يقيم علاقة شبه ثابتة بين الفرد من ناحية و مظاهر البيئة المحيطة من الناحية الاخرى ، سواء كانت هذه العلاقة موجبة أم سالبة - اى قبول او رفض .

وقد قدم كامبل تعريفا آخرا للاتجاه مؤداه أن " الاتجاه الاجتماعي انما هو الترابط الثابت - نسبيا - لاستجابات الفرد بالنسبة للمشكلات الاجتماعية .

والواقع أن تعريف كامبل وان كان يعد ضمن التعريفات الاجرائية الا أنه ينقصه التحديد . ذلك انه قد اهمل العامل المحدد لهذا الترابط وهو فى تصورنا القيم (Values) ، فبدون نسق القيم تصبح الاتجاهات مجرد آراء وليست اتجاهات . و هذا ما ادركه توماس وزنانيكى منذ البداية حيث عرفا الاتجاهات بأنها " الموقف السيكولوجى للفرد تجاه احدى القيم او المعايير الاجتماعية (٣٨ : ٢٧) . وهما يفسران ذلك بقولهما أن موقف الشخص السوى من السرقة فى مجتمع يحرم السرقة ويعاقب عليها السارق انما هو اتجاه سيكولوجى تحدده المعايير الاجتماعية و القيم الاجتماعية السائدة فى ذلك المجتمع .

وجهة نظر :

وموقفنا من هذه القضية هو أن المسألة فيها كثير من التداخل ، أوبمعنى آخر التأثير المتبادل . اذ أن القيمة (أى قيمة اجتماعية) انما جاءت نتيجة لتراكم كمى من الاتجاهات طبقا للتصور الذى يقدمه اوبنهيم (٣١ : ١١٠) ، ويرى فيه أن مجموعة الآراء المتكونة عبر تاريخ الفرد على مر الزمن نحو قضية أو موضوع ما انما تكون اتجاها ، وهذا الاتجاه يثبت بعد مدة معينة من الزمن ،

وتترابط الاتجاهات المتقاربة لتكون فى النهاية قيمة من القيم و من مجموع هذه القيم تتكون شخصية الفرد .

ورغم ان التعريف الاجرائى هو من اكثر التعريفات قربا للواقع الملموس غير انه (كما رأينا) ليس هناك اتفاق عليه بين المشتغلين بعلم النفس الاجتماعى . و المفروض فى التعريف الاجرائى انه يشرح فى سهولة ويسر معنى العمليات المتضمنة فى المفهوم فى شكل سلوك يمكن ان يقاس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (كأن يستدل عليه من مظاهر معينة يمكن قياسها) . ولقد حاول نجيب اسكندر وزملائه (١١ : ٢٩٧) وضع تعريف اجرائى يقترب من واقع اللفظ ويحدد العمليات المتضمنة فيه ، وقدموا فعلا تعريف اجرائى للاتجاه مؤداه أن الاتجاه بناء أو تكوين فرضى أو مفهوم يستدل على معناه من ترابط السلوك الظاهرى للفرد ازاء موقف الاستفتاء (١١ : ٢٩٧) وفى الواقع نجد ان هذا التعريف قد اقترب على نحو ما من تعريف جرين الذى سبق ان ناقشناه ضمن التعريفات الاجرائية ونقدنا بعض مكوناته ، غير ان نجيب اسكندر وزملائه قد عدلوا من موقفهم ازاء هذا التعريف فى دراستهم الشهيرة الرائدة " كيف نربى اطفالنا " التنشئة الاجتماعية للطفل فى الاسرة المصرية " ليصبح تعريفهم للاتجاه هو " مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذى صبغة اجتماعية وذلك من حيث تأييد الفرد أو معارضته لهذا الموضوع (١٠ : ٤٧) .

والواقع أن جميع التعريفات السابقة سواء منها ماهو غيبى ، أو يدخل ضمن اطار المفاهيم الغيبية كما سبق أن أوضحنا ، أو منها مايدخل ضمن اطار مايطلق عليه بالتعريفات الاجرائية ، قد اهمل جانب هام من تعريف

الاتجاهات ، وهو جانب الخبرة والتعلم ، فالاتجاهات ليست ميل ثابت وفطرى و ... الى آخر ماقيل ، انما هى متعلمة فى اطار حضارى ، ومن خلال معطيات الثقافة التى يعيش فيها الفرد . ولهذا فقد توصلنا فى دراستنا الى صوغ التعريف الاجرائى التالى :-

(الاتجاهات) : هى موقف الشخص الراهن ازاء القضايا التى تهمه — بناء على خبرات مكتسبة عن طريق التعلم من مواقف الحياة المختلفة فى بيئته التى يعيش فيها وهذه المواقف تأخذ شكل الموافقة أو الرفض ويظهر ذلك من خلال السلوك اللفظى أو العملى " .

وبذلك يخرج مفهوم الاتجاه ، فى تصورنا المحدود ، من حيز اعتباره كيان مستقل بذاته بسبب ترابط السلوك الى حيز المفهوم المعيارى الذى يستدل على معناه من ملاحظة السلوك — لفظى كان أو عملى — فى المواقف التى يتعين على الفرد أن يبدى رأيه فيها .

الفصل العاشر

العوامل المحددة للاتجاهات

×××××××××××

العوامل المؤثرة فى خلق وتكوين الاتجاهات :

لكى نفهم الاتجاهات ، والعوامل المؤثرة فى تكوينها ينبغيى أن نتعرض بادئ ذى بدء للعلاقة بين الاتجاهات وبعض المحددات الاخرى التى تدخل فى تكوينها أو التأثير عليها فيما يلى :-

أولا : العلاقة بين الاتجاهات و الانفعالات :

ترتبط الاتجاهات عادة بما يحبه الفرد ويرضاه أو العكس بما يكرهه ويأنف منه . ومن هنا فانه يمكن ان نقول ان الاتجاهات تحتوى على بعد انفعالى . لذلك فان اى ظروف يمكن ان تؤثر فى الانفعالات تؤثر بالضرورة على الاتجاهات . وبما أن حالاتنا المزاجية ماهى الا استعدادات [illegible] للانفعال بشكل معين ، فاننا نتوقع ان تؤثر أمزجتنا فى اتجاهاتنا . مثال ذلك : رئيس الوردية (المشرف) الذى يتهيج ويثور فى لحظة ما فيعاقب عامل على ارتكابه خطأ بسيط ، سبق أن ارتكبه فى موقف سابق ولم يعاقبه لأنه كان فى حالة مزاجية هادئة ، أو الأم التى تعاقب ابنها على كسره كوبا رخيص الثمن فى ثورة انفعالها من أسباب و مواقف اخرى ، ثم لا تعاقبه على كسره كوبا ثمين فى موقف آخر تكون حالتها الانفعالية حسنة للغاية . ومثال آخر يوضح هذا المعنى ، المشرف الذى يشعر أن بعض العمال ينتمون لحزب معين او جماعة معينة أو فريق كرضعين يتنافى مع ما يحبه هوويفضله فانه ستتكون لديه حالة مزاجية تؤثر فى اتجاهاته نحو هؤلاء العمال وبالتالى فى معاملته لهم (٢٧ : ٧٣) .

ولهذا فان اى برنامج دعائى ناجح يجب ان يأخذ فى الاعتبار الحالة المزاجية للجمهور الموجه له البرنامج ، حتى يكون له تأثير كبير على اتجاهات هذا الجمهور .

وتتضح اهمية الانفعال فى تقرير الرأى وتحديد ــ مبدئى ــ للاتجاه بأسلوب تجريبى ، فى تلك الدراسة التى قدمها لوند حيث تبين منها أن الاشخاص لديهم ميل كبير للثقة و الايمان بالبيانات التى تتمشى مع رغباتهم وليس بالبيانات الصادقة و المنطقية (بصورة موضوعية) (٢٧ : ١٧٤ ـ ١٩٦) .

فكلما كانت رغباتنا الاصلية ذات اتجاه معين صدقنا البيانات المتمشية معها . و هذا يفسر اختلاف وجهات النظر حول خبر ما أو قضية مثارة فى الصحف او الاذاعة ، فكل شخص يفهم الخبر بطريقة تتفق مع اتجاهاته .ولنفرض ان قضية اثيرت على صفحات الجرائد كقضية ضرورة رجوع المرأة الى حظيرة ــ المنزل وترك العمل للرجال ، فان كل منا ينفعل بهذا الخبر انفعال معين وننقسم بين مؤيد و معارض مع وجود درجات فى الاختلاف بين الموافقة والمحايدة والمعارضة ،وكل منا يبحث عن سلسلة من المبررات المنطقية (من وجهة نظره طبعا) للدفاع عن رأيه فى هذه القضية . ولعل هذا المثال يبين كيف أن ــ المعانى تعتمد على الاتجاه أو بمعنى آخر (الاطار المرجعى) وهو أيضا مبنى على الاتجاه ، وكيف أن المعانى تتغير بتغير الاطار المرجعى . كأن يكون لشخص اتجاه معادى (أو ضده) عمل المرأة ونزولها الى معترك الحياة ، فيدافع عن هذا الرأى فى كل مكان ، ثم يحدث وأن يتغير اطاره المرجعى هذا ، نتيجة لظروف الحياة الصعبة التى تدفعه الى الزواج من امرأة عاملة ، فينبرى للدفاع عن المرأة ويؤيده ، ثم يتغير أطاره المرجعى مرة ثالثة عندما تتاح له ظروف الحياة الميسرة التى تجعله فى غنى عن مساعدة الزوجة فيعود الى اطاره المرجعى الاول ، وهكذا ..

ووفقا لهذا التصور يتضح لنا أن الآراء التي يقولها خصومنا عنا تبدو لنا — ومن وجهة نظرنا بطبيعة الحال — لا يمنطق يحكمها ، داخل قوة من الآراء التي نقولها نحن ، اذن ليس هناك منطق واحد موضوعي يحتكم اليه جميع الناس ويقتنعون جميعا بحكمه • ان منطق المشاعر الذاتية منطق يحترم الاتجاه ويدافع عنه • وما دام السلوك يتضمن بالضرورة اتجاه — أو اتجاهات — فان هذا المنطق الذي تحدثنا عنه (منطق المشاعر) يجب ان يحترم لذاته اذا اردنا أن نبحث عن تأويل أو تفسير السلوك الظاهر • وعلى هذا فبدلا من أن ننظر الى الاتجاهات على انها تنتهك المنطق الخالص يمكن ان ننظر اليها على على أنها تستخدم نوعا آخر من المنطق هو منطق المشاعر ، على حد تعبير ستاجنر (٣٧ : ١٧٥) •

ثانيا : التفسير السيكولوجي للاتجاهات :

الاتجاهات ، فيما يبدو للباحث المتعمق ، دوافع عامة مكتسبة من البيئة التي يعيش فيها الفرد بعملية تعلم تبدأ متأثرة بعملية التنشئة الاجتماعية في اطار الاسرة ، وتمر بالخبرات الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد في اطار جماعاته الثانوية التي ينتمي لها وطبقا للادوار الاجتماعية التي يلعبها في هذه الجماعات • هي اذن ادراكية في نشأتها على حد تعبير كريتشي وكريتشفيلد (٢٦ : ١٧٤) ، كما انها سلوك هادف لغرض يسعى اليه الفرد ، وبذلك فانه — أي الفرد — يحدد لها طبيعتها الادراكية ومن هنا تحتوي الاتجاهات على بعد ادراكي •

ومن ناحية أخرى نجد أن الاتجاهات وسط دينامي يقع بين العمليات النفسية الاساسية والفعل ذاته • فالعمليات النفسية تحدد الاتجاهات

ثم تتدخل الاتجاهات في تحديد السلوك • أو المعنى الذى صاغه كل من كريتشى و كريتشفيلد تهدف الاتجاهات الى تنظيم الدوافع والانفعالات (العمليات السيكولوجية) ومختلف العمليات السيكولوجية الاخرى (٢٦ : ١٧٤) •

ثالثا : التفسير التكوينى و الوظيفى للاتجاهات :

كيف تتكون اذن الاتجاهات ؟ وكيف تعمل أو ماهى وظيفتها ؟ لعل الاستقراء لما ناقشناه في الفقرات السابقة — يجعلنا نصل الى الاستنتاجات التالية فيما يتعلق بوظيفة الاتجاهات :

١ــ تحدث حالة من الاتزان النفسى و التكيف مع الحياة الواقعية •

٢ــ تحدث حالة من التكيف الاجتماعى للفرد (وذلك بقبوله أو رفضه لاتجاهات الجماعة بالقدر الذى يساير حاجاته الاجتماعية) •

٣ــ الدفاع عن الأنا (Ego) ضد الاخطار الخارجية ، باعتبار أن الأنا (وهى الجزء الهام من الشخصية) ماهى الا تنظيم نفسى لمجموعة من الاتجاهات ، على حد تعبير شريف وكانتريل (٣٥ : ١٧) •

وتسير العوامل الثلاث السابقة في حركة دينامية متسقة معا وفى آن واحد فالفرد حين يتعرض لموقف جديد أو لرأى جديد أو لقضية مثارة تخالف مايتوقعه في ضوء اتجاهاته وقيمة ، تنتابه حالة من عدم الاتزان ويختل تكيفه مع الواقع أو الوقائع الخارجية من ناحية و تكيفه الاجتماعى من الناحية الثانية ، ويشعر الأنا (الذات) بالتهديد الخارجى ، وهنا يلجأ الفرد الى اتجاهاته الاصلية يستخدمها فى الدفاع عن ذاته ، ليحتمى بها وليحميها في الوقت نفسه من الانهيار درءا لانهياره هو • انها اذن قضية حوارية (ديالكتيك) •

ليس هذا كل مايمكن أن يقال فى تفسير الاتجاهات تكوينيا ووظيفيا بل هناك خصائص أو وظائف اخرى للاتجاهات نذكرها فيما يلى :•

١ـ الاتجاهات كمحدد للمعانى :

من الطبيعى أن تختلف الآراء فى أى حقيقة أو بالنسبة ـ لأى مجموعة من الحقائق ، ذلك لأن اتجاه كل فرد منا يوثرفى الطريقة التى يتبعها كل منا ليختبر صحة أو خطأ هذه الحقائق (٤ : ٢٥٣) كما أن تحيزنا فى شتى صوره انما يمثل فى واقع الامر الصورة الثالثة للاتجاهات كمحدد لمعانى الاشياء فنحن نتحيز لشىء ما (لشخص ما ، لفكرة ما ، لقضية ما) ثم نقوم بتبرير هذا التحيز بالاسلوب الذى سميناه منطق التبرير ، و هذا التبرير يقوم بمثابة الدرع الواقى للاتجاه ، يدافع عنه ويحميه من التغير ، ومعنى هذا أنه ليست هناك حقائق موضوعية خالصة وانما اذا بحثنا عن الموضوعية ينبغى أن نقول موضوعية ماذا ، وموضوعية لمن ، ذلك أن كل منا يخلق عالمه وما به من أشياء و موضوعات ويعيش فيه ويدافع عنه دفاعه عن ذاته ووجوده • صحيح قد يتفق بعضها فى اتجاه ما ولكننا لا نتفق جميعا حول جميع الاتجاهات أو حول اتجاه واحد الا اذا كان هذا الاتجاه يمس خصائصنا القومية (المحلية) التى تنبع من ثقافتنا والتى تخص العادات والتقاليد ، ولو أن هذه ايضا لا نتفق عليها جميعا بنسب واحد من الاتفاق •

وفيما يتعلق بهذا المعنى (الاتجاهات كمحدد للمعانى) نجد أمثلة كثيرة نعيشها فى حياتنا اليومية • فالمتحيز للفكر الغربى يرى من الاشياء والمواقف رأيا مخالفا لمن تحيز للفكرالشرقى ، و اذا احببنا شخصا ما يغلب

علينا أن نرى فى سلوكه و تصرفه ما يوءكد فكرتنا الحسنة عنه ، واذا تكـون لدينا اتجاه سيء (معادى) نحو شخص ما لا نكاد نرى فى سلوكـــه وتصرفاته الا ما يوءكد فكرتنا هذه عنه . وهنا يصدق قول الشاعر الذى يقــول :

عين الرضا عن كل ذنب كليلــة ❊ ولكن عين السخط تبدى المساوءا

(حبيبك يبلع لك الزلط .. وعدوك يتمنى لك الغلـــط) ..

وهذه ظاهرة يطلق عليها عادة عملية الانتقاء الادراكــى .

٢- الاتجاهات كمعانى متناقضـــة :

ان التراخى عن العمل ، يراه العامل على انه راحة له ، بينمـا يراه رئيس العمل أو صاحب العمل على انه تكاسل و اهمال . و كثــرة النوم يراها شخص على أنها راحة و مفيدة للجسم بينما يراها شـــخص آخر على انها ضارة جدا . و الأب المتشدد فى تربية أولاده يـــرى سلوكه تجاههم على أنه عين الصواب بينما يراه الابناء على انـــــه تخلف ورجعية ، والرأسمالى يرى فى استغلال العمال شىء طبيعى وعادى بل انه يرى انه محسن على الفقـراء بينما يرى نفس السـلوك شخص اشتراكى على انه استغلال بشع من الانسان لاخيه الانســان وصاحب الملك (العمارة) يرى فيما يتطلبه من مقدم ايجار و خلـــو رجل على انه تفضل منه على المستأجر ، بينما يراه المستأجر علـــى انه استغلال بشع . ومن يتعاطون المسكرات (الخمور) يرون فــى قرار رفع اسعار الخمور ظلم و تعنت بينما يرى نفس القرار من لا يتعاطـون

الخمر على انه منتهى العدل و المعقوليـــة ، على حين يراه الاشخـاص المتدينون رأيا مخالفا لهذا وذاك •

٣ــ الاتجاهات تنتقى الحقائق و تنظمهـــا :

اذن ، من المعنى السابق (فى الفقرة السابقة مباشـرة) يمكن أن نتبين كيف أن تفسير الحقائق انما يعتمد على شئ آخر بالاضافـــة الى الحقائق ذاتها • تقوم الاتجاهات بهذا الدور ، تنتقـــى الحقائق وتنظمها و تربط بينها • فالكلمات و الافكار و المشاعر تستقى معانيها من السياق العام الذى ينتظمها • فكلمة دقيق عندما تقـترن مع كلمات (لبن ــ سكر) يختلف معناها عن المعنى الذى يـــرد فى اذهاننا اذا اقترن مع كلمات (ملح ــ ماء) فالدقيق مـــــع اللبن والسكر يستثير معنى الكعكة (التورتة) و مع الملح و المـــاء يستثير معنى الخبز وما ينطبق على هذا المثال ، ينطبق فى الواقـــع على مواقف كثيرة فى حياتنا اليوميـــة •

اذن فبالاضافة الى أن الاتجاهات تنظم الحقائق فانها أيضـــــا تعمل على انتقائها • فمن المعلومات الموضوعية عن جميع ما يهمنا فـــى المجتمع ، نجد أن شخصا ما ينتقى منها مجموعة من الحقائق المؤيدة لوجهة نظره ، أى المؤيدة أو المتماشية مع اتجاهاته الاصلية ،ويتجاهل تماما ــ وبشكل لا شعورى ــ بقية الحقائق الاخرى التى لا تتماشـــــى مع وجهات نظره ، أى المخالفة لاتجاهاته الاصلية • فالاتجاهات أشـبه بالمصفاة التى تسمح لبعض الحقائق أن تمر من خلالها ، بينما لا تسمـــح للبعض الاخر أن يمر • دورها اذن انتقاء الحقائق وتنظيمها فى كل متســق متماشى مع اتجاهاته •

وفي هـــذا الفصل ، نخرج بعدة مسلمات اساسية أولهــــا ، بل اهمها أن الاتجاهات مكتســـبة من البيئة ، ومعنى هذا انهـــا قابلـــة للتعديل و التغيير ، في ظـــل شروط معينة سنعرض لهـــا عندما نتناول ذلك في فصل تال . كذلك فان للاتجاهات - كمسلمة اخرى - وظائف متعددة عرضنا لبعضها في الفقرات السابقة ، كلهـــا تشـــير - أو تعكس - أن الاتجاهات تنظـيم معرفي و ادراكـــي وانفعالـــي .

الفصل الحادى عشر



تكوين الاتجاهات

مقدمـــة :

يرى بعض علماء النفس أن الاتجاهات تبدأ عادة على شكل نزعات جزئيـــة مبعثرة ، لا تلبث أن تتألف وتترابط وتتماسك فى شكل اتجاهات واضحـــــة ومحددة . والأساس فى هذا ان الانسان يتبنى بعض الاراء التى تكون معتقدا ويتكون الاتجاه من ترابط عدد من المعتقدات المتشابهه .

فالاتجاهات تتكون لدينا عن تكرار اتصالنا بموضوعات هذه الاتجاهات : أعنى ان الفرد يتصل مرارا وتكرارا بموضوع الاتجاه فى مواقف تثير فى نفســـــه خبرات سارة ولذيذه (مبهجة) أو نافره ومؤلمه (غير مبهجة) . فالشــخص ذى الاتجاه المحب لوطنه ذى الولاء له ، تتكون عاطفته نحو هذا الوطـــن من تكرار ارتباطه بمواقف ترضى عنده دوافع كثيرة تشعره ان الوطن يحميـــه ، ويحافظ على كرامته ويشبع له حاجاته ويمنحه الاطمئنان والامان والشخص الــذى يجد غير مرتبط بوطنه ذى الاتجاه المعاكس لذلك ، المغترب عن وطنه رغـــم أنه يعيش فيه السلبى لكل مايدور حوله ، تكون لديه هذا الاتجاه من احساسه بأن وطنه غير مشبع لحاجاته فلا يمنحه الحب والاطمئنان والامان . أن الترابط بين ادراك الفرد لموضوع ما ، بالاضافه الى الاثر الناتج عن هذا الموضـــوع سواء كان هذا الناتج هو الرضى او السخط ، وماقد يتطلبه هذا وذاك مـــن استجابه ما ، فأن هذا الترابط يشكل اتجاها نتيجه تكرار الموقف واستشاره نفس الابعاد الادراكيه والوجدانية والنزوعيـــة .

كذلك تتكون بعض الاتجاهات على أثر صدمة عاطفيه ، فالشخص الـذى يمر بخبرة مؤلمه فى حبه لفتاة ما او سيدة ما قد يتكون لديه اتجاه معـــادى لجميع النساء فلايثق بعد ذلك فى أى منهن . وتلعب القابلية للايحـــاء دورا كبيرا فى تكوين الاتجاهات ، خاصـــة اذا كانت متعلقـــة

بجماعة ما او مذهب معين او اقليــة عنصرية معينة كما هو الحال بالنسبـــة للسود فى امريكا . ويقصد بالقابلية للايحاء (امتصاص الفرد وتقبله لـــلاراء والافكار دون مناقشة او تمحيص ، خاصة اذا كانت هذه الافكار والاراء صـادرة من شخصية كبيرة أو كان يعتنقها عدد كبير من الناس أو كانت تتجاوب مع مايميل اليه الفرد) . مثال ذلك الموظف الصغير الذى يسعد باهتمام رئيســـه أو المدير العام له ، فيسعى للتشبه به أو قبول افكاره أو ما يفضله فاذا كـــان المدير مشجعا للنادى الاهلى اتخذ نفس النادى شعارا له ، واذا كـــان هذا المدير محافظا على مواعيده تشبه به ، وهنا تتكون لدى هذا الموظـــف الصغير اتجاهات جديدة لمجرد أن الايحاء الذاتى لعب دوره فى هذه .. المواقف . فالاتجاهات اذن تتكون من خلال سلسلة متصلة من الخبرات فـــى المواقف المتكرره ، بطريقة غير شعورية . فالشخص تتكون لديه اتجاهـــا ت معينه ولكنه يصعب عليه أن يحدد الطريقة التى جعلته يكتسب هذه الاتجاهات (٣٩ : ٣٢٠ — ٣٢١) والواقع أن الفرد قد لايعلم مسبقا (أو شعوريا) باتجاهاته الساسية . كما أنه لايعلم مااذا كانت اتجاهاته تقوم على اســـاس منطقى او على اساس معلومات واقعيه او حتى على نوع من الاساس العاطفـــى الانفعالى (غير المنطقى) القوى . لكنه من المؤكد انه سواء قامت اتجاهاته على اساس منطقى او على اساس من المعلومات الواقعيه أو على الاســـــاس الانفعالى العاطفى فانها تؤثر فى تفكيره ووجدانه سلوكه ونزوعة .

وينبغى ان نشير هنا الى أن الاتجاه حول موضوع ما يتحدد بالتأييـــد او الرفض له . وانه كى يتحدد على هذا النحو لابد أن يكون الموضوع المثار ذا طبيعة جدلية ، اى يحتمل القبول او الرفض ، كما يتمثل ذلك فـــى القضايا الاجتماعية والدينية والسياسيـــة .

العوامل المؤثرة على تكوين الاتجاه

اذن نخرج من المناقشة السابقة بأن الاتجاهات مكتسبة من البيئة الاجتماعية التى يعيشها الفرد ، من نطاق الاسرة التى ينتمى لها الفرد متأثرا بعملية التنشئة الاجتماعية ثم بالاتصال Communication او التواصل عن طريق الاحتكاك بجماعات الفرد الثانوية التى ينتمى اليها سواء كانت جماعات الرفاق أو الاصدقاء فى النادى أو الجماعة السياسية أو العلمية او المهنية التى ينتمى لها .

ويمكن ان نتصور ان هناك ثلاثة مستويات متداخلة تعمل فى التأثير على الفرد وتساعد على اكتسابه الاتجاهات المختلفة ، حددها عماد اسماعيل ونجيب اسكندر ورشدى فام فى دراستهما الشهيرة " كيف نربى اطفالنا " (١٠ : ٦٦ـ٧٠) هى على النحو التالى :

المستوى الاول : المستوى الثقافى العام :

وفى هذا المستوى نجد أن العادات والتقاليد والقيم والمبادىء وانماط السلوك السائدة فى الثقافة بوجه عام خلال فترة من فترات تطوره تعمل على طبع معظم ابناء المجتمع بهذا الطابع ، ويعطينا هذا المستوى الابعاد القومية ، أو بمعنى أدق يحدد الطابع القومى للشخصية .

ومثال ذلك : اننا فى العشرينات من هذا القرن مر علينا اتجاه اكتسبنا نحو تعاطى نوع من المخدر اسمه الكوكاكيين ... واكتسب

هذا الاتجاه قيمة كبرى لدى كثير من المواطنين على جميع المستويات الثقافية داخل مجتمعنا للدرجة التى كان يعد الناس لذلك ملاعق من الذهب والفضة لوضع مسحوق الكوكايين فى الانف والتفاخر بذلك فى المناسبات والمواقف الاجتماعية المختلفة ، كما انطبع هذا فى الاغانى الشعبية فى هذه الفترة ومنها اغانى لسيد درويش .

المستوى الثانى : مستوى الجماعات الاولية والثانوية والثقافات الفرعية :

فالافراد داخل الثقافة الواحدة ، أى فى المجتمع الواحد ، برغم تعرضهم لقيم وعادات وتقاليد واحدة تسود المجتمع كله ، يتعرضون فى الوقت ذاته وبدرجة اكبر للعادات والتقاليد والقيم التى تسود بعض الفئات بدرجة اكبر من غيرها ، ومن الجماعات الاولية (جماعة الاسرة) يكتسب الافراد اهم العادات والتقاليد والمبادئ السلوكية والقيم . ثم بعد ذلك من جماعات الرفاق والاقران والزملاء .. الخ الجماعات التى ينضم لها الفرد عبر حياته .

المستوى الثالث : مستوى الخبرات الشخصية الخاصة (المتمايزة) :

وفى هذا المستوى نجد أن الخبرة التى يتعرض لها افراد الاسرة الواحدة داخل الثقافة الواحدة لايمكن ان تكون واحدة ، ذلك لان كل فرد له جماعاته الخاصة (الثانوية) التى ينتمى لها والتى يتأثر بها . وهذا يفسر اختلاف الاخوة الاشقاء داخل الاسرة الواحدة ، فيما يكتسبونه من خصائص سلوكية تميز كل منهم عن الاخر . لكن مع هذا هناك قدر من الاتفاق فيما بينهم على خصائص واحدة ذلك لانهم يتعرضون لنظام تربيه واحد وعملية تنشئة اجتماعية قام بها الوالدان وعلى هذا نجد ان التشابه بين الاخوة ينبع من المؤثرات المتشابهة التى يتعرضون لها والاختلاف ينجم من المؤثرات المختلفة التى

يتعرض لها كل منهم . وهذا التشابه والاختلاف ينطبع على خصائص كثيرة تميزهم كالعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم .

وبهذا التصور العام للمستويات الثلاثة التى تؤثر فى تكوين الاتجاهات يمكن تفسيرها على أساس بعدين هامين هما :

١) تشابة بعض الاتجاهات بين ابناء امه واحدة أو افراد جماعة فرعية واحدة أوابناء اسرة واحده ، أو جماعة عمل واحده .

٢) اختلاف بعض الاتجاهات بين ابناء امة واحدة أو افراد جماعة فرعية واحده ، او ابناء اسرة واحده ، او جماعة عمل واحدة .

ومثل هذا التصور يساعد كثيرا فى فهم وتتبع عوامل واسباب الاتفاق او الاختلاف بين اتجاهات أفراد الجماعة الواحدة سواء كانت أو اولية او ثانوية أو كانت جماعة كبيرة تمثل امه أو شعبا من الشعوب (١٠ : ٦٦ــ٦٨)

والواقع أن هذا التصور الذى وصل اليه عماد اسماعيل ونجيب اسكندر ورشدى فام ، رغم انه تقسيم تجريدى فى طابعه الا أنه يستهدف مساعده الدارس لموضوع الاتجاهات على وضوح الرؤيه ومتابعة البحث والدراسة ، على الرغم أن هناك حقيقة هامة هى أن هذه المستويات تتداخل فى الواقع — الاجتماعى الذى نعيشة تؤثر فيه وتتأثر به .

وهذا التصور يفسر لنا لما نجد داخل الاسرة الواحدة من اتفاق فى بعض الاتجاهات واختلاف فى بعضها الاخر بين الاخوة الاشقاء من ناحية وبين الابناء والاباء او الامهات من الناحية الثانيه ، وقد اثبتت هذه النتيجه بحوث كثيرة تذخر بها كتب علم النفس الاجتماعى وتراثه التجريبى .

ومن هذه النتائج نجد أيضا ان هناك اتفاق بين اتجاهات الطلاب والمدرسين كنتيجة لتأثر الطلاب بمدرسيهم . لكن هذا يحدث فى ظل شروط كثيرة اهمها التوحد الذى يتم بين التلاميذ ومدرسيهم وحبهم لهم واقتناعهم بهم واعتبارهم مثلا اعلى يحتذى فى كل شىء .

الاتجاه والرأى

يرى بعض علماء النفس ان هناك اختلافا بين الرأى والاتجاه (٢١ : ١٩) بمعنى أن الرأى قد يوجد حين تعجز الاتجاهات عن الظهور او حين يعجز الفرد عن التعبير المباشر عن اتجاهه فيبدى رأيا .

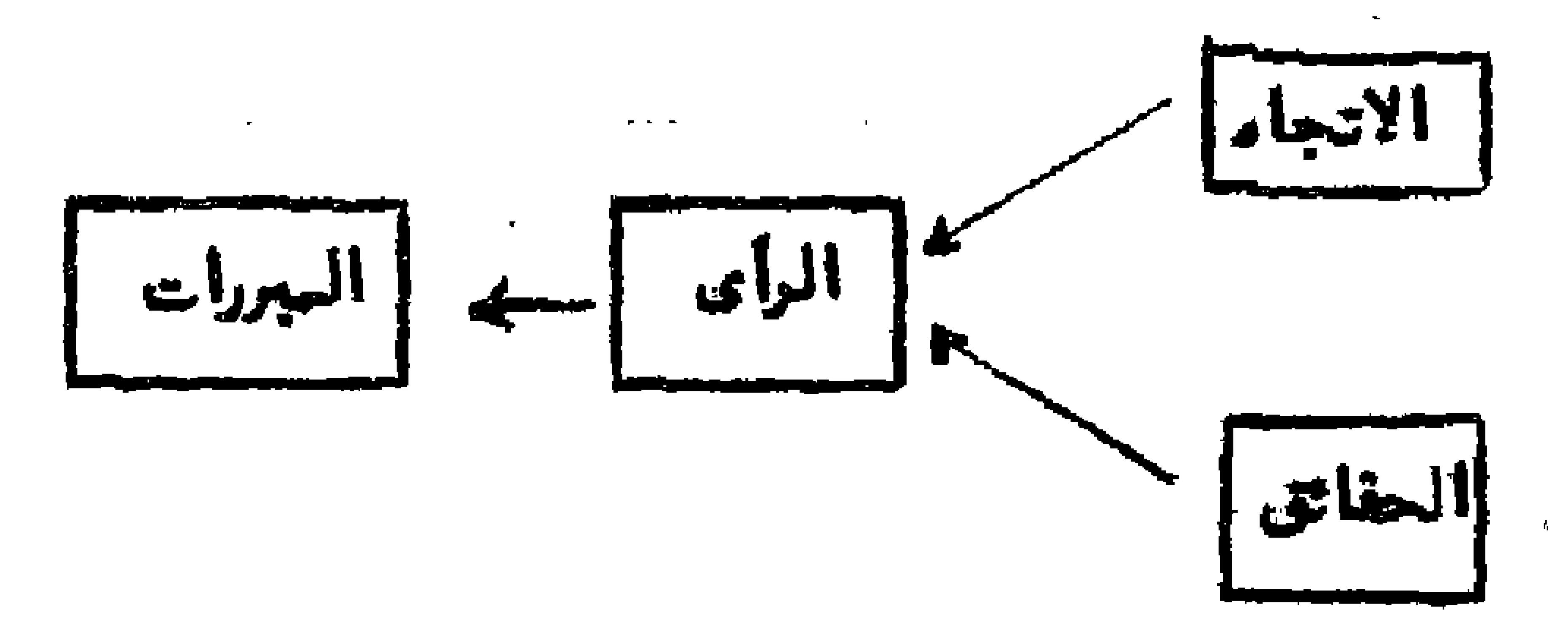
ومعنى ذلك انه فى المواقف المتشابكة والمعقدة التى تستثير لدى الفرد العديد من الاتجاهات يقوم الرأى مقام الاتجاه من حيث ان الموقف يتطلب النظرة الفاحصة فى عواقب القرار الذى يمكن ان يتخذ مثال ذلك : اتخاذ " قرار " بشأن الدخول فى الحرب . فالمسألة هنا تتطلب تحليل الموقف من جميع الزوايا والوجوه واجراء حسابات دقيقة للموازنة بين احتمالات النصر او الهزيمة . ويدخل فى ذلك بالطبع صراعات رهيبة بين الاتجاهات التى يستثيرها هذا الموقف المعقد .

ويوضح هذا المثال ان مجموعة متشابكة من الاتجاهات والقيم تلعب الدور الاساسى فى تحديد الرأى النهائى (١٠ : ٥١) . فالرأى يتصل بتفسير واقعة سلوكية او موضوع معين . فقد يرى الفرد ان قانونا معينا يظلمه او ان من الظلم ان يتساوى الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات

ـ أو فى المرتب والاجر عن نفس العمل . والرأى يتأثر بما حدث : اى يتأثـر بالحقايق كما يتأثر باتجاهات من يرصد هذه الحقائق ويقدمها . وعلى هـذا الاساس نجد أن الرأى يعكس الاتجاهات الدفينه للفرد . ومعنى هذا اننـا يمكننا ان نكشف عن اتجاهات الفرد من خلال معرفة آراءه التى يعبر عنهـا برغم تأكيد بعض علماء النفس من أن الاتجاه شيء والرأى شيء آخر مختلـف عنـه .

ويرى ماير ان الاراء خاصه بينما الاتجاهات عامة . بمعنى أن الاراء تشير الى تفسير حدث معين او سلوك معين أو موضوع معين . فالقول ان المرتب ٢٥ جنيها هذه الايام مرتب غير كاف للموظف الحديث التخرج وبالتالى غيـر عادل ، أو أن قانون الاسكان غير عادل للمستأجرين أو للمالكين ، أو أن ـ قانون الضرائب غير قادر على التحكم فى حساب اصحاب الدخول الهامشيـة والتجار ... الخ كل هذه مجرد تعبيرات عن اراء ، وهى تفسيرات لما يـراه الشخص او يحس به او يلمسـه (٢٨ : ٦٥) .

وفيما يلى نقدم رسما توضيحيا نستعيره من ماير لشرح العلاقة بيـن الحقائق والاراء والاتجاهات .



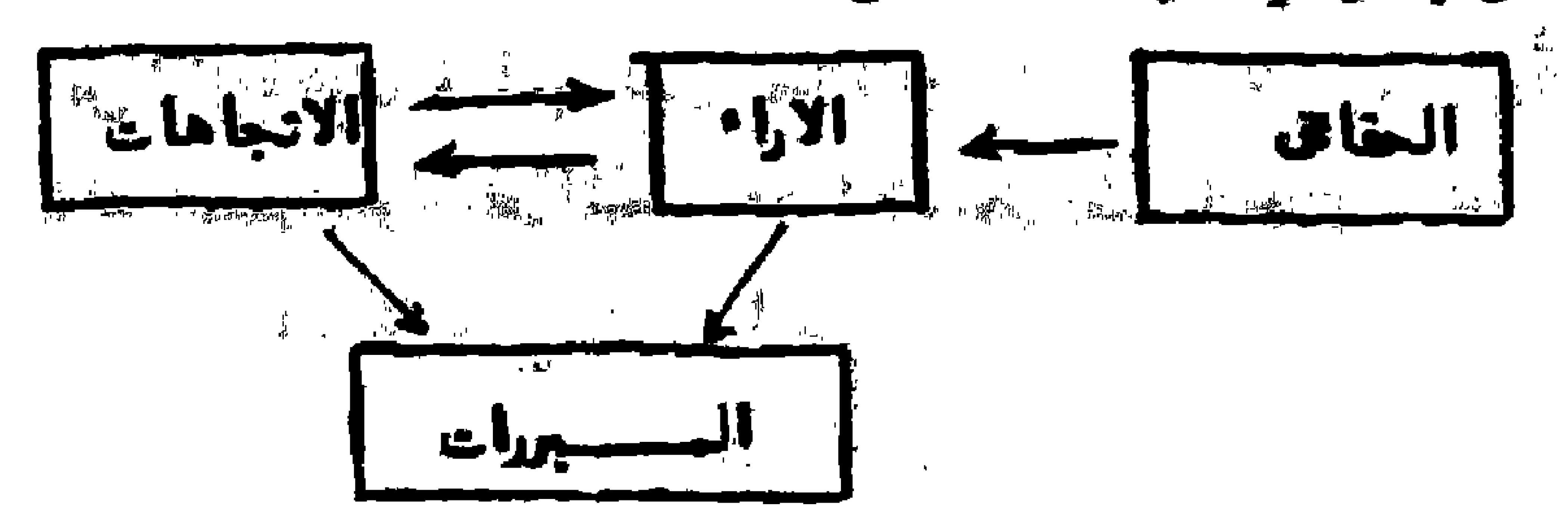
(شكل يوضح العلاقة بين الحقائق والاراء والاتجاهات : نقلا عـن ماير ــ ٢٨ : ص ٦٦) .

ومن الضرورى معرفة أن أى رأى تسبقه وتؤثر فيه حقائق معينة (٣١ : ١١١) وبالرغم من أن الاتجاه اعم من الاراء الا أن ماير يرى أنه ليس بالضرورة ان كل رأى يؤدى الى ان يتكون اتجاه . ولكنه مع ذلك قد يعكس اتجاهـــا من الاتجاهات . كذلك يرى ماير ان المبررات التى يقدمها الانسان فـــى اى موقف ما هى الا دفاعات عن الاراء (فالشخص يدافع عن آرائه بتقديـــم البراهين والحجج والمناسبة وهى المبررات) . وعندما يغير الفرد من آرائه يغير بالتالى من دفاعاته (المبررات) .

ويتضح من الشكل السابق أن أى رأى يمثل فى الواقع تفسير معيـــن لمجموعة من الحقائق .. الا أن طبيعة هذا التفسير انما تعتمد على اتجاهات الفرد فى الاساس . وبهذا المعنى يصبح رأى ماير هو كالتالى :

عندما يسأل احد الافراد لماذا يقول بهذا الرأى أو ذاك .. يندفـع فيقدم مجموعة من المبررات (الرأى ـــ المبررات) أى أن الرأى يقـــود بالضرورة الى المبررات . ومن الناحية الثانية نجد أن الاتجاهات تؤدى الى الاراء . (اتجاهات ـــ أراء) أى انه عندما يسأل الفرد عن اتجاهاتـــه يكون ذلك من خلال آرائه من ناحية . كما أنه اذا سئل فرد عن آراء فـــى موقف او قضيـــة ما يستدل من مجموعة آرائه على حقيقـة اتجاهه .

وبهذا المعنى تخرج بشكل اخر غير الذى قدمه ماير للعلاقة بيـــن الحقائق والاراء والاتجاهات كما يلى :



ومعنى هذا ان الحقائق فى حد ذاتها لاقيمة لهـا ، لكنها تستخدم فى آراء الافراد ويعبرون عن هذه الحقائق ويقدمون المبررات ، ثم تتحول الاراء الى اتجاهات وتستخدم المبررات ايضا . هذا من جانب ومن جانب آخر تعبر الاتجاهات عن نفسها فى شكل آراء ، او يستدل على الاتجاهات الاصلية من خلال معرفة الاراء .

وينبغى أن يكون واضحا فى الاذهان أن هناك تداخل تام بين هذه المستويات (الاراء ـ الاتجاهات ـ والحقائق) فالاب حين يكون له اتجاه غير طيب نحو احد الابناء فقد يندفع دوما فى تفسير سلوك هذا الابن تفسيرات تعبر عن اتجاهه فى شكل آراء وقد لاتتسق الحقائق مع هذا الموقف ، اى ليس بالضرورة أن يكون الابن قد فعل شيئا يستحق اللوم عليه أو العقاب او التأنيب . وفى هذه الحالة تكون اراء الاب قائمة على اتجاهه الاصلى غير الطيب نحو الابن ، ويندفع الاب فى تقديم للمبررات لتأكيد اراءه التى ليس لها سند كافيا من الواقع او الحقائق وقد يقدم الاب اراءه للابن فى ضرورة اتباع اساليب معينة للنجاح أو التقدم فى الحياة ، وهذه الاراء قد تكون قائمه على وقائع وحقائق خالصه ومع ذلك لاتمثل بالضرورة اى اتجاه .

ومن هنا يمكن ان نخلص الى أن الاراء التى تقوم اساسا على مجموعة من الحقائق الخالصة لاتمثل مشكلة . ذلك لان هذه الاراء سوف تتغير بتغير هذه الحقائق . اما الاراء التى تستند على الاتجاهات (أو التى تعكس نوعا من الاتجاهات) فانها تمثل مشكلة خالصة . ذلك لان الاتجاهات المعارضة قد تستمر نحو شخص أوموضوع أو مشكلة برغم تغير الحقائق . فقد يكون المشرف اتجاها سيئا نحو عامل من العمال ، ولن يغير هذا الاتجاه مهما اجاد العامل أو احسن صنعا . بل الادق أن المشرف سوف يبحث

لايجاد المبررات لتأكيد وجهـه نظره .

ويشير بعض علماء النفس قضيه اخرى مرتبطه بالاتجاهات واراء ، ومؤداهـا ان الفرد قد يؤمن باتجاه ويعبر عن رأى (أو اراء) مخالفه لمضمون اتجاهـه وذلك لاسباب الخوف او المجامله وخاصه فى المواقف التى لاتقبل الصراحـه ولاتحتملهـا .

فقد تكره شخصيا ، او لاترتاح له ، ومع ذلك – فى موقف معيـن – لو طلب منك أن تقول رأيك فيه ، قد تقول رأيا مخالفا لما تعتقد فيه حقيقـة (الاتجاه) لان هذا الشخص هو احد اقرباء رئيسك فى العمل ومن يسالـك هو رئيسك ؟ أو شخص قريب جدا من رئيسك ؟ . او قد تسأل فى موضـوع يتعلق بالاحوال السياسية فى موقف بحضره اشخاص لاتعرفهم فتقول رأيـا ، لكنه ليس رأيك الحقيقى (المعبر على اتجاهاتك الحقيقة) . والواقع أن هذه القضيه التى اثارها بعض علماء النفس ولعل اولهم هو ثرستون قد اثارت قضيـة جدليـة استمرت سنوات طويلـة ومازال حتى يومنـا هذا .

علاقة الاتجاهات بالمعتقدات والقيم

يرى بعض علماء النفس أن الوجود الانسانى ، من الناحية السيكولوجيـة بلا نظام راسخ من المعتقدات وجود كاذب ولايمكن ان يتحقق ، لانه يكـون وجود بلا استمرار (٢٦ : ٥١ – ٥٥) . ذلك لان احد الادوار الرئيسيـة التى تلعبها المعتقدات فى حياة الفرد هى ان تمنحه بناء شخصيته من ناحيـة واستمرار وجوده وطاقته النفسى من الناحيـة الاخرى .

وتمثل المعتقدات احجار الزاوية فى بناء العالم السيكولوجى . كما أن استمرار عالم الفرد (السيكولوجى) ، والانتقال من موقف سيكولوجى لموقف سيكولوجى آخر انما هو مرهون بالنمط الثابت لمعتقداته . وفى غياب مثل هذا النمط الثابت من المعتقدات Enduging Pattern فان الفرد يصبح مجرد فرد جديد فى كل موقف من المواقف التى يعيشها ، وبالتالى يصبح سلوكه مطبوعا بطابع اللحظة الراهنة .

والمعتقد نموذج (أو نمط) من المعانى عن الشىء الواحد . أو هو بمعنى آخر جماع معارف الشخص عن شىء معين . والواقع اذا كانت مدركات الشخص ومعارفه فى حد ذاتها تنظيمات ، فأن المعتقد أن هو الا أبو التنظيمات جميعا ان صح هذا التشبيه .

والواقع انه اذا كانت الاتجاهات ، كما يراها كريتش وكريتشفيلد ، تنظيما ثابتا — نسبيا — من العمليات الدافعيه والانفعاليه والادراكية والمعرفية المرتبطة بعالم الفرد ، فان المعتقدات يمكن ان نراها على أنها الجوانب المعرفية المتضمنه فى الاتجاهات .

فكل اتجاه يتضمن بالضرورة مجموعة من المعتقدات او معتقد واحد على اقل تقدير .

وفيما يبدو أن المعتقدات محايدة (من حيث اثرها) من الناحية الدافعيه والانفعالية ، الا أذا تضمنت فى بعض الاتجاهات (أو اتجاه واحد) فأنها هنا تبدأ فى مباشرة ضغوط ديناميه فى سلوك الفرد .

فموضوع أى اتجاه يصبح له هدفا (تحت شروط معينة) . وبالتالـــــس فانه يتطلب سلوكا لتحقيق هذا الهدف . ولقد وجدنا ان التعريفات السابقة جميعها قد اجمعت على الا اتجاه حالة من الاستعداد او الميل للتصـــرف او رد الفعل ـــ او ميل مكتسب للتصرف .. الخ التعريفات بشكل متسق مـــع نوع وشدة التنبيهات الخارجية . وعلى هذا الاساس فأن الاتجاهات قد تكــون موجودة لدى الفرد فى حالة " كمون " Dormant فى اغلب الاحيان لاتظهر على مسرح الاحداث ، الشعورية للفرد الا اذا وجد مايثيرهـــا . ومايثيرها يمكن أن يكون تعبير لفظى او موقف عملى .

مثال ذلك : الشخص ذوى الاتجاهات لتحرير المرأة ، فأنك لاتستطيـــع ان تدرك حقيقة اتجاهاته الا فى حالة اثارة قضية جدلية معه ، فتكتشـــف اتجاهاته من معناها ، أو عندما يقرأ مقالــة او خبر فى جريدة فيعلق عليــة ، او أن يسأل عن اتجاهاته فى مقياس للاتجاهات .

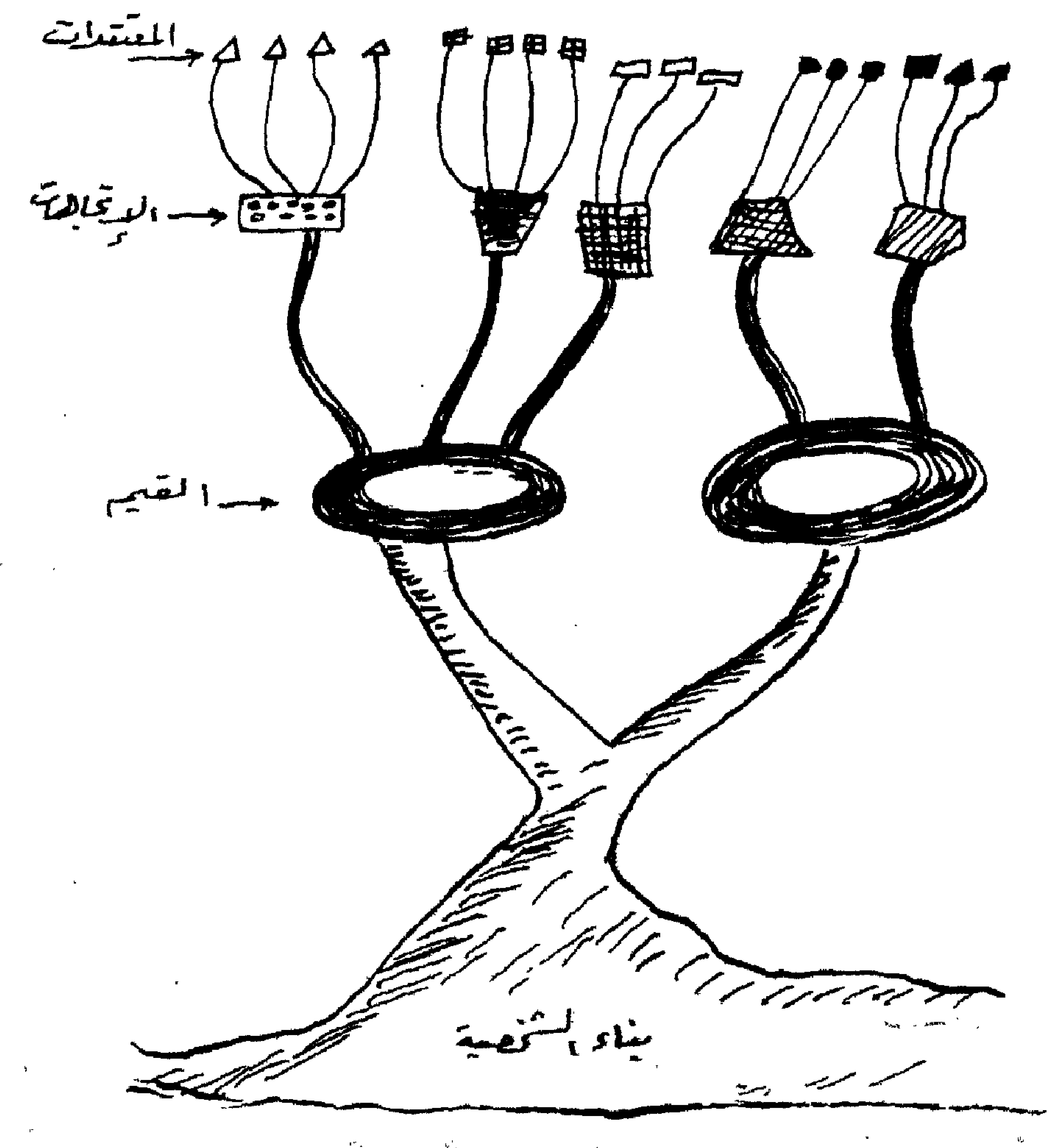
اذن تدعيم المعتقدات ينتجه بروز اتجاه ، واستمرار تدعيم الاتجـــاه الواحد بالمعتقدات المتشابهة يؤدى الى رسوخ الاتجاه وصلابته حتى يمكـــن ان يتحول هو وبعض الاتجاهات الاخرى الراسخة والمتشابهة معه الى قيمـــة من القيم ..

فالشخص حين ينفعل بقضايا هامة لحياته الاجتماعية ويعتقد بضـــرورة أن توجد عدالة اجتماعية ، ثم يعتقد أن من الضرورى حماية الضعفاء مـــن المستغلين والمظلومين من الظالمين ، ويعتقد بضرورة حماية الدولة لهؤلاء ويعتقد بضرورة التكافل الاجتماعى .. الخ هذه المعتقدات وتشد الفـــرد وتجعله ينفعل بها ترسخ بعد ه مكونة اتجاه نحو الاشتراكيـــة .

والمسالة الهامه هنا ان بعض الاتجاهات تكون ثابته بدرجة اكبر من غيرها مثال ذلك ، ان تكون اتجاهات الفرد السياسية ثابته خلال تاريخ حياته كلها ، بما يعنى وجود اتساق تام بين تفكيرة وتصرفاته بما يؤمن به من اتجاهات . غير انه قد تتغير اتجاهاته الخاصة بالموضة او بالالعاب الرياضية او السينما ، فمثل هذه الاتجاهات قد تتغير بتغير الزمن او الظروف (٣١ : ١٠٩ — ١١٠) .

كذلك فقد يكون هناك اتجاهات عميقة الجذور واتجاهات اخرى ضحلة لدى شخص واحد (وهذا يتسق مع المعنى السابق) فقد يكون لدى الفرد اتجاه قوى نحو تحرر المراة ، بينما اتجاهاته نحو القضايا التى تهم الشباب ضعيفه ، كما قد يكون هناك اكثر من شخص لهم اتجاه واحد نحو قضية معينه واتجاهاتهم الاخرى مختلفة .

وتاخذ الاتجاهات من حيث قوتها او شدتها (أو مقدارها كميا) شكل طبقات متعددة فى تكوين واحد . بمعنى انه لاتكون هذه الطبقات معزوله عن بعضها كطبقات المنزل ، وانما هى كطبقات متعددة تكون وحدة متكاملة . حيث تكون العلاقة بين هذه الطبقات علاقة دينامية مباشرة ، كما تكون هناك صورا ونماذج متعددة من هذا الارتباط وهذا التكامل عند الافراد المختلفين . وفيما يلى نقدم شكلا مستعارا من اوبنهيم .



شكل يبين العلاقة بين المعتقدات والاتجاهات والقيم نقلا عن أوبنهيم

(٣١ : ١١٠)

وهذا الشكل يقدم لنا تحديرا هاما ضد التعامل مع الاتجاهات على انها شىء منفصل تماما عن المعتقدات من جانب وعن القيم من جانب اخر ، فالارا ء تتكامل وتتشابك مكونه معتقد والمعتقدات تتشابك لتكون اتجاه والاتجاهات تتشابك لتكون قيمه ومن مجموعة القيم تصاغ شخصية الفرد . والاراء هشة والمعتقدات اكثر رسوخا من الاراء والاتجاهات اكثر رسوخا وثبوتا من المعتقدات والقيم اكثر الجميع ثباتا واستمرار لدلك جزع الشجرة فى المثال الذى قد مناه هو القيم بينما الفروع هى الاتجاهات على حين أن الفروع الصغيره او الاوراق هى المعتقدات ، بينما الجدور العميقة هى الشخصية .

العلاقة بين الاتجاه اللفظى والاتجاه العملى

ان السوءال الذى يجب ان نطرحه هنا ونحاول الاجابة عليه ، هل يمكن ان نستدل على اتجاهات الفرد العملية (السلوك) من خلال معرفتنا باتجاهاته اللفظية أم لا ؟ . أن الاجابة على هذا السوءال ينبغى أن تكون بالايجاب ، اى يمكن التعرف على الاتجاه العملى من خلال معرفتنا بالاتجاه اللفظى لاى فرد نحو اى مشكلة او قضيه لو تمكنا من القيام بعملية قياس دقيقة لهذا الاتجاه اللفظى .

ان الوسيلة المتاحه على المستوى العالمى ، وليس على المستوى المحلى فحسب ، لقياس الاتجاهات ، هى المقاييس اللفظية (٢٦ : ١٥٢ — ١٥٧) وعلى هذا الاساس اشار عدد من علماء النفس امثال " انستازى " كريتش وكرتشفيلد ، وتنلى وغيرهم ، الى امكانية الاستدلال على الاتجا ،

العملى للفرد من خلال معرفة اتجاهه اللفظى .

ذلك لان الاتجاه العملى (السلوك) وان لم يتطابق مع الاتجاه اللفظى تماما الا انه لايبتعد عنه كثيرا ، واذا احسن لنا قياس كل منهما بالاسلوب المناسب .

وفى بعض الاحيان مايكون الاتجاه اللفظى اصدق واداق من الاتجاه العملى وليس العكس كما قد يظن ، فقد يكون لدى فرد ما اتجاها معاديا للسلطة (اتجاه لفظى) ومع ذلك يخشى من أن يظهر هذا الاتجاه فى سلوكه العملى امام الناس . وبالمثل قد يكون لدى طالب تجاها سيئا او معاد لاستاذ من اساتذته (اتجاه لفظى) لكنه لايمكن أن يعبر عنه صراحة فى سلوكه (الاتجاه العملى) مع اصدقاءه او امام هذا الاستاذ .

وعلى اى حال ينبغى أن نوضح هنا اننا لانتكلم عن نوعان من الاتجاهات وانما نحن نعنى بصفة عامة الاتجاهات على انها نوع واحد او شئ واحد ، وانما نميز بين اسلوبين للتعبير عنه الاسلوب اللفظى والاسلوب العملى (السلوك الموقفى) .

واذا كانت هناك عوامل تحول دون التطابق بين السلوك اللفظى كما يقاس والسلوك العملى كما يشاهد ، فهناك عوامل كثيرة تساعد على أن يوجد قدر مرتفع من الاتساق بينهما .

تغيير — او تعديل — الاتجاهات :

على الرغم من التاثيرات — ذات الدلالة — للعوامل الثقافية فى تكوين الاتجاهات ونموها ، وعلى الرغم من الطبيعة الوظيفية للاتجاهات (وهى طبيعة

دات جدور عميقة فى تكوين الشخصية) ، وعلى الرغم من النزعة الموروثة (فى تصور بعض علماء النفس من امثال روس) للمحافظة على الاتجاهات ضد اى تقلب الا ان الاتجاهات قابلة للتعديل والتغيير . غير ان اساليب تغييرها عليه اختلافات كثيرة . وتراث علم النفس الاجتماعى ـ النظرى والتجريبى ملئ بالبحوث والدراسات الكثيرة التى تتناول موضوع تعديل او او تغيير الاتجاهات .

فبالنسبة لتغيير اتجاهات التميز العنصرى يقدم لنا روس العديد من الدراسات التى اجريت على تغيير اتجاهات البيض نحو السود . يذكر من هذه الدراسات ٢٦ دراسة وبحث حدد فيها مدى فعالية البرامج الدراسية فى مجال الدعاية والاعلام والاتصال الشخصى (او التواصل (Communication) فى التاثير على الاتجاهات الاصلية وتغييرها ، وقد اثبتت هذه الدراسات امكانية تغيير او تعديل اتجاهات البيض نحو السود عن طريق المحاضرات والافلام والمناقشات الجماعية وقبل ان نناقش جدوى هذه الاساليب فى تغيير وتعديل الاتجاهات يحسن ان نقدم امثلة ونماذج للدراسات الخاصة بتعديل الاتجاهات :

دراسات وبحوث فى تعديل الاتجاهات :

١) دراسة مور Morr, H. T. : فى دراسة لمور على تعديل اتجهات طلبة المدارس ، وجد ان حوالى ٥٠ % (من افراد العينة) قد غيروا من اتجاهاتهم نحو بعض المسائل الاخلاقية لمجرد معرفتهم ان راى الاغلبية فى الجماعة التى ينتمون لها يعارض رايهم (٢٨ : ٧٩) ولعل هذه التجربة تبين الى اى حد ان الفرد انما يكتسب بعض

اتجاهاته من خلال جماعته التي ينتمي اليها (اطار مرجعي) .

٢) دراسة كينج King, B وجانيس Janis, I. L. وفي هذه الدراسة التي اعدت لاختبار مدى صحة اثر العوامل الموقفية في تغيير الاتجاهات اتضح ان الاتجاهات المضادة : Conter Attitudes التي تتكون في موقف من المواقف (حتى ولو كان هذا الموقف تجريبي) كنوع من الدفاع او المقاومة لبرامج تغيير الاتجاهات ومن هذه التجربة يمكن ان نتبين بوضوح كيف ان تقديم الحجج مهما كانت منطقيتها لا يؤثر كثيرا على تغيير الاتجاهات ، ذلك لان هذه الحجج سوف تستثير دفاعات اخرى واتجاهات اخرى مما يقف حائل دون تغيير اتجاهات الفرد (٢٤ : ١٧٧ ـ ١٨٦) .

٣) دراسة جانيس وكينج ، في تمثيل الادوار : حيث طلبا فيها من كل تلميذ في المدرسة تمثيل دوره العادي Pole Playing في حياته العادية . ومن خلال هذا الاسلوب قدم الباحثان مواد علمية هدفها تغيير اتجاهات هؤلاء التلاميذ وطلب منهم تمثيلها . وقد وجد الباحثان ان هذه الطريقة افضل من طريقة المحاضرات حيث تغيرت اتجاهات المجموعة التي استخدم معها هذا الاسلوب عن المجموعة التي استخدم معها اسلوب المحاضرات (٢٢ : ٢١١) .

٤) دراسة جانيس ومانر (Manr, L.) في تغيير اتجاهات المدخنين نحو التدخين وفي هذه الدراسة طلبا فيها من مجموعة من المدخنين ان

يمثلوا دور مرضى السرطان الذين اصيبوا بالسرطان نتيجة التدخين (وقد عرفوا من الطبيب لتوهم انهم مصابون بالسرطان — كيف يتصرفون ؟) اوضحت هذه الدراسة ان هؤلاء الافراد اقلعوا عن التدخين نهائيا بعد هذه الدراسة بالقياس الى مجموعة اخرى ضابطة استخدام معها اسلوب النصح والارشاد والمحاضرات والمناقشات (٢٣ : ٨٧) وقد علق الباحثان على نتائج هذه التجربة بقولهم ان اسلوب تمثيل الادوار ، يتضمن معنى انفعاليا قويا ، ذلك ان المبحوثين قد توحدوا (في الدور الذي يقومون بتمثيله) بشخصية القائم بالتجربة (او القائم بتغيير الاتجاهات) . وان القائم بالتجربة قد ادخل في تمثيل الادوار معاني ذات تاثير فعال على المعتقدات باعتبارها العوامل المحددة للاتجاه . وقد مارست هذه العملية ايحاء ذاتيا وقويا على الافراد وهو امر مهم عند تغيير الاتجاه .

النظريات المفسرة لتغيير الاتجاهات :

والواقع ان النظريات التي قدمت لتفسير مثل هذه النتائج قد انقسمت الى قسمين : الاول : نظريات تركز على طبيعة الاتجاه او المعتقد وتكوين المبادىء التي تحكم التغيير .

والقسم الثاني : نظريات تركز على الموقف الاجتماعي ككل ، وتشرح التغيير في ضوء تاثير العلاقات المتبادلة بين الافراد Inter - Personal Relationships — (٣٢ : ٣٥٩ — ٣٦٦) .

وبالنسبة للنوع الاول من النظريات ، تقع نظريات كل من :

١) فستنجر Festinger : عن التنافر والاختلاف المعرفي .

٢) وازجود وتانينبوم Ozgeod Teninbaum : عن النموذج المطابق لتغير الاتجاه .

٣) وروزنبرج Rosenberg وادلسون Adelson : عن الارتكـــاز المعرفـي .

فجميع هذه النظريات برغم اختلافها في المحتوى ، تجمع كلها علـى ان التغيير للاتجاه ميكانيزم هيوميو ستازى Homeostatic Mechanism يؤثر على التنافر والاختلاف المعرفي (عند فســـتنجر) او على النموذج المتطابق (عند ازوجود وتانيننبوم) او الاتزان المعرفــــي (عند روزنبرج وادلسون) ، وهذا التاثير يحدث عندما يتعرض شخص مـــن خلال عملية تواصل جيد ومقنع فيحدث تصارع عنيف بين الاتجاهات الراسخـــة والمعتقدات الثابتة لدى الفرد والسلوك الذى تعود عليه ، ومايقال لـــه الا ان (في موقف تغيير الاتجاه) من خلال عملية الاتصال هذا التصارع يهـــز بعنف الاتجاه الموجود ليغيره (٨ : ٨٠ ـ ٨٥) .

ويرى كليمان (Kelman) ان مرحلة الاذعان (لتغيير الاتجاه) تحدث عندما يكون القائم ببرنامج تغيير الاتجاه ذا قدرة على مكافأة الافـــراد المستهدفين لهذا البرنامج (٢٤ : ٦١) ويستمر مرحلة الاذعان طالمـــا للقائم بالبرنامج القدرة على استمرار منحه للافراد مشاعر الاشباع المستمر .
اما التوحد فانه يحدث عندما مايكون للمشرف مكانة اجتماعية معينة ذا تاثيـــر اجتماعى قوى ، ومن ثمة يصبح الاتفاق معه في الرأي غنيمة واهمية لدى الافـــراد ليكونوا شخصيات على غرار شخصيته .. (وهذا مايحدث بالنسبة للزعمـــاء والقادة السياسيين الذين نتاثر بهم عبر حياتنـا)

اما النوع الثانى من النظريات "ه" وهى التى تركز على اكثر العلاقات المتبادلة بين الافراد ، فهو يحاول وصف طبيعة هذه العلاقات ومدى فعاليتها وتاثيرها على الاراء والاتجاهات . واغلب هذه النظريات تستخدم مفهوم التوحد Identification (او التشابه – او المحاكاة) وقد استندت هذه النظريات على دراسة عملية التنشئة الاجتماعية . والى هذا النوع من النظريات تنتمى نظرية كلمان Kelman التى ميز فيها بين ثلاث عمليات او مراحل لتغيير الراى او المعتقد او الاتجاه على النحو التالى :

١) المرحلة الاولى : مرحلة الامتثال او الخضوع Compliance والتى يحاول فيها الشخص ان يتبنى اراء او معتقدات الاخرين . وهو يفعل هذا لا عن اقتناع وانما كمحاولة لارضاء الاخرين وخاصة من يحبهم او يشعر بفخر بمعرفتهم ، وبالتالى فانه عندما يفعل ذلك ، سوف يكتسب تاثيرات اجتماعية مشبعة .

المرحلة الثانية : هى مرحلة التوحد Identification والتى يتم فيها تغيير الاتجاهات اليا عن طريق تقمص لشخصية القائم ببرنامج تغيير الاتجاهات من خلال التواصل الجيد . ويتبع هذا ان الشخص يغير من اتجاهاته ليحصل على تقدير ذاتى (لا تقدير خارجى) من ذاته هو .

المرحلة الثالثة : هى مرحلة الاستدماج Internalization والتى يتم فيها تمثيل اتجاهات الاخرين الذى يتوحد بهم تمثيلا داخليا (اى يتقمصها) ومن ثم يكون تغيير الاتجاه هنا عبارة عن اقتناع داخلى تام بما يقال (من خلال برنامج تغيير الاتجاهات) .

تعقيب :

اذن فتغيير الاتجاهات امر ممكن تحت شروط كثيرة يصعب توفيرها

فى برامج المحاضرات والندوات وغيرها من وسائل ، محورها جميعا هو الاتصال والاحتكاك المباشر . غير أن التصور السليم لعملية تغيير الاتجاهات انما ينبغى ان ينبع من الواقع او الوقائع الخارجية ذاتها . فتغير الواقع او الوقائـــــع الخارجية يستتبعه بالضرورة تغيير الاتجاهات ، فقد راينا ان الفرد انما يكون اتجاهاته كنتيجـة تعرضه لظروف وعوامل كثيرة (وقائع) اكتسب منها اتجاهاتـه فما لم يحدث تغيير فى هذه الوقائع فان اتجاهاته لن تتغير مهما تعرض لبرامج محاضرات اوندوات اوافلام او برامج اذاعيه او تلفزيونيه .. الخ هذا النـــوع من الاساليب . ومن ادلة ذلك أن الدعوة الى تنظيم الاسرة لم تلق اهتمـام المستهدفين لها حتى الآن من مختلف الوسائل التى استخدمت ولســـنوات طويلة لان هذه الدعوى تصطدم باتجاهات راسخه ، او بعبارة اخـــرى تصطدم مع نظام ثابت من القيم الدينيه التى تمثل قيمه مركزية لدى الفئات الشعبية وذوى المستويات الاجتماعيةالاقتصادية دون المتوسط ، وهم العمال والفلاحيـن وهم أكثر افراد الشعب المصرى خصوبه وانتاجا للاطفال . بينما تكشف الوقائع الحيه ان المتعلمين اقل افراد الشعب المصرىانتاجا للاطفال . وبالطبع لايرجـــع هذا الى تاثرهم ببرمج تنظيم الاسره بقدر مايرجع الامر الى اطارهم المرجعـــى المختلف والى ارتباط مفهوم عدد الاولاد المناسب مع مفاهيم اخرى (وقائع) - كضروره تعليم الاولاد تعليما جامعيا والمحافظـة على مستوى صحى واجتماعـى ومظهرى من نوع معين ... الخ .

الفصل الثانى عشر

قياس الاتجاهات

(طـرق قياس الاتجاهـات)

تستخدم طرق مختلفة لقياس الاتجاهات ، فهناك طريقة الملاحظة المباشرة للسلوك فى مواقف الحياة العادية (٣٠ : ٣٠٢) وهناك الطرق الاسقاطية (٣١ : ١٦٩) وهناك اسلوب القياس الاتجاهات عن طريق الاستبيانات (١٥ : ٥٣٤) .

ولقد وكثرت مصادر علم النفس الاجتماعى و اغلب المشتغلين فيه على قياس الاتجاهات عن طريق الاستبيانات ، التى تتبع فى اعدادها طرقا مختلفة ونذكر بعض هذه الطرق فيما يلى :-

١ـ طريقة المقارنات الزوجية لثرستون .

٢ـ طريقة البعد الاجتماعى لبوجاردس .

٣ـ مقياس ثرستون .

٤ـ مقياس ليكرت .

وفيما يلى نتناول هذه الطرق بشئ من التفصيل :

١ـ طريقة المقارنات الزوجية :

كان ثرستون أول من استخدم هذه الطريقة فى قياس الاتجاهات (٢ : ٥١١) وتتلخص هذه الطريقة فى المقارنة بين مثيرين لبيان ايهما أشد أو أقوى أو أفضل أو بمعنى آخر أن يفضل الشخص اتجاها على اتجاه اخر نحو الموضوع الذى نقيسه فاذا اردنا أن نعرف اتجاه (مهم) من الناس نحو مدى تقبله أو نفوره لشعب من الشعوب

أو جنس من الاجناس فاننا نعرض عليه شعبين ليفاضل بينهما أو ليفضل احدهما على الاخر (١١ : ٣١٠) .

وتتوقف صلاحية هذه الطريقة فى البحوث النفسية و الاجتماعية على نوع المشكلة التى تبحث ، ولا تقتصر فائدتها على المقارنة بين بشورين فقط بل يمكن امتدادها لتشمل عددا كبيرا من الشورات على شريطة أن تقدم للمبحوثين كل شورتين اثنين معا للحكم أو التفضيل بينهما وهو الامر الذى يصعب عملية المقارنات .

فاذا كان لدينا ٥ شعوب نريد المقارنة بينهم فاننا نحتاج الى عشرة مقارنات و اذا كان لدينا ٦ شعوب فاننا نحتاج الى ١٥ مقارنة و اذا كان لدينا ١٠ شعوب فاننا نحتاج الى ٤٥ مقارنة ، ذلك لأن عدد المقارنات يعادل $\frac{ن (ن - ١)}{٢}$ * : مثال ذلك اذا كان لدينا ثلاثة شعوب (أ ، ب ، جـ) ونريد المفاضلة بينهم طبقا لهذه الطريقة فاننا نقارن بين أ ، ب ثم أ ، جـ ، ثم ب ، جـ وهى الثلاث مقارنات الممكنة فى حالة ثلاث شعوب .

ومن مميزات هذه الطريقة انها تسهل على الفرد أن يقارن بين شعبين معا وفى آن واحد (أو بين شورين معا وفى آن واحد) كما هو الحال لو سألنا طفلا أى الاشياء يفضل الشيكولاته أم اللعبة أو لو سئل شخص فى حفل هل يفضل أن يستمع الى الموسيقى الهادئة أوموسيقى صاخبة ؟ (وفى هذه الطريقة نقارن بين شعبين من الشعوب) الا أن من عيوب هذه الطريقة انها كما رأينا تحتاج الى عدد كبير من المقارنات ، ولتوضيح ذلك

---

* حيث ن = عدد الشعوب التى تفاضل بينهما .

نقدم هـــذا المثال :

نفرض أن باحثا اراد أن يستخدم فى قياسه للاتجاهات نحو الشعوب مقياس على غرار ثرستون ، وعدد الشعوب المطلوب المفاضلة بينهمـــا هو ستة شعوب (أ – ب – جـ – د – هـ – و) فمطلـــوب من الفرد (أو الافـــراد) موضع المفاضلة أن يقارن بين هـــذه الشعوب على النحو التالـــى :-

أولا	ثانيا	ثالثا	رابعا	خامسا
أ ب	ب جـ	جـ د	د هـ	هـ و
أ جـ	ب د	جـ هـ	د و	
أ د	ب هـ	جـ و		
أ هـ	ب و			
أ و				
٥	٤	٣	٢	١ = ٥ ا مقارنة

واذا طبقت هذه المقارنات على فرد واحد عدة مرات أو على عدة افـــراد مرة واحدة امكن حساب النسبة المئوية لتفضيل أي شعب من الشعوب (أو أى مثير من المثيرات بالنسبة لبقية المثيرات (١١ : ٣١١) .

٢– مقياس البعد الاجتماعى لبوجاردس :

أعد بوجاردس عام ١٩٢٥ مقياسا ليبين به الى أى حد يمكـــن ان نقبل أو نرفض شعب من الشعوب . ذلك أن الرفض قد لا يكون تامـــا

كما أن القبول قد لا يكون بالضرورة قبول فى كل شئ وقد وضـــع بوجاردس مشكلة قياس الاتجاه نحو الشعوب فى قالب مختلف عــن القالب الذى صاغه ترستون القبول أو الرفض ،فى قالب آخر عبــر عنه (بالبعد الاجتماعـى) .. فكلما زادت الثقة اتساعا فــى القبول او الرفض كلما دل هذا على البعد الاجتماعى فقــد أقبــل الامريكان فى اشياء ولا اقبلهم فى اشياء أخرى أو أقبل الكويتيــين فى أشياء ولا أقبلهم بالنســبة لاشياء اخرى ، وهكــذا .

وتعد الميزة الاساسية لهذا المقياس انه حول وصف هذه الأشــياء (أو العلاقات) الى مواقف حقيقيــة تتضح فيها العلاقات الاجتماعيــــة فى سبعة مواقف علاقيــة على النحو التالـــى :-

١ـ علاقة متينة عن طريــق الزواج .
٢ـ علاقة فى النادى الذى انتمى اليه كصديق .
٣ـ علاقة فى الشارع الذى اسكن فيه كجار .
٤ـ علاقة فى العمل كموظف فى نفس العمل الذى أعمل به .
٥ـ كمواطنين فى نفس القطر .
٦ـ كزائرين لبلدى فقــط .
٧ـ استبعدهم تماما من بلدى .

وينبغى عند استخدام مقيــاس كهــذا أن نوضع له تعليمات دقيقة على النحو التالــــى :-

تبعا لاحساساتى و انطباعاتى المختلفة فى حياتى ، اقبل عن رضى وضع اعضاء كل جنس من الاجناس التالية (على اعتبار انهم مجموعة ككل وليس على اساس ماتركه واحد من أى جنس فى نفسى من أثر) ، فى قسم أو اكثر من الاقسام الواردة فى المقياس (من ١ — ٧) على نحو ماسيرد فى المقياس .

وفيما يلى نتائج تطبيق هذا المقياس (على عينة امريكية) أورده السيد خيرى . (٢ : ٥١٦) :-

درجات المقياس

الشعوب	(زواج) ١	(النادى) ٢	(جار) ٣	(زميل عملى) ٤	(مواطن) ٥	(زائر) ٦	(استبعادهم) ٧
١ — الانجليز	٩٣,٧	٩٦,٧	٩٧,٣	٩٥,٤	٩٥,٩	١,٧	صفر
٢ — بولنديون	١١,٠	١١,٦	٢٨,٣	٧٨,٠	٥٨,٣	١٩,٧	٤,٧
٣ — كوريون	١,١	٦,٨	١٣,٠	٢١,٤	٢٣,٧	٤٧,١	١٩,١

ويلاحظ على هذا المقياس عدة نقاط هامة نوجزها فيما يلى :-

١ — ان نتائج المقياس تمثل نتائج عدة مقاييس ،فهو اذن مقياس مركب ذلك انه يعطى قياسا للاتجاهات نحو عدة شعوب فى وقت واحد وعدة أبعاد لكل شعب فى الوقت نفسه .

٢ـ ان وحدات المقياس غير متساوية البعد ، فالمسافة بين علاقة الزواج وعلاقة النادي ليست كالمسافة بين علاقة النادي بعلاقة الجار وهكذا .

٣ـ ان من يوافق على الدرجة الاولى (علاقة الزواج) يمكن ان يوافق أيضا على الدرجات حتى السادسة . وليس العكس صحيح .

٤ـ هناك طرق احصائية للتعرف على كيفية حساب درجة تقبل الفرد لكل شعب من الشعوب وذلك بتحليل الاستجابات . ولذلك ينبغي الرجوع الى دلالة هذه الفروق احصائيا قبل الاخذ بهذه الدرجات كمعيار للتفريق او التمييز بين الشعوب (١١ : ٣١٤ ، ٢ : ٥١٧ ـ ٥١٨) .

وعلى اية حال فان الدرجات التي نخرج بها من هذا المقياس تفيدنا فقط في ترتيب الشعوب حسب افضلية الاختبار ودرجته ولكنها لا تقدم لنا أى دليل على امكانية قياس المسافة الاجتماعية بين الشخص (أو الاشخاص) ـ الذى قيس اتجاهه نحو عدة شعوب وكل من هذه الشعوب ، فلا نستطيع أن نقول ان المسافة بين (س) من الناس والامريكان هى ضعف المسافة بينه وبين الروس أو أى شعب . ذلك لان وحدات المقياس غير متساوية كما أن المقياس ليس له صفر مطلق (١١ : ٣١٤) .

٥ـ لا تحتوى وحدات المقياس على مواقف تعكس اتجاهات المتطرفين تطرفا شديدا نحو الاجناس أو الشعوب المختلفة .

٢) طريقة ثرستون (الفترات المتساوية البعد) :

تهدف طريقة ثرستون فى قياس الاتجاهات الى محاولة ايجاد مقياس يحتوى على وحدات متساوية البعد . وميزة هذا المقياس أن الشخص الذى يحصل على درجة ١٠ على هذا المقياس يزيد عن الذى حصل على ٨ درجات بما مقداره بالفعل درجتان ، ومن ثم تصبح المسافة بين الحاصل على ٦ أو الحاصل على ١٢ والحاصل على ١٠ . وهذا المقياس يقترب كثيرا من معنى المقياس الاول - (طريقة المقارنات الزوجية) وان كان يمتاز عنها بالسهولة وتقليل الجهد فى الوصول الى رأى الشخص فما على المبحوث الا أن يضع علامة على العبارة المعبرة عن رأيه اى الموافق عليها . كما أن هذه الطريقة تقلل الجهد الذى يبذله الباحث فى تتبع المقارنات الزوجية ورصد التفضيلات والخروج بالعمليات الاحصائية المختلفة التى تمكنه من المقارنة فى النهاية .

طريقة اعداد المقياس :

كيف يمكن اعداد مقياس على غرار ثرستون ؟ للاجابة على ذلك نقدم الاسلوب الذى اتبعه ثرستون فى اعداد مقياسه . فقد جمع هو واعوانه ومساعديه ١٣٠ عبارة تمثل الاتجاهات المختلفة نحو الكنيسة ، ثم طلبوا من ٣٠٠ محكم ان يصنفوا هذه العبارات على مقياس من ١١ نقطة (من ١ الى ١١) بحيث تعكس الدرجة (١) التأييد التام للرأى الذى تقول به العبارة بينما تعكس الدرجة ١١ الرفض التام لهذا الرأى (١ : ١٣٢) .

وقد تم استبعاد العبارات التى لا يتفق المحكمون على وضعها النسبى فى المقياس ، وكان ثرستون يعتمد على وضع العبارة النسبى فى المقياس

فى المقياس عن طريق حساب القيمة الوسيطية لترتيب المحكميه للعبارة بمعنى ان العبارة التى يرى نصف المحكميه انها اعلى من ٦ ويرى نصف المحكميه انها ادنى من ٦ تعطى لها الدرجة الوسيطة ٦ وتصبح الدرجة ٦ وهى الـــوزن Scale value الذى يعطى لهذه العبارة (١١ : ٣١٧)٠

وفيما يلى مثال لطريقة ترستون فى قياس الاتجاهات :

مقياس ماك كرون ١٩٣٧ لقياس الاتجاه نحو السكان الاصليـــــــــن السود فى جنوب افريقيا مستخدما طريقـــة ترستون (نقلا عن نجيب اسكندر وزملاؤه (١١ : ٣١٨)٠

رقـــم العبارة فى المقياس	الوزن	العبـــــــارة
١	١٠ر٣	اننى اعتبر السكان الاصليين خلقوا للاعمـــال القذره فى مجتمع البيض ٠
٢	١٠ر٢	ان الاقتراح الخاص بالتعامل مع الملونيـــــن يثير الاشمئزاز لدى ٠
١٥	٦ ر٨	لا اعتقد انه يمكننا ان نثق فى السكـــــان الاصليين فى أى عمل من الاعمال التى تتطلب الامانه او تحمل المسئوليـــة ٠
٢٢	٨ر٣	اننى اعتبر المجتمع هنا مدينا بالكثير للمبشريـــن الذين اخذ على عاتقهم رفع مستوى هـــؤلاء السكان الاصلييـــن ٠

ويلاحظ هنا ان الوزن العالى يعكس اتجاها وقويا ضد السكان الاصليين بينما تدل الاوزان المنخفضه على ايجابية نحوهم على نحو ما • ولكن مع الميزات الكثيرة لهذه الطريقه فأن عيوبها تتلخص فيما يلى :

١) تتطلب هذه الطريقة عناء وجهد كبيرين حتى يصبح المقياس صالحا للاستخدام وخاصه مشكلة المحكميه للوصول الى الاوزان النسبيه لكل عبارة •

٢) التشكيك فى مدى صحه الاوزان التى يقدمها المحكمون وعدم تحيزهم شخصيا ؟

٣) ان الوحدات المتساوية طبقا لهذه الطريقة قد لاتكون كذلك فى ثقافه اخرى • كذلك داخل الثقافه الواحدة اذا كانت الوحدات متساوية فى نظر المحكمين وواضع المقياس فقد لاتكون كذلك من وجهة نظر الاشخاص (المبحوثين) الذين يطبق عليهم المقياس •

٤) طريقة ليكرت :

نقد ليكرت طريقة ثرستون بانها معقده وابلغها الصعوبه فى التصميم وحساب الدرجة ولذلك قدم طريقة عرفت باسمه اكثر سهوله توضع الاسئلة فى شكل مقياس يطلب من المبحوث ان يجاوب على كل عباره بما يشعر به على أن يضع اجابته فى احدى الخانات الخمسه التى تمثل الاجابه بين شدة الموافقة وشده المعارضة أو الحياد على النحو التالى :

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
موافق بشده	موافق	محايد	معارض	معارض بشده

وفى هذا المقياس تقدم للمبحوث عده عبارات تتصل بالاتجاه المراد قياسه وامام كل عبارة خمسه مستويات للاجابه على النحو السابق • وتجمع

درجات الاجابة بحيث تعطى الموافقة التامة خمسه درجات والمعارضة بشده درجة واحده وهكذا •

وفيما يلى مثال لهذه الطريقة :

قياس الاتجاه نحو المرأة : نقلا عن (١ : ص ١٣٥ بعد التعديل)

العبارات / الاوزان	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
	٥ درجات	٤ درجات	٣ درجات	درجتان	درجة واحدة
المرأة أقل من الرجل فى الذكاء					✓
البيت هو المكان الطبيعى للمرأة	✓				
المرأة اكثر خضوعا للعاطفة •		✓			
ينبغى ان يأخذ الرجل اجره ضعف المرأة •		✓			
المرأة والرجل متساويان فى أشياء كثيرة •				✓	

خطوات طريقه عمل مقياس على غرار مقياس ليكرت :

١) يقوم الباحث بجمع عدد كبير جدا من العبارات التى يرى انها تتصل بموضوع الاتجاه المراد قياسه ٠

٢) يصيغ هذه العبارات بشكل واضح ، بحيث تتضمن كل عباره الا معنى واحدا او جانبا واحدا فلا تقيس او تسأل عن مسألتا ن متشابكتان ٠

٣) اعطاء هذه الاسئله لعينه صغيره من المجتمع الذى ستطبق عليه ٠

٤) تعطى درجه ٥ على الموافقه التامه او الشديده وتعطى الدرجة ١ للاتجاه المعارض بشده ثم توزع باقى الدرجات على بقية المواقف ٠

٥) تحسب معاملات الارتباط بين كل عبارة والمقياس الاصلى باستخدام معامل الارتباط الرباعى او الثنائى — راجع السيد محمد خيرى (٢ : ٥٢٦) ثم تستبعد العبارات التى لا ترتبط ارتباطا عاليا بالمقياس وبهذا يحقق المقياس معيار الاتفاق الداخلى (١١ : ٣٢٨) ٠ ولعل طريقه ليكرت هى اسهل هذه الطرق فى قياس الاتجاهات وحساب درجه هذا الاتجاه كما وكيفا ٠

على أنه ينبغى عند تفسير نتائج قياس الاتجاهات بأى قياس الاهتمام اولا بالمسائل المنهجيه لاعداد وتقنين المقاييس ، من حيث ثباته وصدقه وتميز عباراته ٠٠ الخ المسائل المنهجية فضلا عن دقه الباحث ومهاراته والمامه بكل ماهو متعلق بالاتجاهات وموضوعاتها واساليب الاستجابه حتى لا نقع فريسه للارقام وحدها (١ : ١٣٦) ٠

مراجع الباب الرابع

أولا : مراجع عربية :

١) احمد عبد العزيز سلامه ومحمد اسلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٢) السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسيه والتربويــة والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٣) براون ، أ : علم النفس الاجتماعى فى الصناعــة ، ترجمــة السيد محمد خيرى واخرين ، دار المعارف ، القاهــرة ، ١٩٦٠ .

٤) جابر عبد الحميد جابر ويوسف الشيخ : علم النفس الصناعى دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٥) حامد مصطفى عمار : التنشئه الاجتماعية فى قرية مصريـــة فى : لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فـــى البلاد العربيه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الجـــزء الاول ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٦) فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٧) فؤاد البهى السيد : علم النفس الاحصائى وقياس العقــــل البشرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٨) لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الدار القوميــة للطباعــة والنشر ، المجلــــد الاول ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٩) لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الهيئه المصرية العامة للطباعة والنشر ، المجلد الثانى ، القاهره ، ١٩٧٠ .

١٠) نجيب اسكندر واخرين : كيف نربى اطفالنا ، التنشئة الاجتماعيه للطفل فى الاسرة المصرية ، دار النهضة العربية ، القاهره ، ١٩٦٧ .

١١) نجيب اسكندر واخرين : الدراسه العلميه للسلوك الاجتماعى مؤسسه المطبوعات الحديثه ، القاهرة ، ١٩٦١ .

١٢) نيوكمب ، ت . م : مناهج البحث فى علم النفس ، ترجمة باشراف يوسف مراد ، الفصل الثانى عشر ، دراسه السلوك الاجتماعى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

13. Allport, G.W. : Attitude, In: Urchison, C., (ed) : A Handbook of social psychology, worcester, 1935.

14. Anastasi, A. : Psychological Testing, The Macmillan, Co. Second ed. N.Y. 1961.

15. Asch, S.E. : Social psychology, prentic-Hall inc., N.Y. 1952.

16. Bogardus, E.S. : Measuring Social Distance. J.App. Socio.9.1925.

17. Brown, J.A. : The Social psychology in industry, A pelican Books, 1956.

18. Festinger, L. : A theory of Cognitine Desonance, J. Abnorm. Soc. Psychol. 1957, VOl. I P.P. 336 - 358.

19. Francis, D.V. : The Effects of Need - oriented Communication on Attitude change. J. Abnorm. Soc. Psychol. 1960, Vol. 60, P.P. 80-85.

20. Green, B.F. : Attitude Measurement: in : Lindzey, G. (ed) A Handbook of social pychology, rol. I , Cambridge Addison wesley, 1954.

21. Hartely, E.L. Hartely, R.E. and Hart, C.: Attitude and opinion, In : Schram, W. (ed) The process and Effects of Mass communication Ill. unives. press.

22. Zanis, I.L. and king, B.: The infleunce of Role - playing on opinion change. J. Abnorm. Soc. Psychol. Vol. I. , 1954.

23. Janis, L. and manr. L. : Effectiveness of Emotional Role - Playing in Midifing smoking habits and attitudes. J.Exp. Pers. Res. Vol.I, 1965.

24. King, B. and Jains, I.L. : A comparison of The effectimeness of Improurised versus non improvuised Role - playing in producing opinion change. Hum. Rel. Vol. 9, 1959, P.P. 177-186.

25. Kluckhohn, C. and Murray, H. (eds): personality in nature, society and cutture N.Y. Affred, A. Krops, 1956.

26. Krech, D. and Crutchield, R.S. : Theory and problems of social psychology, MacGraw-Hill book Co. inc. 1948.

27. Lund, F.H. The psychology of Belief.J. Abnorm. psychll. 1925, 20, P.P. 174-176

28. Maier, N.R.Psychology on Industry, second ed. Boston, Houghton Mifflin Co. 1955.

29. Newcomb T.M. Intra-Family Relationships in Attitudes, Sociometry, 1937, I,P.180.

30. Nunnally, J.L.: Tests and Measurments, MacGraw-Hill Book Co. Inc.N.Y. 1969.

31. Oppenhiem,A.N.: Questionnarire Design and Attitude Measurment. Heinmann, London 1968.

32. Osgood, C.E. and Tanenbaum, P.H. : The Principle of congreuity in the prediction of Attitude change. Psychol. Rer. rol. 62., 1955, P.P. 42-55.

33. Parsons, T. : The social systm, The Frez press, N.Y. 1951.

34. Rosenberg, M.I. and Herland C.I. (eds): Attitude organization and change. Yale Univ. press. 1960.

35. Sherif, M. and Cantril, H. : The psychology of Ego envelrements. Hohn Welley 1947.

36 Sherif, M. and sherif, C.W. : Anoutlim of social pyychology. Harper Broth.N.Y. 1956.

37. Stagner R.: Psychology of personality, 3ed ed., Magraw-Hill Book Co. inc. N.Y., 1961.

38. Thomas,Wil. and Znaniecki,F. : The polish peasant in Burop and America, Vol.I, 1918.

39. Tiffin, J.: Industrial psychology, Georg Allen and con London, 1968.

فهرس الكتاب

رقم الصفحة





